منبر الإسلام

غير مخصص للبيع

السنة (٦١) العدد (٨) شعبان ١٤٢٣ هـ
أكتوبر ٢٠٠٢م

هل تطلع شمس الله من الغرب ؟!

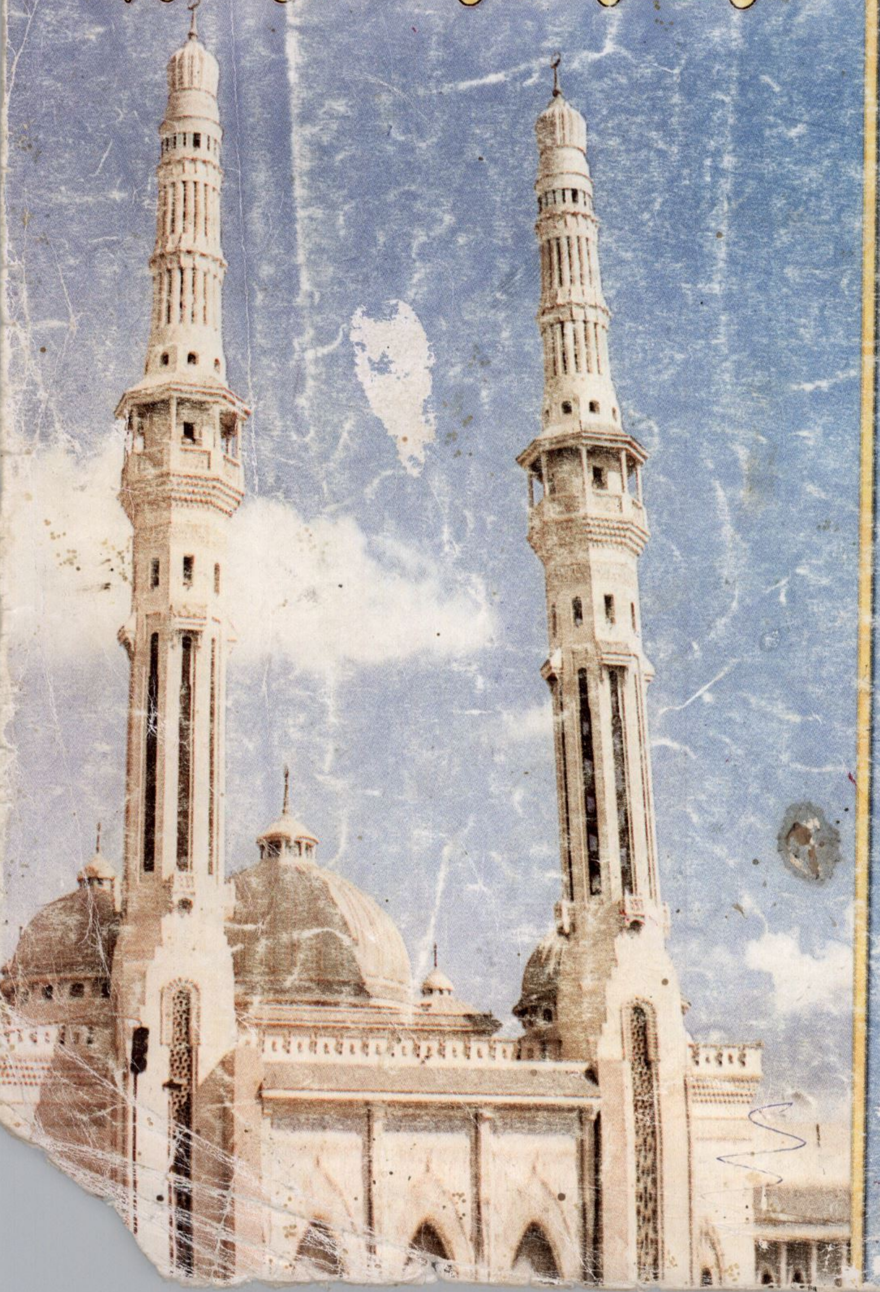

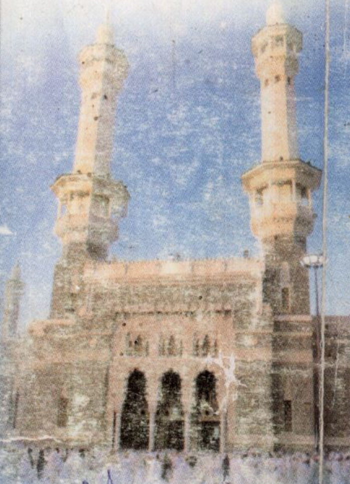

تحويل القبلة تثبيت للإيمان وتحديد للمنهج

مسئولية جديدة للأزهر الشريف

من أسرار الحياة فى القرآن الكريم

مفهوم حضارتنا الإسلامية والعربية

من محتويات العدد

❖ تفسير سورة التغابن

أ.د. محمد سيد طنطاوى

❖ هل تطلع شمس الله من الغرب

أ.د. عبدالصبور مرزوق

❖ تحويل القبلة وفضل ليلة النصف من شعبان

أ.د. أحمد عمر هاشم

❖ آيات الله فى خلق اللبن

أ.د. عبدالمعبود عمارة

❖ مسئولية الكلمة فى ضوء الإسلام

أ.د. محمد إبراهيم الجيوشى

❖ الإشارات القرآنية إلى الطبائع البشرية

أ.د. السيد الجميلى

❖ من أسرار الحياة فى القرآن الكريم

أ.د. حسنى حمدان الدسوقى

❖ المراكز الإسلامية لعلوم الفضاء فى أوروبا

أ.د. إبراهيم العدوى

❖ مفهوم حضارتنا الإسلامية والعربية

أ.د. محمد عبد الفتاح عليان

غلاف الشهر

● مع غلاف هذا العدد نتذكر حدث تحويل القبلة الذى يعد معلما تاريخيا وتوجيها دينيا بليغا فى حياة المسلمين مؤكدا صدق الرسالة وصدق الرسول ﷺ يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها﴾

الاشتراكات

تطلب الاشتراكات من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ ٩ ش النباتات ـ بجاردن سيتى ـ القاهرة.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ١٣ ثلاثة عشر جنيها بجمهورية مصر العربية.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٢٠ عشرون دولارا أمريكيا لاتحاد البريد العربى الأفريقى ـ «بريد جوى»
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٣٥ خمسة وثلاثون دولارا لدول أوروبا.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٤٠ أربعون دولارا أمريكيا فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ودول شرق آسيا.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٦٥ خمسة وستون دولارا أمريكيا فى أمريكا الجنوبية واستراليا واليابان.

المراسلات:

٩ ش النباتات بجاردن سيتى ـ القاهرة ـ تليفون: ٧٩٥٨٦٥٩ ـ ٧٩٤١٦٢٧ ـ ٧٩٥٨٦٦٤
تلغرافيا: منبر الإسلام ـ القاهرة

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - بالقاهرة

منبر الإسلام

تصدرها وزارة الأوقاف

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس مجلس الإدارة

الدكتور : محمود حمدى زقزوق

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس التحرير

الدكتور : عبد الصبور مرزوق

نائب رئيس المجلس

مجلس التحرير

الدكتور : صوفى أبو طالب

الدكتور : أحمد كمال أبو المجد

الدكتور : أحمد هيكل

كلمة التحرير

عزيزى القارىء

فى شهر شعبان يتذكر المسلمون تحويل قبلتهم من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام فهو شهر له منزلة كريمة ومكانة عظيمة فى حياة المسلمين ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين ويستجيب الله فيه دعاء السائلين. كما يدرك المسلمون أن تحويل القبلة لم يكن حدثا عابرا إنما كان معلما تاريخيا عظيما وتوجيها دينيا بليغا مؤكدا صدق الرسالة فما تمنى الرسول الكريم من الله عز وجل شيئاً إلا وحققه الله له وذلك تأكيد لقوله عز وجل. **﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾** الضحى آية ٥.

فبعد أن ظل الرسول ﷺ ستة عشر أو سبعة عشر شهرا يصلى إلى بيت المقدس بعد الهجرة أخذ فى التأمل والتدبر والتطلع إلى السماء إلى أن جاءه الفرج من عند الله مخاطبا حبيبه ﷺ **﴿قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾**. فقد حقق الله أمنية سيدنا رسول الله ﷺ وأمره بالاتجاه إلى بيت الله الحرام فلا خلاف فى أن الكعبة قبلة فى كل أفق من شاهدها وعاينها فرض عليه استقبالها ومن لم يشاهدها استقبل جهتها.

فهى البقعة المباركة والمكان الوسط على كوكب الأرض فهى تتوسط الدنيا شرقاً وغربا وشمالا وجنوبا وهذا مااقتضته حكمة الله سبحانه وتعالى.

حديث الشهر

هل تطلع شمس الله من الغرب؟

رغم كل الظروف الحالكة والصعبة التى يمر بها عالمنا الإسلامى والتى جعلت كثيرين وكثيرين يرتعدون إشفاقا وفزعا أن تطبق الأنياب المسعورة فى الغرب على خناق الإسلام فتجهز عليه وتمحو من الوجود اسمه ورسمه.

ورغم الواقع المرير الذى يبدو فيه عالم المسلمين باتساع رقعته وملايين أتباعه وكأنه جزر مزقتها أيدى القصابين يتكالبون عليها ليفوز كل منهم بنصيبه كما تحدثت بذلك النبوءة النبوية عن تداعى الأمم إلى قصعة الإسلام يلتهمونها حتى يجهزوا عليها.

أ.د. عبدالصبور مرزوق

رغم هذا الواقع الذى لا أغمض عينى حتى لا تنتاب إلى عقلى مشاهد القارعة المنتظرة.

رغم هذا كله ففى عقلى ووجدانى جميعا يقين لا يخالطه أى شك فى أن الإسلام هو الباقى وهو المنتصر وهو دين آخر الزمان رضى المتفرعنون أم كرهوا. وأنه لن تقوم الساعة حتى ينطق الحجر والشجر يدل المسلمين على مخابئ عدوهم ويقول: يا مسلم هذا يهودى ورائى فاقتله.

ولست فيما أتحدث به حالما أو شاعرا جمح به خياله فبنى من الأمانى الكذاب للعقل الباطن قصورا على الرمال تذروها الرياح.

لكنى أحد المؤمنين إيمانا لا يهتز شعرة فى صدق وحتمية انتظام سنن الله وقوانينه فى العمران البشرى على الناس والحياة.

وسنن الله فى الآفاق وفى الأنفس تقول:

أولا: لا يمكن أبدا أن يتلاشى الحق أمام وطأة الباطل، ولكنها أيام ودول ودورات **﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء﴾** آل عمران: آية ١٤٠.

ثانيا: الواقع الذى عاشته دعوة الإسلام عبر تاريخها يؤكد هذه الحقيقة وقد مضى وسيمضى وفق هذه السنة الربانية فلم يكن عربى ولا عجمى عند ظهور الإسلام يتصور لحظة أن هذا الدين الجديد ستكون له صولة وتكون له دولة وهو يواجه الأقوى والأعتى من قوى الشرك والضلال عند ظهور قوة باطل الجاهلية العاتية التى أضلت عرب الجاهلين فألغوا عقولهم وانطمست بصائرهم حتى عبدوا الأصنام ووأدوا البنات وأقاموا الحروب المهلكة أعواما طوالا لأن ناقة عجماء أخذت قضمة من الحشيش الواقع فى أرض محمية لقبيلة من القبائل.

أما القوتان العاتيتان آنذاك فكانتا قوتى الفرس والرومان ولم تكونا قوتين عظميين فقط فى السلطان والسياسة؛ وإن كانتا عظميين تأسستا على جاهلية الفكر والمعتقد، وتأسستا على فرض عبادة الإنسان للإنسان وامتهان الأقوياء للمستضعفين وسحق الأغنياء لأهل الفاقة.

وانحطت إحداهما وهى دولة الفرس حتى عبد أهلها النار، وانحطت الثانية وهى دولة الرومان حتى عددت الآلهة وعبدت الأبطال وأقامت معتقداتها، على الكثير من الخرافات والأساطير.

***

وفى مواجهة هذه العقبات الضخام أشرق نور التوحيد فى مكة على يد ذلك اليتيم الفقير الذى صحا أهل مكة ذات ليلة ليستمعوا إليه وهو يخاطبهم **﴿إنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد﴾**.

وتضافرت قوى الباطل كلها من فرس وروما وجاهلية عربية تحاول أن تئد دعوة الحق فى مهدها، وصبت على صاحب الدعوة محمد ﷺ وصحبه معه أقسى ما عرفه التاريخ على أيامه من صنوف العذاب ما كان كفيلا بأن تخمد - وإلى الأبد - هذا الصوت الصارخ فى البرية - لكن الصوت النبوى لم يخمد وإنما مضى يجلجل فى الآفاق بدعوة الحق وينتقل أتباعه من نصر إلى نصر ومن أرض إلى أرض حتى جاء يوم كانت فيه كنوز كسرى وقيصر تأتى لتوضع بين أيدى أمراء المؤمنين فلا يهمهم من أمرها إلا دلالتها على أن دعوة الإسلام قد مكن الله لها فى أرضه فأخرجت أهل الفرس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد كما قال

الإسلام دين الغد ولو كره الظالمون

الفارس العربى «ربعى بن عامر» للقائد الفارسى «رستم» حين لقيه أيام «القادسية».

***

وندع التاريخ وانتصارات الدعوة فيه لنعايش الحاضر الذى ينصدع القلب فيه من الأسى والحزن فإذا النبوءة النبوية عن غثاء السيل الذى ستكون عليه حال أمة الإسلام تصبح واقعا نعيشه وتهدنا آلامه، ونلتفت هنا وهناك بحثا عن المخرج، لكن المخرج يبدو أمام الكثير مثل السراب، وتتلاقى النفوس المهمومة ليقول بعضها لبعض **﴿ليس لها من دون الله كاشفة﴾** النجم: الآية ٥٨.

نعم ليس لها من دون الله كاشفة لكن سنن الله زمن النبوات كانت تقع بالمعجزات أما بعد انتهاء النبوات واختتامها بنبوة محمد ﷺ فسنن الله لن تقع إلا بتكاتف الأيدى المتوضئة والقلوب التى لا تخشى فى الله لومة لائم لتعلن إلى قوى الباطل المتداعية على الإسلام: قفوا مكانكم لن نسمح لشمس الإسلام أن تغيب ليس هذا فحسب، بل سنجعلها تشرق من أرضكم أيها الطغاة المفتونون بقوتكم، والغافلون عن سنة الله بأن الله غالب على أمره.

***

وهنا أخاطب قومى - أخاطب أبناء دينى وعقيدتى - أن يثبتوا على ما دعاهم إليه دينهم فى مثل قوله: **﴿ولا تهنوا ولاتحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾** آل عمران: الآية ١٣٩.

أكرر: لا تهنوا ولا تحزنوا فإن شمس الإسلام لن تغيب، وإذا كانت أجيال الانكسار قد توالت ففرطت فى جنب الله فسنن القرآن تقول: **﴿وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾** محمد الآية ٣٨.

فلنرقب جميعا شمس الإسلام تشرق من حيث تخرجها الأجيال التى يسخرها الله لدينه إن لم تكن منا فمن الآخرين، على يد مسلمى الغرب القدامى أو الجدد وتكون شمس الله بهذا قد طلعت من الغرب.

والله غالب على أمره والله دائما حسبى.

القرآن الكريم وعلومه

- تفسير سورة التغابن
- خصوصيات الرسم العثمانى للمصحف الشريف «القبض والبسط»
- رتيب سور القرآن الكريم
- شارات القرآنية للطبائع البشرية
- رار الحياة فى القرآن الكريم

تفسير سورة التغابن

نظرات في كتاب الله تعالى

لفضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى
شيخ الأزهر

قال الله تعالى ﴿ ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل
فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم (٥) ذلك بأنه كانت
تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولوا
واستغنى الله والله غني حميد (٦) زعم الذين كفروا أن لن
يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله
يسير (٧) فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا والله بما
تعملون خبير (٨) يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن
ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات
تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم
(٩) والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين
فيها وبئس المصير (١٠) ﴾

التغابن: ٥ – ١٠

١ - بعد أن وضح سبحانه - الأدلة الساطعة على وجوب إخلاص العبادة له، وبين جانبا من مظاهر قدرته النافذة، ومن نعمه السابغة، اتبع ذلك بتوبيخ الجاحدين، لعدم اعتبارهم بالسابقين من قبلهم، فقال - تعالى -: ﴿**ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل، فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم**﴾ والاستفهام فى قوله عز وجل ﴿**ألم يأتكم**﴾ للتقرير والتبكيت.

والمقصود بالذين كفروا من قبل: قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الأقوام الذين أعرضوا عن الحق، فكانت عاقبتهم الدمار والهلاك.

والخطاب لمشركى قريش وأمثالهم، ممن استحبوا العمى على الهدى.

والوبال فى الأصل: الشدة المترتبة على أمر من الأمور، ومنه الوبيل للطعام الثقيل على المعدة، الذى يلحق بها ضررا شديدا. والمقصود به هنا: العقاب الشديد الذى نزل بأولئك الجاحدين السابقين فدمرهم تدميرا.

وعبر - سبحانه - عن هذا العقاب بالوبال، للإشارة إلى أنه كان عذابا ثقيلا جدا، لم يستطيعوا الفرار أو الهرب منه.

والمراد بأمرهم: كفرهم وفسوقهم عن أمر ربهم، ومخالفتهم لأنبيائهم الذين جاءوا لسعادتهم.

وقوله: ﴿**فذاقوا**﴾ معطوف على ﴿**كفروا**﴾ عطف المسبب على السبب. والذوق" مجاز فى مطلق الإحساس والوجدان. شبه ماحل بهم من عقاب، بشىء كريه الطعم والمذاق.

وعبر - سبحانه - عن كفرهم بالأمر: للإشعار بأنه أمر قد بلغ النهاية فى القبح والسوء.

والمعنى: لقد أتاكم ووصل إلى علمكم - أيها المشركون - حال الذين كفروا من قبلكم من أمثال قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم، وعلمتم أن إصرارهم على كفرهم قد أدى بهم إلى الهلاك وإلى العذاب الأليم، فعليكم أن تعتبروا بهم، وأن تفيئوا إلى رشدكم، وأن تتبعوا رسول الله ﷺ الذى أرسله ربكم إليكم، لإخراجكم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان.

فالمقصود من الآية الكريمة: تحذير الكافرين الذين أرسل رسول الله ﷺ إليهم من سوء عاقبة إصرارهم على كفرهم، واستمرارهم فى طريق العناد والغرور.

٢ - ثم بين - سبحانه - الأسباب التى أدت إلى سوء عاقبة هؤلاء السابقين الجاحدين فقال تعالى: ﴿**ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غنى حميد**﴾.

أى: ذلك الذى أصاب الأقوام السابقين من هلاك ودمار، سببه أنهم كانت تأتيهم رسلهم بالمعجزات الواضحات، وبالآيات البينات، الدالة على صدقهم، فما كان من هؤلاء الأقوام، إلا أن أعرضوا عن دعوة الرسل، وقال كل قوم منهم لرسولهم على سبيل الإنكار والتكذيب والتعجب: أبشر مثلنا يهدوننا إلى الحق والرشد؟!!

وشبيه بهذه الآية ما حكاه القرآن عن قوم نوح عليه السلام حيث قالوا له: ﴿**ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا فى آبائنا الأولين**﴾ المؤمنون: آية ٢٤.

وما حكاه عن قوم صالح عليه السلام حيث قال له قومه: ﴿**أبشرا منا واحدا نتبعه إنا إذا لفى ضلال وسعر* أألقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر**﴾ القمر: الآيتان ٢٤، ٢٥.

والفاء فى قوله - تعالى - ﴿**فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غنى حميد**﴾ للسببية، أى: فكفروا بسبب هذا القول الفاسد، وأعرضوا عن

الحق إعراضا تاما، واستغنى الله - تعالى - عنهم وعن إيمانهم، والله - تعالى - غنى عنهم وعن العالمين، ومحمود من كل مخلوقاته بلسان الحال والمقال، وهو يجازى الشاكرين له بما يستحقونه من جزاء كريم، ومن ثواب جزيل.

٣ - ثم حكى - سبحانه - مزاعم الجاحدين ليوم القيامة وما فيه من حساب ومن ثواب ومن عقاب، ورد عليهم بما يبطل مزاعمهم فقال: **﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير﴾**.

قال صاحب الكشاف - رحمه الله -: قوله: **﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا﴾**، الزعم: ادعاء العلم، ومنه قوله ﷺ: **«زعموا مطية الكذب»**، وعن شريح: **لكل شىء كنية، وكنية الكذب زعموا**. وهذا الفعل يتعدى إلى مفعولين كما يتعدى فعل علم كما قال الشاعر:

وإن الذى قد عاش ياأم مالك

يموت، ولم أزعمك عن ذاك معزلا(١)

و«بلى» حرف يذكر فى الجواب لإثبات النفى فى كلام سابق، والمراد به هنا: إثبات ما نفوه وهو البعث.

أى: زعم الذين كفروا من أهل مكة وأشباههم من المشركين أنهم لن يبعثوا يوم القيامة، لأن البعث وما يترتب عليه من حساب محال فى زعمهم!!

قل لهم - أيها الرسول الكريم - على سبيل الجزم واليقين، كذبتم فيما تزعمونه من أنه لا بعث ولا حساب، والله لتبعثن يوم القيامة، ثم لتنبؤن بما عملتموه فى الدنيا من أعمال سيئة، ولتحاسبن عليها حسابا عسيرا، يترتب عليه الإلقاء بكم فى النار.

وجىء فى نفى زعمهم بالجملة القسمية، لتأكيد أمر البعث الذى نفوه بحرف «لن» ولبيان أن البعث ومايترتب عليه من ثواب وعقاب، أمر ثابت ثبوتا قطعيا.

وجملة **﴿ثم لتنبؤن بما عملتم﴾**: ارتقاء فى الإبطال، وحرف **«ثم»** للتراخى النسبى.

أى: قل لهم إنكم لا تبعثون فحسب، بل ستبعثون، ثم تجدون بعد ذلك ماهو أشد من البعث، ألا وهو إخباركم بأعمالكم السيئة، ثم الإلقاء بكم فى النار بعد ذلك.

فالمقصود بالإنباء هنا لازمه، وهو ما يترتب عليه من حساب وعقاب.

واسم الإشارة فى قوله - تعالى - : **﴿وذلك على الله يسير﴾**: يعود إلى البعث وما يترتب عليه من حساب.

أى: وذلك البعث والحساب يسير وهين على الله - تعالى - لأنه - سبحانه - لا يعجزه شىء، ولا يحول دون تنفيذ قدرته حائل.

فهذا التذييل المقصود به: إزالة ما توهموه وزعموه من أن البعث أمر محال، كما قالوا **﴿أئذا ضللنا فى الأرض أئنا لفى خلق جديد﴾**.

٤ - وبعد أن رد القرآن الكريم على مزاعم الكافرين، دعاهم إلى إخلاص العبادة لخالقهم، وإلى تصديق الرسول ﷺ فيما جاء به من عند ربه فقال: **﴿فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا..﴾**.

والمراد بالنور هنا: القرآن الكريم، كما قال سبحانه: **﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا﴾** الشورى: آية ٥٢.

والمعنى: إذا علمتم ما ذكرناه لكم - أيها المشركون - فاتركوا العناد، وآمنوا بالله الذى

خلقكم بقدرته، ورباكم برعايته، وآمنوا برسوله محمد ﷺ إيمانا حقا، وآمنوا - أيضا - بالقرآن **الكريم الذى أنزلناه على عبدنا ورسولنا محمد ﷺ** ليكون هذا القرآن معجزة ناطقة بصدقه ﷺ، واعلموا أن الله - تعالى - مطلع اطلاعا تاما على جميع تصرفاتكم، وسيمنحكم الخير إن آمنتم به، وسيلقى بكم فى النار إن أصررتم على كفركم.

٥ - ثم حذرهم - سبحانه - من أهوال يوم القيامة، فقال: **﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن﴾**، والمقصود بيوم الجمع: يوم القيامة، وسمى بذلك لأنه اليوم الذى يجتمع فيه الأولون والآخرون فى مكان واحد للحساب والجزاء.

وسمى - أيضا - بيوم التغابن لأنه اليوم الذى **يغبِن فيه أهلُ الحق أهلَ الباطل.**

والتغابن تفاعل من الغبن بمعنى الخسران والنقص. يقال: غبن فلان فلانا إذا بخسه حقه، بأن أخذ منه سلعة بثمن أقل من ثمنها المعتاد، وأكثر ما يستعمل الغبن فى البيع والشراء.

أى: قل - أيها الرسول الكريم - لهؤلاء الجاحدين للبعث: قل لهم والله لتبعثن يوم القيامة، ثم لتنبؤن بما عملتم يوم يجتمع الخلائق للحساب، فيغبن فيه أهل الحق أهل الباطل، ويغبن فيه المؤمنون الكافرين، لأن أهل الإيمان ظفروا بالجنة، وبالمقاعد التى كان سيظفر بها الكافرون لو أنهم آمنوا، ولكن الكافرين استمروا على عنادهم فخسروا مقاعدهم فى الجنة، ففاز بها المؤمنون.

قال الإمام القرطبى - رحمه الله - عند تفسيره لهذه الآية: **﴿يوم التغابن﴾**، أى: يوم القيامة، وسمى يوم القيامة بيوم التغابن، لأنه اليوم الذى يغبن فيه أهل الجنة أهل النار. أى: أن أهل الجنة أخذوا الجنة، وأهل النار أخذوا النار على طريق المبادلة، فوقع الغبن على الكافرين، لأجل مبادلتهم الخير بالشر، والنعيم بالعذاب.

ويقال: غبنت فلانا، **إذا بايعته أو شاريته، فكان** النقص عليه، والغلبة لك..»(٢).

٦ - ثم فصل - سبحانه - أحوال الناس فى هذا اليوم الهائل الشديد فقال: **﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار..﴾**.

أى: ومن يؤمن بالله إيمانا حقا، ويعمل عملا صالحا، يمح الله عنه سيئاته التى عملها فى الدنيا بأن يزيلها من صحيفة عمله، فضلا منه - تعالى - وكرما، وفوق ذلك يدخله بفضله وإحسانه جنات تجرى من تحت ثمارها الأنهار، خالدين فيها خلودا أبديا.

وذلك الذى ذكرناه لكم - أيها الناس - من تكفير السيئات، ومن دخول الجنات للمؤمنين الصادقين، هو الفوز الذى لا فوز يقاربه أو يدانيه.

﴿والذين كفروا﴾ بربهم، بأن أشركوا معه فى العبادة آلهة أخرى **﴿وكذبوا بآياتنا﴾** الدالة على وجوب إخلاص العبادة لنا، وعلى صدق نبينا ﷺ **﴿أولئك﴾** الكافرون المكذبون هم **﴿أصحاب النار خالدين فيها﴾** خلودا أبديا **﴿وبئس المصير﴾** مصيرهم النار.

ففى هاتين الآيتين الكريمتين: بيان للتغابن وتفصيل له، لاحتوائهما على بيان منازل السعداء والأشقياء، وهو ما وقع فيه التغابن.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من عباده السعداء.

الهوامش:

١ - تفسير الكشاف جـ٤ ص٥٤٨.

٢ - تفسير القرطبى جـ١٨ ص١٣٦.

لطائف وأسرار

خصوصيات الرسم العثمانى للمصحف الشريف (٢١)

القبض والبسط (٤)

د. عبدالعظيم المطعنى

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ١٦١﴾ البقرة: آية ١٦١.

﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ٦١﴾ آل عمران: آية ٦١.

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ٦٢﴾ الصافات: آية ٦٢.

﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ٤٣ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ٤٤﴾ الدخان: آية ٤٣.

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ٨٩﴾ الواقعة: آية ٨٨، ٨٩.

تقدم أن القبض مصطلح عند علماء علوم القرآن يراد به ربط «التاء» فى بعض كلمات القرآن مثل كلمات:

رحمة، ونعمة، وسنة.

وأن المراد بالبسط ـ عندهم ـ هو فتح «تلك التاء» فى نحو:

رحمت، ونعمت، وسنت.

وهذان المصطلحان رمزان على معان يدلان عليها، تقدم لنا شرح الكثير منها فى الحلقتين السابقتين. ولاتزال أمامنا كلمات أخرى لم نذكرها، وردت فى القرآن الكريم مرسومة إما بالتاء المربوطة = (القبض) وإما بالتاء المفتوحة (البسط).

وقد آثرنا ذكرها وتوجيه الربط والفتح فيها لأن فى ذلك توكيدا وترسيخا للقواعد التى تحكم مجىء الكلمات على رسم مختلف فى كتاب الله العزيز، ومن ذلك كلمة «لعنة» فقد جاءت مربوطة «التاء» فى الرسم القرآنى، فى مثل قوله تعالى: **﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين﴾** البقرة: آية ١٦١.

وقوله تعالى: **﴿ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا: نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين﴾** الأعراف: آية ٤٤.

ومجيء «لعنة» مربوطة «التاء» هو الأصل وهى حينئذ تدل على المعنى العام لكلمة «اللعنة» وهى الطرد والإبعاد عن رحمة الله عز وجل.

وقد جاءت مخالفة للأصل فى موضعين فى الرسم القرآنى، الأول فى قوله تعالى: **﴿فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين﴾** آل عمران: آية ٦١، إن فتح التاء فى كلمة **«لعنت»** فى هذه الآية جاء رمزا للدلالة على معنى لطيف هو: أن المراد من اللعنة هنا هو غضب الله الذى يحل على الكاذب فى الحال، أى الطرد العاجل من رحمة الله، أو العقوبة العاجلة فى وقت الابتهال(١).

من أجل ذلك بسطت «التاء» فى الرسم القرآنى هكذا: **﴿لعنت الله على الكاذبين﴾**.

أما الموضع الثانى فهو قوله تعالى: **﴿والخامسة أن لعنت الله عليه إن كان من الكاذبين﴾** النور: آية ٧.

هذه الآية من الآيات التى فصلت أحكام اللعان بين الزوجين إذا اتهم الزوج امرأته بالزنا ولم يكن له شهود إلا نفسه. فإنه يشهد أربع مرات بالله أنه رآها تزنى، وفى المرة الخامسة يقول - بعد الإقسام بالله - أن لعنة الله عليه إن كان كاذبا فى اتهامه إياها بالزنا ومجيء **«لعنت»** مبسوطة «التاء» غير مقبوضة دليل على أن الله يرتب حلول لعنته على هذا الكاذب فى الحال قبل المآل.

ففتح «التاء» فى هاتين الآيتين يرمز رمزا لطيفا إلى حلول العقوبة على مستحقيها فى الدنيا قبل الآخرة.

وبعض العلماء يقول فى المعنى المدلول عليه بربط «التاء» أو «قبضه» أن المراد به الدلالة على مجرد «التسمية» أو على الاسم. أما فتح «التاء» أو «بسطه»، فإن المراد منه الدلالة على «الفعل» فى الواقع فى الوجود وهذا يعم كل مدلولات الكلمات التى جاءت على رسمين مختلفين فى القرآن الكريم.

***

ومنها كلمة **«شجرة»** فقد رسمت تاؤها مربوطة فى مواضع، ورسمت مفتوحة فى موضع واحد فمن رسمها مربوطة قوله تعالى: **﴿أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم* إنا جعلناها فتنة للظالمين* إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم طلعها كأنه رءوس الشياطين﴾** الصافات: الآيات ٦٢، ٦٤.

جاءت كلمة **«شجرة»** مرسومة بـ«التاء» المربوطة، لأن المراد تصويرها فى الذهن من حيث إنها شجرة عجيبة، فهى نوع من النبات، والنبات لا ينمو ولا يعيش فى النار، لكن قدرة الله لا يعجزها شىء. وأن ثمارها فى بشاعة منظره كأنه رءوس الشياطين فى هولها وفى فظاعتها.

فالمراد من ذكرها فى هذه الآيات التعجيب والتهويل والتبشيع.

أما مجيؤها بـ«التاء» المربوطة، أو المقبوضة فهذا تراه فى قوله عز وجل: **﴿إن شجرت الزقوم* طعام الأثيم* كالمهل يغلى فى البطون* كغلى الحميم﴾** الدخان: الآيات ٤٣ - ٤٦، فتحت «التاء» فى كلمة **«شجرة»** فى الآية لأن المراد ليس مجرد «الاسم» بل المراد هو «الفعل» أى: الأكل. فالبيان القرآنى ذكر **«شجرة الزقوم»**، باعتبارها مصدرا لأكل الآثمين، فهى - كما صورها البيان القرآنى - بمثابة قصيعة أو مادة طعام يأكله «الآثمون» فهم قد التهموه لأنهم جوعى، وازدردوه فملأوا به بطونهم، فطفق يغلى فيها غليانا يشبه غليان السائل فى إناء أوقدت عليه وحوله النار(٣).

قارن بين الموضعين اللذين رسمت فيهما الكلمة: مرة مربوطة، «التاء»: **﴿أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم﴾**.

ومرة مفتوحة «التاء» **«إن شجرت الزقوم»** نجدها فى الموضع الأول كأنها علبة طعام مغلقة.

ونجدها فى الموضع الثانى كأنها مائدة طعام يتكالب عليها آكلوها. وهذا هو «الفعل» أو «الحدث» الذى له صورة محسوسة فى الوجود.

لذلك ربطت «التاء» فى الأول، وفتحت فى الثانى.

***

ومنها كلمة **«جنة»** هذه الكلمة جاءت فى الرسم القرآنى مربوطة، «التاء» وهى مضافة إلى ما بعدها، أو غير مضافة. إلا فى موضع واحد جاءت فيه مفتوحة «التاء» فى قوله تعالى: **﴿فأما إن كان من المقربين* فروح وريحان وجنت نعيم﴾** الواقعة: الآيتان ٨٨، ٨٩.

فتحت «التاء» فى «جنت نعيم» لأن المراد منها هو النعيم الحاضر، الذى يكون مصيرا مباشرا لمن مات من «المقربين» فور خروج روحه من جسده. فهو نعيم واقع فعلا بدءا من تلك اللحظة، التى تفارق الروح فيها الجسد دليل ذلك هو سياق الكلام الذى وردت فيه هذه الآية، وهو **﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم* وأنتم حينئذ تنظرون* ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون* فلولا إن كنتم غير مدينين* ترجعونها إن كنتم صادقين* فأما إن كان من المقربين* فروح وريحان وجنت نعيم﴾** الواقعة: الآيات ٨٣ - ٨٩.

هذه الآيات الكريمة تتحدث عن مشهد يتكرر آلاف المرات فى اليوم الواحد، هو ساعة رحيل كل حى من بنى آدم.

وعطف ﴿روح وريحان وجنت نعيم﴾ على واقعة خروج الروح من الجسد بالفاء هكذا ﴿فروح وريحان وجنت نعيم﴾ دليل على أن حصول هذا النعيم يكون فى الحال، لأن القبر كما جاء فى الحديث الشريف، إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار».

قارن هذا الموضع بقوله تعالى: **﴿واجعلنى من ورثة جنة النعيم﴾** الشعراء: آية ٨٥، وقوله تعالى: **﴿أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم﴾** المعارج: آية ٣٨.

تجد دلالة فى هذين الموضعين تختلف عن دلالتها فى الموضع الأول، فقد كانت الدلالة فيه هو النعيم الواقع فعلا، وهو فوق ذلك نعيم خاص.

أما المراد من كلمة **«جنة نعيم»** فى هذين الموضعين فهو معنى عام كما ترى، وكذلك فإنه غير واقع بالفعل: ففى آية «الشعراء» هو مجرد دعاء من إبراهيم عليه السلام، أن يجعله الله فى المستقبل من أهل الجنة.

وأما فى آية «المعارج» فهو الإشارة إلى طمع الذين كفروا فى أن يدخل الله كل امرئ منهم جنة نعيم، وهم فى الواقع مبعدون عنها.

من أجل ذلك المعنى «اللطيف» فتحت «التاء» فى آية الواقعة: **﴿فروح وريحان وجنت نعيم﴾**، مع ملاحظة أن نظم الآيات الثلاث واحد، ليس فيه فرق إلا فتح «التاء» فى آية الواقعة.

وقبضها فى آيتى «المعارج، والشعراء»، ومنها كلمة «معصية» جاءت مفتوحة «التاء» فى موضعين من سورة واحدة، فى قوله تعالى: **﴿ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصيت الرسول وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير* ياأيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصيت الرسول﴾** المجادلة: الآيتان ٨، ٩.

وفتح «التاء» فى الموضعين رمز إلى معنى لطيف هو أن **«معصيت الرسول»** المراد منها الفعل الواقع من المنافقين فى حال نجوى بعضهم بعضا. بدليل قوله تعالى حاكيا عما كانوا يقولون فى أنفسهم.

﴿لولا يعذبنا الله بما نقول﴾ فهم كانوا يعرفون أن فعلهم هذا معصية.

أما فى خطاب الله المؤمنين فقد نهاهم أن تتضمن مناجاتهم قولا فيه معصية للرسول كما كان يحدث من المنافقين، لأن المناجاة هى الحديث، والحديث واقع فعلا، سواء كان طاعة أو معصية، فإن كان معصية فهى معصية واقعة، فعلا فى الوجود.

ومنها كلمة **«فطرت»** ـ جاءت مفتوحة «التاء» فى القرآن مرة واحدة، وذلك فى قوله تعالى: **﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾** الروم: آية ٣٠.

لأن المراد من **«فطرت الله»** هنا الاستعداد للإيمان وعمل الصالحات، الذى خلق الله عليه الناس، يؤيد هذا قوله ﷺ: **«كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»**(٤).

فالله ـ عز وجل ـ يخلق الناس على صفة الطهر والاستقامة، وهى الفطرة التى فطر الله الناس عليها، وهذه الفطرة النقية الطاهرة تتعرض للفساد بإهمال الوالدين فى التربية، وبما تعكسه البيئات السيئة من الفساد والإفساد، ففتح «التاء» فى **«فطرت الله»** رمز إلى الوجود الفعلى لهذه الفطرة فى الأطفال حين يولدون. فمن عُصِم منهم لازمته هذه الفطرة. ومن ضل أفسدها، وصار مسئولا عنها أمام الناس، يوم يقوم الناس لرب العالمين.

***

ومنها كلمة **«قرة»** حيث وردت فى القرآن مرتين إحداهما مفتوحة «التاء» والأخرى مربوطة «التاء» وكلتاهما مضافتان.

فالأولى وردت فى قوله تعالى: **﴿وقالت امرأة فرعون قرتُ عين لى ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون﴾** القصص: آية ٩.

جاءت كلمة «قرت» هنا مفتوحة «التاء» لأنها بمعنى المسرة والسعادة الحاضرة فى الوجود لأنها وقعت خبرا عن موسى عليه السلام، وكان موسى حيا موجودا فى طور الطفولة الباكرة، فالسرور به كان حاصلا ساعة قالت امرأة فرعون هذا الكلام.

وجاء فتح «التاء» رمزا دالا على هذا المعنى، أما الموضع الثانى الذى رسمت فيه هذه الكلمة بـ«التاء» المربوطة فهو قوله تعالى: **﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما﴾** الفرقان: آية ٧٤.

فمع أنها جاءت على الأصل. وما جاء على الأصل لا يسأل عنه، فإن مقارنتها بالأولى يظهر لها معنى كأن ربط «التاء» جىء به رمزا إليه.

ذلك المعنى هو أن السرور والإسعاد بالأزواج والذريات، ليس له وجود فعلى حين يقال هذا الكلام.

وذلك لأنه دعاء، والدعاء لغة، وشرعًا وعقلا وواقعا يطلب به ما ليس حاصلا وقت الدعاء. وهذا ظاهر لا يحتاج إلى طول تفكير إذن امرأة فرعون كانت تشير بقولها «قرت عين لى ولك»، إلى نعمة حاصلة والمطلوب إبقاؤها، وذلك بالإعراض عن قتل موسى عليه السلام.

أما عباد الرحمن فى سورة «الفرقان» فكانوا يطلبون من الله فضلا لم يكن حاصلا وقت الدعاء.

ومنها كلمة «بقيت» فقد جاءت فى الرسم القرآنى بـ«التاء» المفتوحة. وهى مضافة إلى اسم الجلالة مرة واحدة فى قوله تعالى حكاية عن قول شعيب لقومه: **﴿بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ﴾** هود: آية ٨٦.

فتحت «التاء» فيها لأن المراد فيها ما تبقى حلالا من المال الذى فى أيديهم، بعد أن نهاهم الله

على لسان شعيب، وعن الاحتيال لأكل أموال الناس بالباطل. وذلك فى قوله عز وجل قبل هذه الآية مباشرة.

﴿وإلى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إنى أراكم بخير وإنى أخاف عليكم عذاب يوم محيط* وياقوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين﴾ هود: الآيتان ٨٤، ٨٥، ولا نزاع أن ما بقى فى أيديهم من المال الحلال بعد تنفيذ هذه الأوامر والنواهى، هم متمكنون منه، منتفعون به، وهو مال حاصل لهم، ليس غائبا عنهم، ولا محظورا عليهم الاستمتاع به.

من أجل ذلك فتحت فيها «التاء» إيذانا بحرية التصرف فيها.

***

وبقيت لنا من هذه الكلمات، التى توارد عليها قبض «التاء» وبسطها فى الرسم القرآنى الشريف كلمة واحدة، هى «كلمت» مضافة إلى اسم ظاهر وشاهدنا عليها هو قوله عز وجل: **﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها وتمت كلمت ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون﴾** الأعراف: آية ١٣٧.

فتحت «التاء» فى **«كلمت ربك»** فى هذه الآية، لأن **«كلمت ربك»** هنا تشير إلى واقع فعلى ملموس هو:

- توريث الله الصابرين من بنى إسرائيل فى عهد موسى البقاع التى بارك الله فيها.
- تم تدمير حضارة فرعون وجنوده، وتبوير كل ما عمله هو وقومه فوق سطح الأرض، وهكذا اتضح لنا لماذا تقبض «التاء» ولماذا تفتح فى بعض كلمات القرآن، وأن القرآن مصون من «العبث» فكل مافيه كان بحكمة، حتى رسمه «الخطى» فإن ما اختلف فيه عن الرسم الإملائى العام. وما لوحظ

على بعض كلمات القرآن من اختلاف فى الرسم الخطى للكلمة الواحدة سواء كان ذلك الاختلاف راجعا إلى الحذف أو النقص، مثل «يدعُ» مضارع مرفوع أو الزيادة مثل «بأييد» و«لشاىء» أو اختلاف نوع الحرف، مثل «بصطة ـ بسطة» أو اختلاف هيئة الحرف، مثل: رحمة ـ رحمت» إلى غير ذلك من السمات التى عالجناها من قبل والتى سنعالجها فيما بقى لنا من هذه الدراسة، إن كل هذه الخصوصيات لم تأت عبثا، بل لها دلالات وثيقة الصلة بمفهوم الإعجاز القرآنى المتعددة الوجوه والسمات.

وقبل ختم الحديث عن «القبض والبسط» أو الفتح والربط نعود فنذكر القارئ الكريم بأن هذا النوع من البحث وهو فتح «التاء» و«ربطها» يخضع للضوابط الآتية:

- الأول: أن تكون «التاء» تاء التأنيث.
- أن تكون هذه «التاء» علامة للتأنيث فى الأسماء، مثل «رحمت» لا فى الأفعال مثل: «قالت».
- أن تكون الكلمة خالية من الألف واللام = (أداة التعريف).
- أن تكون مضافة.
- أن تكون إضافتها إلى اسم ظاهر لا ضمير.

ومن ينظر فى النماذج التى تقدمت فى هذا المبحث يجد كل هذه الضوابط حاصلة فيها.

الهوامش:

١ ـ اللعان، ويقال فيه «الملاعنة» كذلك مبحث فقهى يقضى فيه بالفصل فى الخصومة التى تنشأ بين الزوجين إذا اتهم الزوج امرأته بالزنا وليس له شهود إلا نفسه.

٢ ـ انظر المباهلة والابتهال تفسير الزمخشرى (الكشاف) (٤٣٤/١).

٣ ـ انظر مفاهيم القرآن فى تفسير «فتح القدير» للإمام الشوكانى (الجزء السادس سورة الدخان).

٤ ـ نقله السيوطى فى الجامع الصغير (٦ ـ ١٥٨) ورواه البيهقى فى شعب الإيمان وأبو يعلى فى مسنده، والطبرانى فى المعجم الكبير.

من التراث الإسلامى

ترتيب سور القرآن الكريم

للإمام جلال الدين السيوطى

-١-

هذا الكتاب «ترتيب سور القرآن» وضع له مؤلفه الإمام السيوطى اسما حيث سماه «تناسق الدرر فى تناسب السور»، ومنه نسخة خطية واحدة ضمن مجموعة برقم ٤١٩ تفسير تيمور بدار الكتب المصرية، وقد حققه عبدالقادر عطا ونشره عام ١٩٧٦م بعنوان «أسرار ترتيب القرآن».

وأعاد د. السيد الجميلى تحقيقه وكتب مقدماته بعنوان: «تناسق وترتيب سور القرآن» كما يذكر المحقق نفسه، ولكن مكتبة الهلال نشرته بعنوان «ترتيب سور القرآن». والمؤلف هو الإمام الجليل جلال الدين عبدالرحمن السيوطى (٨٤٩- ٩١١هـ - ٤٤٥- ١٥٠٥م) وهو من أعلام مصر وعلمائها الكبار فى القرن التاسع الهجرى وأوائل القرن العاشر.

د. محمد عبدالمنعم خفاجى

وقد عاش السيوطى حياته كلها مع الكتاب والتأليف والتدريس والفتيا، ومع تلاميذه، ولكنه فى العشرين سنة الأخيرة من حياته اعتزل الناس ولزم بيته للتأليف والكتابة والقراءة، وكان من ثمرة ذلك كتبه الموسوعية الجليلة فى مختلف فروع الثقافة الإسلامية، التى كان يعد من أئمتها وأعلامها الكبار. وقد بلغت مؤلفاته ستمائة مؤلف كما يذكر ابن إياس المؤرخ الشهير، والسيوطى فى كتابه «حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة» يذكر أن مؤلفاته بلغت وقت تأليفه لهذا الكتاب ثلاث مائة مؤلف، ويذكر بروكلمان أنها تبلغ أكثر من أربعمائة، وأحصى له المستشرق «فاوكل» ٥٦١ مؤلفا.

وعن السيوطى يقول تلميذه الداودى (٩٤٥هـ) فى انبهار بعظمة شيخه «كان السيوطى فى سرعة الكتابة آية كبرى من آيات الله».

وليس فى العالم من بلغ ما بلغه السيوطى فى كثرة المؤلفات سوى «رامون قول» الاسبانى أحد كُتاب العصور الوسطى بلغت مؤلفاته نحو الخمسمائة.

وقد اعتمد السيوطى على النقل والعقل، وأضاف فى العلوم الإسلامية والعربية إضافات كثيرة وجديدة وكان يعد نفسه المبعوث الإلهى فى القرن التاسع الهجرى ليجدد للأمة الإسلامية

دينها مصداقا للحديث الشريف «إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة لهذه الأمة من يجدد لها دينها».

ـ٢ـ

ويذكر السيوطى فى مقدمة كتابه فى ترتيب سور القرآن أنه ألف كتابه «أسرار التنزيل» مشتملا على بضعة عشر نوعا من أنواع هذه الأسرار، وأنه أفرد جزءا فى نوع خاص من هذه الأنواع، هو «مناسبات ترتيب السور» ليكون عجالة لمريده وبغية لمستفيده لقلة من تكلم فى ذلك. أو خاض فى هذه المسالك. وقد كنت أولا سميته «نتائج الفكر فى تناسب السور». ثم عدلت وسميته «تناسق الدرر فى تناسب السور»، لأنه أنسب بالمسمى.

ويخوض السيوطى فى كتابه فى الحديث عن كل ما يتصل بأسرار ترتيب السور فى القرآن الكريم، فيذكر سور القرآن سورة سورة، وما يتصل بها مما يدور فى الأغلب حول ترتيب السور القرآنية ويتصل بصلة كل سورة بما قبلها وما بعدها، وأسرار وضع كل سورة فى موضعها.

ففى سورة الجن مثلا يقول السيوطى: قد فكرت مدة فى وجه اتصالها ـ أى اتصال هذه السورة ـ بما قبلها فلم يظهر لى سوى أنه ـ أى الله عز وجل ـ قال فى سورة «نوح» قبلها **﴿استغفروا ربكم إنه كان غفارا* يرسل السماء عليكم مدرارا﴾** نوح: الآيتان ١٠، ١١، وقال فى هذه السورة ـ الجن ـ: **﴿وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا﴾** الجن: آية ١٦، وهذا وجه بين فى الارتباط.

وأقول لشيخنا السيوطى: لِمَ لا يكون وجه الاتصال بين سورة نوح وسورة الجن أن نوحا أكد لقومه أمر البعث: **﴿والله أنبتكم من الأرض نباتا* ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا﴾** نوح: الآيتان ١٦، ١٧، وفى سورة «الجن» تأكيد للبعث فى قوله تعالى: **﴿قل إن أدرى أقريب ما توعدون أم يجعل له ربى أمدا﴾** الجن: آية ٢٥.

ـ٣ـ

ويذكر السيوطى فى كتابه نقلا عن الكرمانى فى «البرهان» أن ترتيب السور كما فى المصحف الشريف الذى بين بصرنا وبين أيدينا هو من عند الله تعالى فى «اللوح المحفوظ» وهو على هذا الترتيب، وكان يعرض النبى ﷺ على جبريل عليه السلام ما اجتمع لديه منه، وعرضه ﷺ فى السنة التى توفى فيها مرتين.

ويروى السيوطى أن وضع الآيات موضعها إنما كان بالوحى، وينقل عن البيهقى أن القرآن كان على عهد النبى ﷺ مرتبا سوره وآياته على هذا الترتيب.

كما يروى عن أبى جعفر النحاس أن المختار أن تأليف آيات السور على هذا الترتيب من رسول الله ﷺ كما ينقل عن الحافظ ابن حجر أن ترتيب معظم السور توقيفى أى من الله عز وجل، فترتيب السور على ماهو عليه فى المصحف الآن كان على عهد النبى ﷺ.

ويقول السيوطى: وليس هنا شىء أعارض به ـ أى القول بأن ترتيب السور توقيفى من الله عز وجل ـ سوى اختلاف مصحف أبى بن كعب وابن مسعود، فلو كان ترتيب السور توقيفا لما وقع فيهما اختلاف فى ترتيب السور كما لم يقع فى ترتيب الآيات.

ومجمل القول: إن العلماء اختلفوا فى ترتيب السور: هل هو بترتيب من النبى ﷺ عن طريق الوحى أو أن ترتيب السور كان باجتهاد من الصحابة مع الإجماع على أن ترتيب الآيات فى السور كان بتوقيف من النبى ﷺ عن جبريل عن رب العزة جل جلاله.

فبعض العلماء رأى أن ترتيب السور كان باجتهاد من الصحابة، ومن هؤلاء: مالك وابن فارس ويستدلون على ذلك بالاختلاف فى ترتيب السور فى مصاحف السلف: فمنهم من رتبها على

النزول وهو مصحف على الذى كان أوله «اقرأ»، ثم البواقى على ترتيب نزول المكى ثم المدنى. وكان أول مصحف ابن مسعود البقرة، ثم النساء ثم آل عمران، وكذلك كان مصحف أبى بن كعب وغيره.

وآخرون من العلماء قالوا: إن ترتيب السور فى المصحف توقيفى، ومنهم القاضى أبو بكر الباقلانى فى أحد قوليه.. فترتيب السور فى المصحف كترتيب الآيات فى السور كله توقيفى كان عن النبى ﷺ، فمن قدم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم القرآن، ويؤيد ذلك الكرمانى والبيهقى وأبو جعفر النحاس (المتوفى عام ٣٣٩هـ) وابن حجر وسواهم.

والمصاحف التى وقع فيها الاختلاف فى ترتيب السور هى مصحف أبىّ وابن مسعود، فكلاهما قدم فيه السور الطوال، ثم السور المثانى، ثم المفصل كمصحف عثمان، وإنما اختلفوا فى ترتيب سور كل قسم من هذه الأقسام.

ويرجح السيوطى الرأى القائل بأن ترتيب السور فى المصحف توقيفى عن النبى ﷺ عن جبريل عن رب العزة جل جلاله.

ومما يدل على ذلك توالى الحواميم، وتوالى السور المبدوءة بـ«الر».

وليس هنا - كما يقول السيوطى - شىء أعارض به سوى اختلاف مصحف أبىّ بن كعب ومصحف ابن مسعود ولو كان الترتيب توقيفا لما وقع فى هذين المصحفين اختلاف، مثل ترتيب الآيات فى السور الذى لم يقع فيه اختلاف.

ويجيب السيوطى عن هذا الاعتراض: أن الترتيب العثمانى هو الذى استقر فى العرضة الأخيرة ولم يبلغ ذلك ابن مسعود ولا أبى بن كعب كما لم يبلغهما نسخ ما وضعاه فى مصاحفهما من القراءات التى تخالف المصحف العثمانى.

فترتيب كل المصاحف إذن - توقيف واستقر التوقيف فى العرضة الأخيرة على القراءات العثمانية المنسوخات. ولم يبلغ النسخ هؤلاء الأعلام من الصحابة، ومما وقع فيه النسخ دعاء القنوت فى الوتر، وهو: اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثنى عليك ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك، اللهم إياك نعبد، ولك نصلى ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك ونخشى عذابك، إن عذابك الجد بالكفار ملحق (٣: ٨٥ الإتقان للسيوطى).

ومما تقدم كله نعلم علما يقينيا أن ترتيب الآيات فى السور توقيفى بالإجماع وأن ترتيب السور فى المصحف الأرجح أنه توقيفى كذلك.

- ٤ -

ويذكر السيوطى فى كتابه وجوها من وجوه اتصال كل سورة بما قبلها، ومن هذه الوجوه:

١ - اتحاد الفواتح كالحواميم و الر.

٢ - موافقة آخر السورة لأول السورة بعدها.

وأخرج ابن أبى شيبة عن ربيعة أنه سئل: لم قدمت البقرة وآل عمران وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة بمكة، وإنما نزلتا بالمدينة؟ فقال: قدمتا وألف القرآن على علم ممن ألفه، وقد اجتمعوا على علمهم بذلك فهذا مما ينتهى إليه ولا يسأل عنه (٥٢/١ القرطبى).

ويتحدث السيوطى عن الصلة بين سورتى الضحى، وألم نشرح.. ليقول:

ألم نشرح شديدة الاتصال بسورة الضحى، وقد ذهب بعض السلف إلى أنهما سورة واحدة بلا بسملة بينهما، وفى حديث الإسراء: أن الله تعالى قال: «**يا محمد ألم أجدك يتيما فآويت، وضالا فهديت، وعائلا فأغنيت، وشرحت لك صدرك، وحططت عنك وزرك، ورفعت لك ذكرك، فلا أذكر إلا ذكرت**» الحديث أخرجه ابن أبى حاتم. وفى هذا أوفى دليل على اتصال السورتين معنى.. والله أعلم.

الإشارات القرآنية إلى الطبائع البشرية

د. السيد الجميلى

إن الله سبحانه وتعالى كرم الإنسان على مخلوقاته كافة، فحسب الإنسان فخرا وشرفا أن سواه فعدله فى أى صورة ما شاء ركبه، وفضله بنعمة العقل الذى هو مناط التكليف والتشريف فكان التكليف بالأمر والنهى تكريما وإيثارا لا مزيد عليه.

والإنسان فى أصل جبلته الأولى وخلقه التشريحى والنفسى يدور حول طبعه الموروث من كلا الأبوين بالسليقة المفطور عليها وهى التى يُعزى إليها صفاته ومخايل شخصيته الظاهرة وما داخلها من أسرار باطنة كامنة فى مطاويها.

ولكن قد يسيطر هذا الطبع الموروث على الشخصية سيطرة جزئية أو كاملة، وقد تسيطر الشخصية على الطبع أيضا بالمقابل إما جزئيا أو كليا.. وفى كلتا الحالتين وكلا الأمرين اللذين هما الأصل تنجلى الصورة الزاهية النقية لجوهر المعدن، لكن هذا لا يمنع ولا يمكن أن يمنع توله عشرات بل ربما مئات الفروع الطبيعية التى تتدرج فى السمات والصفات ترقيا وتساميا أو نزولا وهبوطا، وكل هذه الدرجات أو الدركات مرصودة.

ثم إن الشخصية بما أضيف إليها من مكسوبات البيئة والظروف المخامرة، والأحوال الملابسة - تصبح قادرة على معالجة طفرات الطبع، والتصدى لسلبياته السلوكية.. على النقيض من زعم الزاعمين بأن الطبع الممتد من أصلاب الآباء وأرحام الأمهات ثابت راسخ لا يلحقه تغيير ولا تبديل.

إنه فى دولاب الحياة توجد كل الأصول الطباعية بكل خصالها وخصائصها وتفريعاتها، وهذه الألوان عجيبة التكوين والتلوين إزاء أحداث الواقع، حتى إنه من الممكن أن يستنبط الأريب الخبير الممارس لأول وهلة من مجرد كلمة أو طرفة أو بادرة أو فارطة من الشخص - تصنيف طبعه وتكييف تركيبه وتوصيف جهازه النفسى شعوريا ولا شعوريا.

إن السلوكيات والحركات التى تصدر من الميسور ترجمتها إلى حقائق نافعة مفيدة مهما كانت عرضية أو عشوائية أو تلقائية ارتجالية.

لوحظ أن السواد الأعظم من البشر والغالبية العظمى من الناس على مختلف هوياتهم وثقافاتهم ومشاربهم - يكونون ضحية لطبع سقيم ولم يستطع أحد منهم أن يتحرر من سطوته أو يفكر فى علاجه ومداواة سلبياته إلا فى أضيق الحدود.

وقد أشار المتنبى - رحمه الله - إلى هذه الحقيقة المرة والظاهرة الفاشية فى قوله:

وكم من عائب قولا صحيحا

وآفته من الفهم السقيم

إشارات القرآن للطبائع البشرية

قبل الولوج إلى جواهر المسائل نرى وجوب الإشارة والتنبيه والتنويه عن عدة ملاحظات وتحفظات:

غضب الله تعالى:

أولا: إن الغضب من أقبح الخلال والطباع البشرية لكن بالنسبة لله تعالى فإن الغضب ليس اسما من أسمائه.

وغضبه سبحانه وتعالى ليس كغضب البشر المطبوعين عليه فإن غضب المخلوقين ينطوى على الظلم والفحش والتهور والخرق والهضم فى أغلب أحواله وتتجلى وحشية النفس البشرية وحماقتها فى أعلى مجاليها وأدنى مستواها فى الطبع الغضبى.

لكن غضبية الله تعالى إنما هى عدل مطلق ونزاهة وتصون عن الظلم والحيف، من ثم فإن المشاركة اللفظية بين الخالق والمخلوق فى لفظ الغضب لابد من إخضاعها لقوله تعالى: ﴿**ليس كمثله شىء**﴾.

غضب الأنبياء ـ عليهم السلام ـ

ثانيا: الأنبياء كلهم مبشرون بالجنة، لكونهم مختارين مخلصين من رب العزة، فالغضب عندهم ليس بنقيصة حتى تقدح فى عصمتهم وسلامتهم، وكمال إيمانهم، لكن وردت هذه الحال أو الصفة على سبيل ضرب الأمثال ليس إلا وحتى يكونوا قدوة لتعليم المكلفين كيف يتصرفون إزاء بوادر الطبائع وفوارط السلبيات ويرسم الحق بهذه الأمثلة الطريق السليمة للعفو والعافية بالمسارعة بالتوبة والإنابة والرجوع لأنه سبحانه جل شأنه كما قال: «سبقت رحمتى غضبى».

إن الأنبياء جميعا أعذارهم مقبولة ممهودة، وأخطاؤهم مغفورة، وطبائعهم مرضية.

ثالثا: كل مغضوب عليه مبشر بالهلاك، كما أن كل مرضى عنه ناج لا محالة.

غضب موسى عليه السلام

قال تعالى: ﴿**قال ياهارون ما منعك إذا رأيتهم ضلوا* ألا تتبعنِ أفعصيت أمرى* قال يَبْنَؤُمَّ لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى إنى خشيت أن تقول فرقت بين بنى إسرائيل ولم ترقب قولى**﴾ طه: الآيات ٩٢ ـ ٩٤.

السلوكيات والحركات التي تصدر من الإنسان من اليسير ترجمتها إلي حقائق نافعة مهما كانت عرضية أو عشوائية

١ ـ توضح الآيات قوة موسى وشدة غضبيته التى تتمثل فى الثورة العارمة إذ أخذ بلحية أخيه وبرأسه.

﴿**ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتمونى من بعدى أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه قال ابن أمَّ إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى فلا تُشمت بى الأعداء ولا تجعلنى مع القوم الظالمين* قال ربِّ اغفر لى ولأخى وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين**﴾(١) الأعراف: الآيتان ١٥٠، ١٥١.

﴿**ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح**﴾(٢) الأعراف: آية ١٥٤.

كان موسى على درجة رهيبة من الغضبية لانحراف قومه عن عبادة الله تعالى جل شأنه(٣).

وتصوير الآيات لقوة موسى وقوة عارضته وفحولة تركيبه جلية لا مزيد على بيانها، وبنفس القدر تصوير وهن هارون وهوان شأنه عند قومه(٤).

موقف آخر من مواقف موسى عليه السلام عندما استغاثه الإسرائيلى (الذى من شيعته) على القبطى الفرعونى (الذى من عدوه).

قال الله تعالى: **﴿فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين﴾**(٥) القصص: آية ١٥.

فطن موسى لأول وهلة أن الشيطان هو الذى هيَّج غضبه وهذا يشير إلى أنه لم يرد قتل القبطى، فاستغفر ربه؛ فغفر له **﴿قال رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له إنه هو الغفور الرحيم﴾** القصص: آية ١٦.

وهذا مفاده أن المسارعة بالتوبة وإلى الإنابة من السنن المحمودة والسجايا المرضية مع الإقرار بالخطأ والاعتراف به وعدم العودة إليه حتى تكون التوبة نصوحا(٦).

لكن بعد هذا الندم وهذه التوبة المقبولة التى لم تكد تمر عليها أربع وعشرون ساعة ولم يزل موسى متألما ألما وجيعا على ما بدر منه من قتل خطأ فى اليوم السابق حتى عاود الإسرائيلى الذى استنصره بالأمس استصراخه فما كان من موسى إلا أن ابتدره قائلا: **﴿إنك لغوى مبين﴾**، ولما رأى الإسرائيلى موسى على وشك الهياج وقد بدا الغضب فى عينيه، ولاح الثوران والتجهم على قسمات وجهه ارتعب الإسرائيلى وذعر واستولى عليه الفزع والهلع واستطار قلبه خشية أن يفتك به موسى فصرخ **﴿أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبارا فى الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين﴾** القصص: آية ١٩.

لكن حقيقة الأمر أن ظاهر النص القرآنى أن موسى إنما أراد واتجهت نيته إلى البطش بالقبطى (الفرعونى) وليس الإسرائيلى **﴿فلما أن أراد أن يبطش بالذى هو عدو لهما﴾**(٧).

كيف كان موسى نادما كل الندم آسفا كل الأسف على ما فرط منه قبل يوم واحد من قتل خطأ، وفى اليوم التالى يعمد إلى قتل عمد؟! إنها سلوكيات الطبع الغضبى.

الهوامش:

١ - راجع ما حرره العلماء فى تفسير القرطبى، وروح المعانى للإمام الألوسى ٩/٦٦ - ٦٨.

٢ - هنا انكسرت حدة غضب موسى عندما تساير عنه الغضب.

٣ - قال ابن عباس: لما رجع موسى من المناجاة غضبان، ألقى الألواح من شدة الضجر وأخذ بشعر رأس أخيه يجره إليه ظنا منه أنه قصَّر فى كفهم عن ذلك (بتصرف من تفسير الطبرى ١٣/١٢٣ والألوسى فى روح المعانى ٩/٦٦ وما بعدها).

٤ - لأن مجرد أن انصرف موسى إلى الميقات تحولوا إلى عبادة العجل ولم يحفلوا بهارون.

٥ - وكزه: لكزه - راجع لسان العرب لابن منظور ٧/٢٧٣، ٢٧٤، وما بعدها والقرطبى فى تفسيره ١٣/٣٦٠ - ٢٦١.

٦ - وهذا مؤدى قوله تعالى: **﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما﴾** النساء: آية ١٧. نرجو مراجعة ما ذكره الرازى فى تفسيره الكبير ٩/٢٣٥.

٧ - قال الإمام الطبرى ٢٠/٣١ وابن عباس: أراد أن يبطش بالقبطى (الفرعونى فظنَّ الإسرائيلى أنه يريده، لكن ورد عن الحسن أن الصارخ المستغيث هنا هو القبطى انظر القرطبى ١٣/٢٦٥ ولكن المختار عند الإمام الطبرى هو الأولى.

من أسرار الحياة فى القرآن الكريم

المــوت والحيــاة

حدثان مهمان هما الموت والحياة، ولا خلاف على أنهما ينتظمان جميع الخلائق من الإنس، والجان، والملائكة، والدواب، وجميع الأزواج ما علمنا منها ومالم نعلم، ولكل شىء بما فى ذلك الجماد، لحظتان، أولاهما لحظة الميلاد ولحظة الوفاة، وبين تلك اللحظتين تحدد فترات دوام المخلوقات. ونرقب فى كل وقت حياة تبدأ وموتا يقع، وطفلا يولد وآخر يموت؛ حبة تفلق عن وليد جديد ونباتا آخر هشيمايموت، ونجما يولد وآخر يهوى، وهكذا يتعاقب الموت والحياة، ولا تنجو الخلائق من الهلاك ويبقى الحى الذى لا يموت، لأنه الأول قبل كل أول والآخر بعد كل آخر، ظاهر لا شىء، فوقه، باطن لاشىء بعده، وصدق الله حيث يقول: ﴿ولا تدع مع الله إلها آخر لا إله إلا هو كل شىء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون﴾ القصص: آية ٨٨.

د. حسنى حمدان الدسوقى

- **﴿كل من عليها فان﴾ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾** الرحمن: الآيتان ٢٧، ٢٨.

فلا نعبد معه غيره فإنه لا إله إلا هو، قال ابن عباس: لما نزلت هذه الآية **﴿كل من عليها فان﴾**، قالت الملائكة هلك أهل الأرض فنزلت **﴿كل شىء هالك إلا وجهه﴾**، فأيقنت الملائكة بالهلاك، وقد يكون فى هلاك الشىء بقاء لجزء منه أو أثر يدل عليه، أما فناء الشىء فيعنى زواله، والبقاء عكس الفناء، وآية سورة الرحمن السابقة آية محكمة تثبت أن البقاء لله وحده وأن الهلاك والفناء على كل شىء مضروب، وحيث أن الحديث هنا مقصور على الكائنات: ترى كم عدد الكائنات التى هلكت وعادت إلى الأرض منذ أن بدأ الخلق؟ التحديد الحقيقى ليس فى مقدور العلماء ولكنه فقط فى مقدور من أحصى كل شىء عددا.. وصدق الله حيث يقول:

- **﴿وأحاط بما لديهم وأحصى كل شىء عددا﴾** الجن: آية ٢٨.
- **﴿وكل شىء أحصيناه فى إمام مبين﴾** يس: آية ١٢.

والبشر اليوم يربو عددهم عن الستة مليارات، وعددهم منذ خلق الله آدم لا يمكن لنا معرفته، فإذا كنا نحن البشر نمثل نوعا واحدا من أربعة ملايين ونصف من الخلائق التى تعيش اليوم، فكم عدد الأنواع، ولا أقول أفراد الأنواع منذ أن نشأت الحياة على الأرض منذ أربع آلاف مليون سنة.

إن العدد الكبير جدا ليس بمقدور العلماء حصره، والذى يستطيع حصر الرقم الحقيقى هو الذى يقول: **﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم مافى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين﴾** الأنعام: آية ٥٩.

وعند حصر الآيات التى ورد فيها ذكر كلمة

الموت والتى ذكر فيها كلمة الحياة فى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (جزى الله صاحبه خير الجزاء)، نجد أن «الموت» ذكر ٣٥ مرة و«الحياة» ٧١ مرة. ومن تدبر المعانى فى الآيات التى ذكر فيها الموت يتضح لنا الآتى:

١ ـ الله هو الحى الذى لا يموت وجميع الخلائق تموت.

٢ ـ الله هو أمات وأحيا وهو يحيى ويميت وهو الوارث.

٣ ـ كل نفس ذائقة الموت.

٤ ـ الله خلق الموت والحياة، والموت مقدر: والله هو الذى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى.

٥ ـ من يقتل فى سبيل الله لا يموت.

٦ ـ الله يتوفى الأنفس عند موتها وفى منامها.

٧ ـ الموت اثنتان والحياة اثنتان.

٨ ـ من لم يعش بنور الله ميتٌ.

٩ ـ الموتى لا يسمعون.

١٠ ـ تمنى الموت ذكر مرة واحدة على لسان مريم البتول وهى فى محنتها.

١١ ـ دعاء ورجاء أن يموت المسلم على إسلامه.

١٢ ـ الوصية عند الموت.

١٣ ـ رؤية إحياء الموتى معجزة الله لبعض أنبيائه.

١٤ ـ لا موت ولا حياة فى جهنم.

١٥ ـ لاصلاة ولا قيام على من مات كافرا ومنافقا.

١٦ ـ ممات المؤمن غير ممات الكافر.

١٧ ـ لعن الله من مات على الكفر، ولن يقبل فداء منه، ولن يقبل منه عمل، ولن يغفر له.

١٨ ـ للموت سكرة، ومشهده مريع بالنسبة للكافر.

١٩ ـ الموت غيب مكانا وزمانا.

٢٠ ـ أكل الميتة حرام.

وفى المقابل حينما نتدبر معانى الحياة فى القرآن الكريم تتوارد إلينا المعانى التالية:

١ ـ الله هو الحى القيوم، الحى الذى لا يموت، يخرج الحى من الميت، ويحيى الموتى، ويحيى الأرض بعد موتها.

٢ ـ كل شىء حى من الماء.

٣ ـ الحياة الدنيا زينة، ومتاع، وغرور، ولعب ولهو، وعرض، وهى عز للمؤمنين، وذلة للكافرين، زينتها المال والبنون..

٤ ـ الدار الآخرة هى الحيوان.

٥ ـ حياة النفس من أقدس الحرمات، ومن أحيا نفسا فكأنما أحيا الناس جميعا.

٦ ـ كيفية إحياء الموتى، وإحياء الموتى بإذن الله معجزات أراها الله لبعض رسله وأنبيائه.

٧ ـ الحياة اثنتان.

٨ ـ فى القصاص حياة.

٩ ـ غالبا ما يتقدم ذكر الحياة على الموت فى الآيات القرآنية التى يرد فيها ذكرهما معا.

١٠ ـ اليهود أحرص الناس على حياة، والذين أشركوا يودون طول البقاء فى الدنيا.

١١ ـ ينكر الكفار حياة الآخرة ويعجبون من الحياة بعد الموت.

والملاحظة العجيبة أن ذكر مادة الموت ومشتقاتها يبلغ عددها ١٦٣ مرة، أما ذكر مادة الحياة ومشتقاتها فقد ذكرت ١٦٠ مرة.

ومما سبق نخلص إلى ضرورة تدبر الفرق بين الهلاك والفناء بالنسبة للأشياء، إحصاء عدد المخلوقات ليس فى مقدور البشر، وهنا يتجلى اسم الله المحصى، علم الماضين والحاضرين والآتين فى كتاب مبين عند الله، كل شىء حى من الماء.

وسوف نناقش كيف أن الموت مخلوق وكيف تذوقه خلايا الجسم فى كل لحظة من عمر الإنسان، وكيف يخرج الحى من الميت، والميت من الحى فإلى لقاء آخر نجيب فيه عن خلق الموت.

﴿قد نرى تقلب وجهك فى السماء

فلنولينك قبلة ترضاها﴾

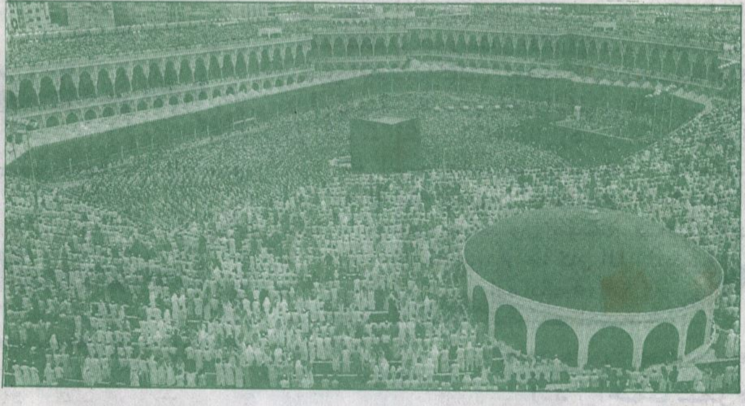

- تحويل القبلة وفضل ليلة النصف من شعبان
- تحويل القبلة والدروس المستفادة
- تحويل القبلة تثبيت للإيمان وتحديد للمنهج
- يوم تحويل القبلة
- قبلة الصلاة
- شرف القبلة والاتجاه إليها

تحويل القبلة وفضل ليلة النصف من شعبان

قال الإمام البخارى - رحمه الله: - حدثنا عمرو بن خالد قال: حدثنا زهير قال: حدثنا أبو إسحاق، عن البراء أن النبى ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده أو قال أخواله من الأنصار، وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن صلى معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون، فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت، وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلى قبل بيت المقدس وأهل الكتاب فلما ولى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك، قال زهير: حدثنا أبو إسحاق، عن البراء فى حديثه هذا. أنه مات على القبلة قبل أن تحول رجال وقتلوا، فلم ندر ما نقول فيهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾.

أ. د/ أحمد عمر هاشم

لقد كان رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - يصلى نحو بيت المقدس ويكثر النظر إلى السماء ينتظر أمر الله، فأنزل الله **﴿قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾** البقرة: آية ١٤٢، فقال رجال من المسلمين: وددنا لو علمنا علم من مات منا قبل أن نصرف إلى القبلة، وكيف بصلاتنا نحو بيت المقدس، فأنزل الله: **﴿وما كان ليضيع إيمانكم﴾**، وقال السفهاء من الناس وهم مشركو العرب وقيل: أحبار اليهود أو المنافقون أو أهل الكتاب: **﴿ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها﴾** فأنزل الله: **﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم﴾** البقرة: آية ١٤٢.

وذكر بعض العلماء أن تحويل القبلة نزل على رسول الله ﷺ وقد صلى ركعتين من الظهر وذلك فى مسجد بنى سلمة فسمى مسجد القبلتين، وقد روى أنهم جاءهم الخبر بذلك وهم فى صلاة الظهر، فتحول الرجال مكان النساء، والنساء مكان الرجال. وأما أهل قباء، فلم يبلغهم الخبر إلى صلاة الفجر من اليوم الثانى كما جاء فى الصحيحين، عن ابن عمر - رضى الله عنهما - أنه قال: بينما الناس بقباء فى صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة.

وفيما رواه الإمام أحمد - بسنده - عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ - يعنى فى أهل الكتاب - **«إنهم لا يحسدوننا على شىء كما يحسدوننا على يوم الجمعة التى هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى القبلة التى هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى قولنا خلف الإمام آمين»**.

ولقد شرع الله سبحانه وتعالى التوجه أولا إلى بيت المقدس ثم صرف رسوله ﷺ عنه إلى الكعبة، ليظهر حال من يتبعه ويطيعه ويستقبل معه حيثما توجه ممن ينقلب على عقبيه، ويرتد عن الدين، وإن كان هذا الأمر عظيما فى النفوس وكبيرا عليها، إلا على الذين شرح الله صدورهم للهدى، وأيقنوا بتصديق الرسول ﷺ وأن كل ما جاء به فهو الحق، بخلاف أولئك الذين فى قلوبهم مرض فإنهم كلما حدث أمر، أحدث لهم شكا، قال الله تعالى: **﴿وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم﴾** البقرة: آية ١٤٣.

عن ابن عباس: كان أول ما نسخ من القرآن القبلة، وذلك أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة وكان أكثر أهلها اليهود فأمره الله أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها رسول الله ﷺ بضعة عشر شهرا، وكان يحب قبلة إبراهيم فكان يدعو الله وينظر إلى السماء، فأنزل الله تعالى: **﴿قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون﴾** البقرة: آية ١٤٤.

وقد جاء فى صحيح البخارى أن أول صلاة صلاها متوجها إلى الكعبة هى صلاة العصر.. وعن ابن سعد: «حولت القبلة فى صلاة الظهر أو العصر»، قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى: والتحقيق أن أول صلاة صلاها فى بنى سلمة لما مات بشر بن البراء بن معرور الظهر، وأول صلاة صلاها بالمسجد النبوى العصر، وأما الصبح فهو من حديث ابن عمر بأهل قباء.

ويستنبط من هذه القصة: أهمية القبلة ومنزلتها فى الإسلام، وعناية القرآن والسنة بشأنها.

كما يستنبط كذلك: قبول خبر الواحد.. وأيضا: بيان شرف المصطفى ﷺ وكرامته على ربه، لإعطائه له ما أحب من غير تصريح بالسؤال.

للليلة النصف من شعبان فضلها ومنزلتها يقبل الله فيها الدعاء ويرحم العباد ويقبل توبة التائبين ويحقق رجاء القاصدين

وبيان ما كان فى الصحابة من الحرص على دينهم والشفقة على إخوانهم تلك الشفقة التى دفعتهم إلى السؤال عن أحوال من قضى نحبه منهم وكان يصلى إلى بيت المقدس قبل تحويل القبلة وكان قول الله تعالى: **﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم﴾**، وقال الحسن البصرى: أى ما كان الله ليضيع محمدا ﷺ وانصرافكم معه حيث انصرف **﴿إن الله بالناس لرءوف رحيم﴾**. وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ رأى امرأة من السبى قد فرق بينها وبين ولدها فجعلت كلما وجدت صبيا من السبى أخذته فألصقته بصدرها وهى تدور على ولدها، فلما وجدته ضمته وألقمته ثديها فقال رسول الله ﷺ **«أترون هذه طارحة ولدها فى النار وهى تقدر على ألا تطرحه؟ قالوا: لا يارسول الله قال: «فو الله لله أرحم بعباده من هذه بولدها»** سبحانه هو الرحمن الرحيم.

ليلة النصف من شعبان

لليلة النصف من شعبان منزلة كريمة، ومكانة عظيمة فهى احدى ليالى الشهر الذى ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، وقد وردت نصوص من الأحاديث النبوية الشريفة توضح فضل ليلة النصف من شهر شعبان وكل حديث يوضح فضلا وفائدة، وينبه عن أمر مهم من ذلك:

- ما روى عن الدارقطنى وابن ماجه - بالسند الحسن - عن على كرم الله وجهه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها، فإن الله تعالى ينزل فيها إلى سماء الدنيا فيقول ألا من مستغفر فأغفر له؟ ألا من مسترزق فأرزقه؟ ألا من مبتلى فأعافيه؟ ألا كذا ألا كذا حتى يطلع الفجر».**

وفى هذا الحديث ما يفيد أن الله تعالى يجيب فى هذه الليلة دعاء السائلين، ويحب من عباده أن يتوجهوا إليه بالدعاء.

- وروى الطبرانى عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ «يطلع الله على عباده ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن - وفى رواية أوقاتل نفس»، وفى هذا إبعاد للمشرك والمشاحن وقاتل النفس من أن يحظى بفضل الله تعالى فى هذه الليلة.

- روى الترمذى - فى النوادر - والطبرانى وابن شاهين من حديث عائشة - رضى الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ «هذه ليلة النصف من شعبان يغفر الله للمستغفرين ويرحم المسترحمين ويؤخر أهل الحقد على حقدهم». وفى هذا تأخير وإبعاد لأهل الحقد فلا حظ لهم فى فضل الله، لأنهم حاقدون على عباده كارهون الخير لهم.

- وروى البيهقى عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ «أتانى جبريل عليه السلام فقال: هذه ليلة النصف من شعبان ولله فيها عتقاء من النار بعدد شعور غنم بنى كلب (وهى قبيلة كبيرة) لا ينظر الله فيها إلى مشرك ولا إلى مشاحن ولا إلى مسبل ولا إلى عاق لوالديه ولا إلى مدمن خمر، قالت: فسجد طويلا وسمعته يقول فى سجوده «أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك، جل وجهك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك». وفى هذا إبعاد للمشرك والمشاحن والمتكبر والعاق لوالديه ومدمن الخمر لسلوكهم طريق الشيطان وبعدهم عن طاعة ربهم.

- وأما عن الدعاء المشهور: فقد أخرجه ابن أبى شيبة فى (المصنف) وابن أبى الدنيا فى (الدعاء) عن ابن مسعود رضي الله عنه وورد كذلك عن ابن عمر قال: ما دعا عبد قط بهذه الدعوات إلا وسع الله له فى معيشته: «اللهم ياذا المن ولا يمن عليه.. إلخ» وأخرجه ابن جرير وابن المنذر والطبرانى عن ابن مسعود، وأخبار عمر رضي الله عنه بتوسعة المعيشة لمن دعا به لا يكون إلا بتوقيف نبوى، وفى آخر الدعاء بعض كلمات أضافها بعض العلماء الصالحين - رحمهم الله - ويمكن تجاوز العبارة التى تقول (التى يفرق فيها كل أمر حكيم ويبرم)، إذ هى ليلة القدر.

- ومن أهم الأحداث فى هذه الليلة: حدث تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة حيث كان اليهود قد أكثروا اللغط بسبب اتجاهه إلى بيت المقدس وكان يقلب وجهه فى السماء مبتغيا الأمر بالتوجه إلى الكعبة فنزل قوله تعالى: **﴿قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾**، وفى تحويل القبلة من الكعبة أولا إلى بيت المقدس ثم من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة دلالات:

أولا: كان الاتجاه من قبل إلى الكعبة ثم أمر بعد الهجرة بالتوجه إلى بيت المقدس لعل اليهود يتبعونه ويوفون بعهدهم، وهى صورة من صور التسامح مع أهل الكتاب، وكم فى المعاملات الإسلامية من نماذج تؤكد هذا المعنى، حتى يعيش الناس فى أمان، ويحيا الجميع فى سلام، وتعطى

الصورة الحقيقية السمحة عن هذا الدين العظيم وعن الدور القيادى لهذه الأمة وما ينبغى أن تكون عليه من تسامح، ولحكمة تربوية فى قوله تعالى: **﴿وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه﴾**.

- وما أروع قول الرسول ﷺ - يوم الحديبية - «والله لا تدعونى قريش إلى خطة توصل بها الأرحام وتعظم فيها الحرمات إلا أعطيتهم إياها».

- ومن نماذج التسامح فى الإسلام والحفاظ على حقوق أهل الكتاب أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أعطى أمانا للنصارى فى بيت المقدس على أنفسهم وأولادهم وجميع كنائسم لا تهدم ولا تسكن وعندما حضر وقت الصلاة وهو فى كنيسة القيامة خرج وصلى خارجها على بابها بمفرده وقال: لو صليت داخل الكنيسة لأخذها المسلمون من بعدى وقالوا: هنا صلى عمر، حفاظا على حقوقهم.. هذه هى تعاليم الإسلام الحقة.. أما العدوان على أهل الكتاب أو الضيوف والغرباء والسائحين بحجة أنهم غير مسلمين فهو مخالف لتعاليم الإسلام. بل إن هذا العدوان يمثل تشويها وإساءة إلى سمعة الإسلام وهو دين الرحمة والسلام.

وننظر من منطلق تسامح الإسلام أن عامل المسلمون الأسرى فى غزوة بدر معاملة حسنة وأمر الرسول المسلمين أن يحسنوا إليهم فكانوا يفضلونهم على أنفسهم فى طعامهم.

ولما أشير عليه أن يمثل بسهيل بن عمرو - وهو أحد الذين حرضوا على محاربة المسلمين وأشير عليه أن ينزع ثنيتيه السفليين فلا يستطيع الخطابة ضد الإسلام والمسلمين قال النبى ﷺ: «لا أمثل فيمثل بى وإن كنت نبيا»، أين هذا من الوحشية الضارية التى ارتكبها الظالمون فى حادث الأقصر وهم يقطعون رقاب الغرباء الضيوف ممن لم يرتكبوا جرما ولا عدوانا؟ ألا إنهم قد أساءوا إلى سمعة الدين قبل أن يسيئوا إلى أحد وأساءوا إلى مصر واقتصادها وأمانها فبئس ما كانوا يفعلون.

- وفى الاتجاه إلى بيت المقدس معنى التآخى والتسامح والترابط، وإشارة إلى أهمية المسجد الأقصى ومنزلته، مما يستوجب على الأمة التعاون والتضامن لنصرته وخلاصه، نسأل الله أن يفك أسره من أيدى الآثمين الظالمين.

- وفى تحويل القبلة إلى الكعبة المشرفة دعوة إلى توحيد الأمة، فالقبلة رابطة توحد المسلمين، إذ لو ترك كل إنسان يتجه حسبما يريد لكان الناس متفرقين أما اتجاههم إلى قبلة واحدة فى مشارق الأرض ومغاربها ففى هذا معنى الوحدة والقوة والترابط.

- كما أن فى الاتجاه إلى بيت المقدس ثم التحويل عنه إلى الكعبة ما يشير إلى أن التقديس فى الإسلام ليس للأماكن ولكن لله وحده **﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله﴾**.

وهكذا نرى أن لليلة النصف من شهر شعبان فضلها ومنزلتها فهى ليلة مباركة يقبل فيها الدعاء ويرحم الله فيها العباد ويقبل فيها توبة التائبين ويحقق رجاء القاصدين.

وهى ليلة حفلت بذكرى تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة إعلانا لسماحة الدين وترابط الناس أجمعين.

وهى ليلة من ليالى الشهر الكريم شعبان الذى كان رسول الله ﷺ يخصه بكثير من الصيام أكثر من غيره لأنه الشهر الذى يغفل الناس فيه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى الله فيحب الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - أن يرفع عمله وهو صائم.

وفق الله تعالى أمتنا إلى ما فيه خير دينها ودنياها وأتم علينا نعمة السلام والأمان وبالله التوفيق.

تحويل القبلة والدروس المستفادة منه

تمهيد:

كان رسول الله ﷺ يستقبل الكعبة منذ فرضت عليه الصلاة فى صدر البعثة بقوله تعالى: ﴿ياأيها المزمل قم الليل إلا قليلا﴾ المزمل: آية ١-٢، وكان ذلك خاصا به ﷺ، ثم لما فرضت الصلاة على الأمة ليلة الإسراء والمعراج وأصبحت خمس صلوات فى اليوم والليلة وبأجر الخمسين كان رسول الله ﷺ ومن معه يصلون إلى الكعبة من الجهة الجنوبية التى بين الحجر الأسود والركن اليمانى، وبهذا كانوا يجمعون بين استقبال الكعبة وبيت المقدس الذى يقع فى الشمال من مكة وجزيرة العرب، وبهذا جمعوا بين الفضيلتين فضل الكعبة وفضل بيت المقدس، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة أوحى الله إليه أن يستقبل بيت المقدس فصعب بهذا الجمع بين القبلتين لأن مكة والكعبة فى جنوب المدينة، وبيت المقدس فى شمالها، وكان الهدف من ذلك تأليف قلوب أهل الكتاب الذين يسكنون المدينة وما حولها ليشعروا ويعلموا أن رسول الله ﷺ مثل أنبيائهم يقدس بيت المقدس ويستقبله فى صلاته.

د/ محمد نبيل غنايم

إلا أن اليهود أشاعوا بين الناس أن محمدا ﷺ على ملتهم لأنه يصلى إلى قبلتهم فتألم رسول الله ﷺ من ذلك وبدأ يدعو الله تعالى ويقلب وجهه فى السماء أن يعيده الله تعالى إلى الكعبة المشرفة، وقد أجاب الله تعالى دعاء نبيه ﷺ وأمره بعد ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا من الهجرة إلى المدينة أن يتحول إلى استقبال الكعبة، وتقول الروايات إن ذلك قد تم فى ليلة النصف من شهر شعبان من السنة الثانية من الهجرة، فلما تحول النبى ﷺ والمسلمون إلى الكعبة تحدث اليهود فى هذا الأمر حديثا سيئا وأثاروا البلبلة والخوف بين المسلمين أنهم بذلك قد أضاعوا صلاتهم السابقة وأن إخوانهم الذين ماتوا قبل التحول قد ماتوا بلا صلاة فأنزل الله سبحانه وتعالى من الآيات ما يبين سفه اليهود وكذبهم وفضل محمد ﷺ وأمته فى قوله تعالى: **﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم* وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم* قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون* ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين* الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون* الحق من ربك فلا تكونن من**

الممترين﴾ ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعا إن الله على كل شىء قدير* ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون* ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشونى ولأتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون﴾

البقرة: الآيات ١٤٢ ـ ١٥٠، قال القرطبى فى بيان ذلك وروى الأئمة واللفظ لمالك عن ابن عمر قال: بينما الناس بقباء فى صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال: رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة» وخرج البخارى عن البراء أن النبى ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وإنه صلى أول صلاة صلاها العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن كان صلى مع النبى ﷺ فمر على أهل المسجد وهم راكعون، فقال: أشهد بالله لقد صليت مع النبى ﷺ قِبَل مكة فداروا كما هم قِبل البيت، وكان الذى مات على القبلة قبل أن تحول قبل البيت رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله عز وجل: **﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾**، ففى هذه الرواية صلاة العصر، وفى رواية مالك صلاة الصبح، وقيل: نزل ذلك على النبى ﷺ فى مسجد بنى سلمة وهو فى صلاة الظهر بعد ركعتين منها فتحول فى الصلاة فسمى ذلك المسجد مسجد القبلتين، وذكر أبو الفرج أن عباد بن نهيك كان مع النبى ﷺ فى هذه الصلاة، وذكر أبو عمر فى التمهيد عن نويلة بنت أسلم وكانت من المبايعات قالت: كنا فى صلاة الظهر، فأقبل عباد بن بشر ابن قيظى فقال: إن رسول الله ﷺ قد استقبل القبلة أو قال البيت الحرام، فتحول الرجال مكان النساء وتحول النساء مكان الرجال، وقيل: إن الآية نزلت فى غير صلاة، وهو الأكثر وكان أول صلاة إلى الكعبة العصر والله أعلم. ثم قال عن مدة استقبال بيت المقدس: واختلف فى وقت تحويل القبلة بعد قدومه المدينة فقيل: حولت بعد ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا كما فى البخارى وخرجه الدارقطنى أيضا عن البراء قال: صلينا مع رسول الله ﷺ بعد قدومه المدينة ستة عشر شهرا نحو بيت المقدس، ثم علم الله هوى نبيه فنزلت: **﴿قد نرى تقلب وجهك فى السماء﴾** الآية، ففى هذه الرواية ستة عشر شهرا من غير شك، وروى مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أن تحويلها كان قبل غزوة بدر بشهرين، قال إبراهيم بن اسحاق: وذلك فى رجب من سنة اثنتين، وقال أبو حاتم البستى: صلى المسلمون إلى بيت المقدس سبعة عشر شهرا وثلاثة أيام سواء، وذلك أن قدومه المدينة كان يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، وأمره الله عز وجل باستقبال الكعبة يوم الثلاثاء للنصف من شعبان.

تلك قصة تحويل القبلة وما فيها من روايات فماذا تحمل لنا من دروس؟

١ ـ اتباع وحى الله تعالى:

وهذا واجب على جميع المسلمين وعلى رأسهم محمد ﷺ الذى ضرب لنا المثل فى ذلك عملا بقول الله تعالى: **﴿اتبع ما أوحى إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين﴾**، وقوله تعالى: **﴿فاستمسك بالذى أوحى إليك إنك على صراط مستقيم* وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون﴾**

الزخرف: آية ٤٣ ـ ٤٤، وإذا كان ذلك واجبا فى جميع الأحوال فهو فى جانب العبادات أوجب ومن هنا قال العلماء: الأصل فى العبادات الاتباع، ولما كان استقبال القبلة من أهم شروط صحة الصلاة وجدنا رسول الله ﷺ يلتزم ذلك منذ فرضت عليه الصلاة ووجدنا أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ يفعلون ذلك منذ فرضت عليهم الصلاة، ووجدنا أنه ﷺ يغير قبلته بعد الهجرة إلى بيت المقدس اتباعا لأمره تعالى كما هو واضح من الآية **﴿وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه﴾**، وهذا هو قول ابن عباس وغيره وهو قول جمهور العلماء، وهو الصحيح، ولو كان الأمر باختياره ﷺ لتحول من نفسه منذ تألم من كلام اليهود أو لم يترك الكعبة أصلا ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا، فكان التوجه إلى قبلة بيت المقدس بوحى وكان التحول عنها إلى الكعبة بوحى، وكان رسول الله ﷺ أكثر الناس اتباعا للوحى وعملا به ووقوفا عنده حتى إنهم كما جاء فى بعض الروايات صلوا ركعتين بين الظهر أو العصر إلى بيت المقدس ثم أتموا الصلاة إلى الكعبة ولم يفرطوا أو ينتظروا إلى الصلاة التالية، وتلك قمة الاتباع والالتزام الذى يجب على سائر المسلمين أن يقوموا به وبخاصة فى العبادات كما ذكرنا قال القرطبى: واختلفوا حين فرضت عليه الصلاة بمكة هل كانت إلى بيت المقدس أو إلى مكة على قولين، فقالت طائفة: إلى بيت المقدس وبالمدينة سبعة عشر شهرا ثم صرفه الله تعالى إلى الكعبة، قاله ابن عباس، وقال آخرون: أول ما افترضت الصلاة عليه إلى الكعبة، ولم يزل يصلى إليها طول مقامه بمكة على ما كانت عليه صلاة إبراهيم وإسماعيل فلما قدم المدينة صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا على الخلاف ثم صرفه الله إلى الكعبة قال أبو عمر: وهذا أصح القولين عندى.

٢ ـ الدعاء لله تعالى واللجوء إليه:

ذلك أن رسول الله ﷺ لما آلمه وآلم أصحابه مايقوله اليهود عن استقبالهم لبيت المقدس من أن محمدا وأصحابه على ملة اليهود لأنهم يصلون إلى قبلتهم توجه إلى الله تعالى بالدعاء وأخذ ينظر إلى السماء سائلا ربه تبارك وتعالى أن يحول قبلته واستمر على ذلك حتى أجاب الله دعاءه وقال **﴿قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾** ومن هذا نعلم أنه يجب على كل مسلم أن يدعو الله تعالى فى كل أحواله وأن يلجأ إليه بالدعاء فى كل ظروفه وأن يلح عليه فى السؤال والتضرع تأسيا برسول الله ﷺ وعملا بقوله تعالى: **﴿وقال ربكم ادعونى أستجب لكم﴾**، وقوله: **﴿ادعوا ربكم تضرعا وخفية﴾**، وقوله عن الأنبياء: **﴿إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين﴾** الأنبياء: آية ٩٠.

٣ ـ الحذر من اليهود ومكرهم:

فقد ضرب الله تعالى لنا فى قصة تحويل القبلة عدة صور من مكرهم وضلالهم وسفاهتهم لنكون على حذر منهم ومن مكرهم ونعلم أنهم كاذبون فقد فضحهم الله تعالى فى هذه القصة عدة مرات، مرة سماهم سفهاء والسفاهة خفة فى العقل وضعف فيه تجعل صاحبه يسىء التصرف قولا وعملا وقد فعلوا ذلك فقال الله تعالى عنهم: **﴿سيقول السفهاء من الناس ماولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم﴾**، ومرة أخرى حين

قالوا للمسلمين: لقد ضاعت صلاتكم وصلاة من مات منكم فكذبهم الله تعالى بقوله: **﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم﴾**، ومرة وصفهم بالانقلاب عن الهدى واتباع الرسول ﷺ إلى الضلال والكفر فقال: **﴿وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله﴾**، ومع أن هذا يشمل المشركين وأهل الكتاب إلا أنه أوضح فى أهل الكتاب من اليهود لأنهم كانوا المقصودين بتأليف القلوب فلم يجد ذلك فى قلوبهم شيئا، ثم فضحهم مرة أخرى فى نفس السياق ببيان أنهم كانوا يعلمون أن محمدا ﷺ على حق وهو موجود فى كتبهم ومع هذا أعرضوا عنه وأنكروا رسالته فقال: **﴿وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون﴾**، وهذا تهديد ووعيد شديد، ثم فضحهم مرة أخرى بأنهم كما كذبوا هذه المرة سيكذبون فى كل المرات فإياك أن تأمن لهم أو تتبع أهواءهم فقال: **﴿ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين﴾**، ثم فضحهم مرة أخرى بأنهم يكتمون الحق الواضح المعروف لهم كمعرفتهم بأبنائهم فقال: **﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾**، وهكذا بين الله تعالى كذبهم فى أكثر من موضع وفضحهم فى أكثر من آية وحذر من اتباعهم والأمان لهم فى أكثر من قصة، وما يفعلونه الآن ومنذ سنين عديدة فى فلسطين خير شاهد على ذلك، فهل أخذنا حذرنا منهم؟ وهل عملنا بما جاء فى كتاب الله تعالى عنهم؟ وهل استوعبنا الدروس أو مازلنا فى حاجة إلى دروس أخرى؟

٤ ـ فضل الأمة المحمدية على سائر الأمم:

يتضح ذلك من قوله تعالى: **﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾**، قال القرطبى: المعنى كما أن الكعبة وسط الأرض كذلك جعلناكم أمة وسطا أى جعلناكم دون الأنبياء، وفوق الأمم والوسط العدل وأصل هذا أن أحمد الأشياء أوسطها، وروى الترمذى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ فى قوله تعالى: **﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾**، قال: عدلا، قال هذا حديث حسن صحيح، وفى التنزيل: قال أوسطهم أى أعدلهم وخيرهم، ووسط الوادى خير موضع فيه وأكثر كلأ وماء، ولما كان الوسط مجانبا للغلو والتقصير كان محمودا، وقد ثبتت هذه الأفضلية فى صحيح البخارى عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: **«يدعى نوح عليه السلام يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يارب، فيقول هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيشهدون أنه قد بلغ، ويكون الرسول عليكم شهيدا، فذلك قوله عز وجل: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾**.

وذكر هذا الحديث ابن المبارك مطولا بمعناه وفيه: فيقول تلك الأمم: كيف يشهد علينا من لم يدركنا فيقول لهم الرب سبحانه: كيف تشهدون على من لم تدركوا؟ فيقولون: ربنا بعثت إلينا رسولا وأنزلت إلينا عهدك وكتابك، وقصصت علينا أنهم قد بلغوا فشهدنا بما عهدت إلينا، فيقول الرب صدقوا فذلك قوله عز وجل: **﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على**

الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾، وعن عبادة ابن الصامت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أعطيت أمتى ثلاثا لم تعط إلا الأنبياء كان الله إذا بعث نبيا قال له ادعنى أستجب لك، وقال لهذه الأمة: ادعونى أستجب لكم، وكان الله إذا بعث النبى قال له: ما جعل عليك فى الدين من حرج، وقال لهذه الأمة، وما جعل عليكم فى الدين من حرج، وكان الله إذا بعث النبى جعله شهيدا على قومه، وجعل هذه الأمة شهداء على الناس»، خرجه الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول، قال العلماء: أنبأنا ربنا تبارك وتعالى فى كتابه بما أنعم علينا من تفضله لنا باسم العدالة وتولية خطير الشهادة على جميع خلقه فجعلنا أولا مكانا وإن كنا آخرا زمانا كما قال ﷺ: نحن الآخرون الأولون»، وفيه دليل على صحة الإجماع ووجوب الحكم به لأنهم إذا كانوا عدولا شهدوا على الناس، فكل عصر شهيد على من بعده.. وإذ جعلت الأمة شهداء فقد وجب قبول قولهم».

٥- فضل الله تعالى على هذه الأمة:

بتخفيف الأحكام وتيسير التشريع والعفو عن التائب ومضاعفة الأجر للمحسن كما يشير إلى ذلك قوله تعالى فى هذا السياق ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم﴾، مع قوله تعالى: ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما﴾ النساء: آية ٤٠، وقوله: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون﴾ الأنعام: آية ١٦٠، فى حين كان الوضع مع الأمم السابقة شديدا وقاسيا فبظلمهم وكفرهم وضع الأغلال فى أعناقهم وحملهم إصرا كثيرا وامتن على هذه الأمة برفع ذلك وإزالته قال الله تعالى: ﴿ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم﴾، وقال: ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾ البقرة: آية ٢٨٦، فعلينا أن نعتز بهذا الفضل ونقوم بواجبنا نحو المنعم عز وجل بواجب الحمد والشكر كما علمنا وأمرنا.

وقد اتفق العلماء على أن قوله تعالى: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾، قد نزل فيمن مات وهو يصلى إلى بيت المقدس كما ثبت فى البخارى من حديث البراء بن عازب، وخرج الترمذى عن ابن عباس قال: لما وجه النبى ﷺ إلى الكعبة قالوا يارسول الله: كيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس فأنزل الله تعالى: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾، قال: هذا حديث حسن صحيح فسمى الصلاة إيمانا لاشتمالها على نية وقول وعمل».

٦- قبول خبر الواحد:

وفى قصة تحويل القبلة دليل على قبول خبر الواحد لأن الذى صلى مع الرسول ﷺ ثم سار إلى قبيلته فى قباء وبلغهم ذلك كان واحدا، وقبول خبر الواحد مجمع عليه من السلف معلوما بالتواتر من عادة النبى ﷺ فى توجيه ولاته ورسله آحادا للآفاق ليعلموا الناس دينهم فيبلغوهم سنة رسولهم ﷺ من الأوامر والنواهى فعلينا أن نعمل بكل ما بلغنا عن الرسول ﷺ متواترا أو مشهورا أو خبر آحاد مادام صحيحا فى متنه وإسناده ولا يجوز لأحد بعد هذه الصحة أن يطعن فى الحديث أو لا يعمل به.

تلك أبرز الدروس التى أفدتها من سياق تحويل القبلة أرجو أن أكون قد وفقت فى استنباطها وأن تكون مفيدة لكل من يقرأها وأن تكون معينا على العمل بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ففيهما النور الهادى إلى صراط الله المستقيم وجنات النعيم.

تحويل القبلة

تثبيت للإيمان وتحديد للمنهج

تحويل القبلة من بيت المقدس بفلسطين إلى البيت الحرام بمكة المكرمة يمثل مرحلة حاسمة فى تاريخ الدعوة الإسلامية؛ فقد كان هذا الحدث العظيم محكا عمليا لاختبار مدى ثبات المؤمنين على أمر الله تبارك وتعالى، ومن التزامهم بهذا الأمر والنزول عليه أياً كان المأمور به، وأياً كانت الأمور المترتبة عليه. كما ترتب على الحدث أيضا اختبار قدرة المسلمين على التمسك بالحق والدفاع عنه ضد المنافقين والمشركين المتربصين بهم وبدينهم.

فالله تبارك وتعالى يربى المؤمن ويبنى شخصيته من خلال الأوامر والنواهى التى قد تضعه مباشرة فى مواجهة مع أهل الباطل حتى يرى صدقه وإخلاصه فى مواجهة حملات التشكيك ومحاولات أعداء الإسلام للنيل منه وبخاصة فى مجتمع جديد متعدد الجنسيات والأديان.

أ.د / محمد محمد أبو ليلة

وموضوع تحويل القبلة عرضه القرآن الكريم فى إجمال يغنى عن التفصيل وذلك فى الآيات (١٤٢-١٥٠ من سورة البقرة) وسورة البقرة هى أطول سور القرآن من حيث عدد الآيات ومن حيث تنوع الأحكام وهى سورة مدنية فى مجموعها، وإذا ما أردنا أن ندرس هذه الآيات فى سياق الحدث الكبير فإننا لابد وأن نضم إليها بعض الآيات الأخرى من الآيات السابقة واللاحقة وذلك حتى تكتمل معالم الموضوع كحدث تاريخى ودعوى، وحتى نتبين الغاية منه ونتبين كذلك الأثر الإيمانى والنفسى والسياسى الذى أحدثه ويحدثه فى نفوس المسلمين إلى يوم الدين، فإن الأحداث التاريخية فى الإسلام لا تقتصر على زمان بعينه أو مكان بذاته بل تتعداهما لتشمل كل زمان ومكان.

وكما سنلاحظ فإن تحويل القبلة لم يكن تحويلا للقلوب أو تحولاً من دين إلى دين آخر أو تحولا عن اعتقادات رئيسة فى حياة المسلمين بل كان تحولاً من قبلة إلى قبلة، ومن مكان مقدس إلى مكان آخر مقدس وذلك فى إطار المحافظة الكاملة على قداسة المكانيين وربطهما معا برباط متين فى وعى المؤمن وفى حسِّه وفى انتمائه الدينى.

آيات تحويل القبلة: تفسير وتحليل

والآيات التى نود أن نضمها إلى السياق الحدثى الموضوعى لتحويل القبلة هى أولاً: **﴿وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا، قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾** (الآيات ١٣٥-١٤١).

والتى تتحدث عن وحدة الوحى الإلهى وأخوة الأنبياء ووجوب الإيمان بهم جميعاً وبما جاءوا به، وعن تشكيك اليهود فى إلهية مصدر الدين الإسلامى وفى رد الله تعالى عليهم.

أما الآيات اللاحقة لآيات تحويل القبلة فهى الآيات (١٥١-١٥٣) **﴿كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم أياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكرونى أذكركم... الآيات﴾**

ولابد من قراءة الآية ١٥٠ وهى أخر آية من آيات تحويل القبلة **﴿ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام... الآية﴾** فى إطار واحد مع الآية التى تليها وهى **﴿كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾** (الآية ١٥١).

فقد ذكرت الآية ١٥٠ أن الله تعالى جعل تولى المسلمين للمسجد الحرام فى الصلاة من تمام نعمته عليهم، وكمال التشريع الذى شرعه لهم لهدايتهم إلى الحق الذى دلهم عليه، ثم تأتى الآية التالية لتتحدث عن نعمة إرسال الرسول محمد ﷺ، إليهم وهى مبدوئة بحرف التشبيه - (كما) - ويعنى هذا أن تحويل القبلة حق كما أن بعثة الرسول ﷺ حق وكلاهما نعمة من الله تعالى؛ وأن توجيه المسلمين إلى القبلة الأولى كان لحكمة كما كان تحويلهم عنها إلى الكعبة أيضاً لحكمة وأن الله تعالى هو الذى أمر الرسول ﷺ باتخاذ بيت المقدس قبلة له، كما أنه هو الذى أمره بالتحول عنه إلى الكعبة فالرسول فى ذلك متبع لأمر الله مؤيد بالوحى، ومن شك فى خبر تحويل القبلة فقد شك فى نبوة النبى ﷺ نفسه لأن الإيمان لا يتجزأ وكذلك الكفر والنفاق لا يتجزءان.

تحويل القبلة ومعجزة الإسراء والمعراج:

لم يكن العهد قد طال بين وقوع معجزة الإسراء والمعراج برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى المبارك وصلاته ﷺ والأنبياء فيه ورؤيته لهم فى مواقعهم فى السموات أثناء رحلة المعراج حتى أمره الله تعالى بالصلاة إلى المسجد الأقصى مسراه الشريف ﷺ ثم جاء الأمر بتحويل القبلة إلى الكعبة. فقد جاءت الروايات بأنه لما هاجر ﷺ إلى المدينة وكان أكثر أهلها اليهود أمره الله تعالى أن يستقبل بيت المقدس فى صلاته ففرح اليهود لما فعل الرسول ذلك ظنا منهم أنه سيتبعهم، وأنه بالتالى يمكن لهم أن يحتووه، ويوجهوه الوجهة التى يريدونها، استقبل الرسول ﷺ بيت القدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً من تاريخ هجرته ﷺ إذ لم يرد أنه صلى إلى غير هذه القبلة فى المدينة، وينبغى أن يكون معلوماً أن الأمر باتخاذ الأقصى قبلة لم يرد صراحة فى القرآن ولكنه جاء متضمنا فى قوله تعالى: **﴿وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه﴾** (الآية ١٤٣ البقرة).

وإذن فالله تعالى هو الذى جعل بيت المقدس قبلة لرسوله ﷺ وللمسلمين كما أنه هو الذى ولاه الكعبة بعد ذلك وكلا الأمرين حق واقع وهما من نعم الله تعالى علينا فقد تعمق حب الأقصى فى قلب المسلمين كما تعمق حب الأقصى فى قلب النبى ﷺ وصلى بالأنبياء فيه وكرم فيه ثم صعد به إلى سدرة المنتهى إلا أن قلبه ﷺ كان لا يزال

متعلقا بالمسجد الحرام الذى بناه جداه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ودعوا له بالعمارة وبالوفرة فى الخير وبكثرة الناس واستعجلا بعثة الرسول ﷺ فى أهله.

وعلى الرغم من تعنيت اليهود ضده ﷺ وتمسكهم بما هم عليه وتحشيد قوة النفاق ضده شنعوا به وشككوا فى خبر تحويل القبلة مع أنهم لم يؤمنوا برسول الله ﷺ أصلاً، وقالوا كما جاء فى القرآن الكريم ﴿**سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها**﴾.

فأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يقول فى رده عليهم: ﴿**قل الله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم**﴾ ومعنى هذه العبارة القرآنية الجامعة أن الجهات كلها لله تعالى ومن خلقه، وهو الذى يعلم أفضلية بعضها على بعض، أو استوائها جميعاً فى الفضل، وأن الأمر ليس أمر جهة ولا مكان وإنما المقصود هو طاعة الله تعالى والعمل بما أمر به سبحانه.

أول صلاة صلاها الرسول ﷺ إلى الكعبة بعد الهجرة :

المشهور من روايات تحويل القبلة أن أول صلاة صلاها النبى ﷺ إلى الكعبة بعد الهجرة كانت صلاة العصر، صلاها فى مسجد بنى سلمة الذى عرف لذلك بمسجد القبلتين ولذلك تأخر الخبر عن أهل مسجد قباء فلم يتحولوا عن الأقصى إلى الكعبة إلا فى صلاة الفجر وأثناء الصلاة كما جاء فى الصحيحين عن ابن حمزة لم يؤمروا بإعادة صلاة العصر والمغرب والعشاء روى الحافظ ابن مردويه عن نويلة بنت مسلم قالت: صلينا الظهر أو العصر فى مسجد بنى حارثة فاستقبلنا مسجد إيلياء (القدس) فصلينا ركعتين، ثم جاء من يحدثنا أن رسول الله ﷺ قد استقبل البيت الحرام، فتحول النساء مكان الرجال والرجال مكان النساء، فصلينا السجدتين الباقيتين ونحن مستقبلون البيت الحرام، فحدثنى رجل من بنى حارثة أن النبى ﷺ قال: «**أولئك رجال يؤمنون بالغيب**».

وقد ذهب الحسن وقتاده إلى أن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار هم الذين صلوا إلى القبلتين مع النبى ﷺ.

وفى رواية عن ابن عمر رضى الله عنهما تقول: «بينما الناس يصلون الصبح فى مسجد قباء إذ جاء رجل فقال: قد أنزل على النبى ﷺ قرآن، وقد أمر أن تستقبل الكعبة فاستقبلوها، فتوجهوا إلى الكعبة. البخارى ومسلم. وفى رواية أنهم كانوا ركوعاً فاستدار واكماهم إلى الكعبة وهم ركوع مما يبين تمام طاعتهم لله عز وجل ولأمر رسوله ﷺ.

السبب فى تحويل القبلة:

يقول تعالى: ﴿**وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه، وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله**﴾.

وإذن فالقبلة الأولى سببها اختبار الناس فى موقفهم من الإسلام ومن هذا الحدث؛ أيهم سوف يؤمن ويتبع الرسول ﷺ وأيهم سوف يظل على كفره أو تشككه وعناده؛ وأيهم سوف يرتد عن إيمانه وعن متابعته للرسول ﷺ لتأثره بشبه أعداء الدين؛ فأما الذين فى قلوبهم زيغ فسوف يتشككون ويستبعدون أن يأمر الله بتحويل القبلة بعد أن أمر بالتوجه إليها، وبعد أن قبل صلاة المسلمين إليها هذه المدة الطويلة.

أما المؤمنون فسيقولون شأنهم فى كل ما يأتيهم من عند الله تعالى: ﴿**آمنا به: كل من عند ربنا**﴾.

عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ فى أهل الكتاب: «إنهم لا يحسدوننا على شىء كما يحسدوننا على يوم الجمعة الذى هدانا الله إليه وضلوا عنه، وعلى القبلة التى هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى قولنا خلف الإمام آمين.» رواه أحمد مرفوعاً.

الخير الذى أصاب المسلمين بتحويل القبلة:

أصاب المسلمون خيراً كثيراً بتحولهم إلى قبلة إبراهيم عليه السلام، يتجلى ذلك فى قول الله تعالى: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً**﴾ وهذا اخبار من الله تعالى ذكره فى أول الكلام عن تحويل القبلة بأن هذا الحدث العظيم تضمن خيراً كثيراً للمسلمين، وهو أن الله تعالى حولنا إلى قبلة إبراهيم عليه السلام ليجعلنا أمة وسطاً أى أمة خيرة عادلة كريمة معطاءة، كما يقول تعالى ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾ (آل عمران ١١٠).

ولذلك فقد أمر الله تعالى المسلمين بمنهج وسط فى التشريع هو أقوم المناهج وأكملها.

والأمة الإسلامية وسط فى المكان لأنهم فى قلب العالم والكعبة هى مركز هذا العالم والمسلمون وسط موصل ومؤثر، وهم مركز العلوم والحضارة وملتقى الثقافات.

وببركة دعوة إبراهيم عليه السلام ﴿**فاجعل افئدة من الناس تهوى إليهم**﴾ الآية. عادت الملايين تحن إليها وتهوى قلوبهم نحوها وتهواها نفوسهم.

تحويل القبلة وعالمية الدعوة الإسلامية:

يقول تعالى: ﴿**ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك**﴾ (البقرة ١٤٩) بعد أن أمر الله تعالى المسلمين بألا يشغلوا بالهم بلجاج أهل الأديان الأخرى ومكابرتهم فى قوله تعالى: ﴿**ولكل وجهة هو موليها**﴾ (الآيات ١٤٨ البقرة).

قال ﴿**ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام**﴾ أى إذا تحولت عن مكانك أو تقلبت فى أرض الله تعالى فاجعل ناحية المسجد الحرام قبلتك لأن هذا هو الحق الذى لامراء فيه، وهذا أمر ثالث من الله تعالى فى ترتيب الآيات التى بين أيدينا باستقبال المسجد الحرام من جميع أقطار الأرض، وفى هذا نبوءة بانتشار الإسلام فى العالم كله، وتكاثر أعداد المصلين.

وقد توقف العلماء عند تكرار الأمر ﴿**فول وجهك شطر المسجد الحرام**﴾ ثلاث مرات الآيات ١٤٤، ١٤٩، ١٥٠، فقال بعضهم: إنه جاء للتأكيد لأن تحويل القبلة يعد أول ناسخ وقع فى الإسلام. وقال بعضهم بل هو يعنى الأمر بالتحول منزل على أحوال، فالأمر الأول لمن هو مشاهد للكعبة أى حاضر فيها، والثانى لمن هو فى مكة ولكنه غائب عنها، والثالث لمن هو فى بقية البلدان.

فالأمر فيه تدرج إذا ومراعاة لحال المخاطب وهذا هو توجيه الفخر الرازى، وقال القرطبى. الأمر الأول جاء لمن هو فى مكة، والثانى لمن هو فى بقية الأمصار، والثالث للمسافر.

بينما رأى البعض في هذا التكرار مراعاة لأحوال النبى ﷺ وتطمينا لقلبه، ويتعلق ذلك بالسياق العام للآيات أيضاً فقال إن الأمر الأول **﴿قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها﴾** فذكر فى هذا المقام إجابة الله تعالى لطلب رسوله ﷺ وأمره بالتحول إلى القبلة التى كان يحبها ﷺ والتوجه إليها، وفى هذه القرينة نقول: وفى هذا أيضاً بشارة لرسول الله ﷺ بالرجوع إلى مكة منتصراً وفى هذا تمام رضاه ﷺ وتمام الدين أيضاً وانتشاره فى العالمين.

وقال فى الأمر الثانى: **﴿ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾** فاخبر بأن هذا الأمر وإن وافق رضاه ومتمناه ﷺ فإنه حق منزل من عند الله تعالى وهكذا تطابق حب رسول الله ﷺ مع ما يحب الله تعالى وهذا من تمام الطاعة.

وفى الآية أيضا دليل على تعنت اليهود الذين كانوا يتحججون باستقبال الرسول ﷺ لقبلتهم، وقد كانوا يعلمون مما فى كتبهم أنه ﷺ سيصرف إلى قبلة إبراهيم عليه السلام (الكعبة) كما انقطعت حجة مشركى مكة لما صرف رسول الله ﷺ عن التوجه إلى المسجد الأقصى وقد كان العرب يعظمون البيت الحرام.

هذه هى أهم الأقوال فى تفسير تكرار الأمر بالتوجه إلى الكعبة فى القرآن الكريم، وكما لاحظنا أن لكل أمر منها موقعه وخاصيته.

وبهذا قطع الله عذر المتعللين ودفع باطل المكابرين المشنعين ضد رسول الله ﷺ **﴿لئلا يكون للناس عليكم حجة﴾** (الآية ١٥٠ البقرة) والناس المقصودون هنا هم اليهود بخاصة الذين شنعوا بالرسول ﷺ واتهموه بالتلاعب فى الدين، ولو أنهم أنصفوا ونبذوا التعصب والعنصرية وراءهم ظهريا لرأوا فى اتخاذ القبلة الأولى والثانية ربطا بين الأنبياء وتواصلاً بين حلقات الوحى والنبوات، وتكريماً لأهل الأديان وفتحا لباب الحوار معهم والتلاقى فيما بينهم على الخير والقيم الفاضلة، غير أن القوم اتخذوا حدث تحويل القبلة سياسة ومشروعاً لتكثيف الهجوم على الإسلام فى المدينة كما فى قوله تعالى: **﴿ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ماتبعوا قبلتك﴾** (الآية ١٤٥ البقرة) يخبر تعالى عن اليهود وعنادهم وطعنهم فى رسول الله ﷺ ومع علمهم بالحق الذى مع محمد ﷺ فإنهم جامدون على التمسك بما عندهم لا يحيدون عنه.

وفى خاتمة هذا المقال نؤكد على أن الله تبارك وتعالى هو الذى أمر بتحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام وذلك يرتبط بوسطية الأمة الإسلامية وقيوميتها على الأمم الأخرى، وأن تحويل القبلة كان لارضاء رسول الله ﷺ ولاختبار أهل الإيمان وتوضيح موقف أهل الأديان الأخرى من الإسلام ولإثبات عالمية الدعوة الإسلامية وعلى أهمية بيت المقدس بالنسبة للمسلمين وتنبيه المسلمين على ضرورة الحفاظ عليه وتحريره من أيدى المغتصبين الذين لا يرعون حرمة لدين ولا لمتدينين.

ولا يفوتنا فى هذه الخاتمة أن نشير إلى قول الله تعالى: **﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾** فإنه لا ضياع للإيمان ولا للأعمال الصالحة مع الطاعة لأوامر الله تعالى. فالله تعالى رؤوف بالعباد رحيم بهم فى تكاليفه وفى جزائه.

يوم تحويل القبلة

الأمة الإسلامية لها مناسبات طيبة وذكريات غالية فى مضمونها وأهدافها من هذه المناسبات تحويل القبلة من بيت المقدس إلى مكة المكرمة. لأن بيت المقدس هو قبلة الأنبياء جميعا وأرض فلسطين مافيها مكان إلا ومشى فيه نبى ولا موضع إلا ودفن فيه ولى ولا بقعة إلا وسجد عليها عبد صالح، لذلك حلت البركة حول المسجد الأقصى وفيه وإلى ذلك يشير قول الحق سبحانه: ﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾ الإسراء: آية ١.

الشيخ/ منصور الرفاعى محمد عبيد

وأقسم الله سبحانه بالعديد من الشجر الذى ينبت هناك مثل التين والزيتون. فيقول سبحانه: **﴿والتين والزيتون* وطور سينين* وهذا البلد الأمين﴾** التين: الآيات ١ - ٣، ويقول: **﴿وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين﴾** المؤمنون: آية ٢٠، والمسجد الأقصى هو المسجد الثانى فى البناء على ظهر المعمورة وفى ذلك جاء رد الرسول ﷺ على السائل الذى سأل عن أى المساجد وضع أولا فقال: **المسجد الحرام. قيل ثم أى. قال: المسجد الأقصى. قال: كم بينهما. قال: أربعون» والرحال لا تشد إلا لثلاثة مساجد كما يقول الرسول ﷺ: «المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدى هذا»**(١)، من كل هذه الاعتبارات كان المسجد الأقصى هو قبلة المسلمين فى بدء الدعوة واستمر الحال كذلك بعد الهجرة لمدة ستة عشر شهرا بعدها استقل المسلمون بقبلة لم يسبقهم إليها أحد وصارت خاصية لهم وأصبح تاريخ هذا التحول هو عيد استقلال المسلمين بقبلتهم.

ونذكر فى هذا المقام أن رسول الله ﷺ لما هاجر من مكة إلى المدينة وكان يتجه فى صلاته إلى بيت المقدس والمدينة آنذاك بها يهود «أهل كتاب» فأشاعوا إشاعة رددها البعض من ورائهم خلاصتها أن محمدا اليوم يتبع قبلتنا وغدا يتبع ديننا فأثرت تلك الإشاعة فى نفوس الناس وكان لها صدى فى نفسية النبى العظيم سيدنا محمد ﷺ.

فما كان منه إلا أن رفع وجهه إلى السماء لأنها قبلة الدعاة ومكان الطهر والنقاء يضرع إلى ربه بكل حواسه وجوارحه أن يوجهه إلى قبلة أبيه إبراهيم مكة بيت الله الحرام والحرم الآمن والمبنى المقدس الذى يجد الكل فيه مأمنه حتى الطير والنبات. ولهذا يقول الله بعد أن استجاب دعاءه وحقق رجاءه وأعطاه أمنيته: **﴿قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾** البقرة: آية ١٤٤، لكن اليهود وهم مروجوا إشاعات بل صناعها لأنها أسلحة خطيرة تفت فى عضد الشعب وتفتت وحدة الأمة وتضعف

كيانها لذلك قال اليهود: وبعد أن تحول النبى عن قبلتهم واتجه فى صلاته إلى المسجد الحرام وماهو حال الذين ماتوا قبل التحويل وأثناء توجههم إلى قبلتنا أنهم ماتوا على قبلتنا ويوم القيامة لن نقبلهم معنا وبالتالى فلم يحشروا معكم لأنكم غيرتم القبلة، وكان بعض المسلمين قد انتقل إلى جوار ربه فعلا والقبلة إلى بيت المقدس وهذه الإشاعة بلغت مسامع أولاد هؤلاء الصحابة فعز عليهم موقف آبائهم لأنهم لم يكونوا على تلك القبلة لأنها ملك لليهود كما يشيعون ولن يكونوا مع المسلمين لأنهم يتجهون إلى مكة وهم لم يدركوا ذلك وأصبحت هذه الإشاعة وقد أثرت فى نفوس البعض لكن الحق سبحانه الذى يثبت الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء. لم يشأ أن يترك الأمر هكذا فأنزل قرآنا يتلى ويتعبد به ليكون فى آذان الناس يذكرهم بهذا الموقف فقال سبحانه: **﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم﴾** البقرة: آية ١٤٣، أى أن الحق لا يضيع أجر من أحسن عملا مادامت النية صادقة والاتجاه إلى الله بالعمل ليس وراءه رياء ولا سمعة: والحق سبحانه وتعالى قصَّ هذا الحديث فى آيات بينات تتلى لتكون العبرة بينة والأمر واضح جدا لأن هذا الأمر يتعلق بالله وحده ليس لأحد من البشر أن يتدخل فى تحديد هذه الأمور فيقول سبحانه: **﴿قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم﴾** البقرة: آية ١٤٢، ولقد اعتبر الحق سبحانه أن اليهود سفهاء لأنهم يرددون إشاعات يسيئون بها إلى الجماعة الإسلامية ويحاولون النيل من جماعة المسلمين لذلك وضح هذا الأمر فى قوله سبحانه: **﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم* قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام* وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره* وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون* ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ماتبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين﴾** البقرة: الآيات ١٤٢ - ١٤٥.

ومن لحظة نزول هذه الآيات وقد ترك الرسول ﷺ الاتجاه إلى بيت المقدس واتجه إلى مكة التى أصبحت من لحظة نزول هذه الآيات قبلة المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها أينما كانوا يتجهون إليها لأن ذلك شرط لصحة الصلاة. يقول الحق سبحانه: **﴿ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشونى ولأتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون﴾** البقرة: آية ١٥٠.

يوم تحويل القبلة

تمر بنا نحن المسلمين فى هذا الشهر العظيم ذكرى من أعز وأخلد الذكريات تحيى فينا الأمل نحو وحدة أمتنا تجمع ولا تفرق، تصون العرض وتحمى المال والنفس والدين ويعيش المسلم وهو يشعر بأن من ورائه أمة ترعى الحق وتشيع العدل، وترعى السلام. وتؤكد على وحدتها. وهى ذكرى تحويل القبلة من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام.

نتذكرها عسانا أن نكون أهلا لهذا التوجيه الكريم من الله الرحمن الرحيم العليم الخبير بمنافذ الهداية إلى القلوب حيث قال سبحانه فى محكم كتابه: **﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾** الذاريات: آية ٥٥.

ففى الصحيحين عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا وكان رسول الله يحب أن يتوجه إلى الكعبة فأنزل الله قوله: **﴿قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾** البقرة: آية ١٤٤، فتوجه نحو الكعبة.

هكذا يحدثنا الصحابى الجليل عن تحويل القبلة. وتفرض علينا ذكراها أن نعيش مع الآيات التى عالجت أمر تحويلها، وكشفت لنا وللناس ما يضمره الكفر للإسلام وأهله، وأبانت التوعية الحقة التى استوعبها الجيل الأول من أصحاب رسول الله ﷺ فأخذوا أنفسهم بها، فتوحدوا بعد فرقة، وتجمعوا بعد شتات وعزوا بعد ذلة، وسادوا العالم بعد أن كان لا يأبه لهم.

ولنقرأ - إخوة الإسلام - الآية الأولى التى واجهت الحرب النفسية التى شنت من الكافرين على المسلمين: **﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم﴾** البقرة: آية ١٤٢.

إذن هى هداية الله لخلقه - وليس بعد هدايته سبحانه هداية - ولا بعد الهدى إلا الضلال. ولا بعد الإيمان إلا الكفر. وإن صراط الله المستقيم. الذى جعله الله مطلبا لكل مسلم يقرأ به فى كل ركعة من صلاته **﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾** فاتحة الكتاب: آية ٦، والمسلم مطالب أن يسير على صراط الله ويلتزم هديه.

إنه من قبل أن يأمر الله نبيه وأصحابه بالتوجه إلى قبلتهم الجديدة أى الكعبة - والتى طالما اشتاقت نفس رسول الله إليها أعلى الله من قدر أمة رسول الله ﷺ فقال: **﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾** البقرة: آية ١٤٣.

إنه القرآن الكريم هو حبل الله المتين وكتابه المبين ربى به رسول الله ﷺ أمته. ولذلك جاء قول الله تعالى: **﴿وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه﴾** البقرة: آية ١٤٣.

فتحويل القبلة كان القصد منه تنقية الجماعة المؤمنة. وصدق الله العظيم فقد قال بعد نكبة أحد: **﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب* وما كان الله ليطلعكم على الغيب﴾** آل عمران: آية ١٧٩، ويعلن سبحانه عن نقاء قلوب المؤمنين من كل غش تؤثر فيه الدعايات المسمومة من أعداء المسلمين حيث قال سبحانه: **﴿وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله..﴾** البقرة: آية ١٤٣.

فتحويل القبلة لم يكن القصد منه إضعاف إيمانهم، وقطع صلتهم بدينهم فحاشا لله الرءوف الرحيم **﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم﴾** البقرة: آية ١٤٣.

لكم تحمل رسول الله ﷺ المشاق والمتاعب فى سبيل دعوته إلى الله. وقد يعجب المرء لهذا التصوير القرآنى. لكثرة دعاء رسول الله لربه لتحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام. وينتهى كل تعجب عندما نعلم الحرب النفسية التى أعلنها الكفار على رسول الله ﷺ وأصحابه. وهو يتجه فى صلاته إلى بيت المقدس. فقد قال مشركو مكة: لو كان محمد على ملة إبراهيم لاتبع قبلته بمكة. وقال اليهود: إن محمدا يتبع قبلتنا. ولم يبق له إلا أن يتبع ملتنا ولذا أبان الله - عز وجل - لنا وللناس معاناة رسول الله ﷺ: **﴿قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾** البقرة: آية ١٤٤.

وهكذا استجاب الله لدعاء نبيه فحوله إلى القبلة التى طالما طلبها رسول الله من ربه ومن أولى من رسول الله أن تستجاب دعوته.

فهذا قانون استجابة الله للدعاء **﴿وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون﴾** البقرة: آية ١٨٦.

وشاء الله أن يكشف مكنون نفوسهم **﴿وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون﴾** البقرة: آية ١٤٤، وأخبرنا سبحانه أن هذه الفرية من أهل الكتاب لم تصدر عن باحثين عن حق. ولا عن راغبين فى إيمان. فقال تعالى: **﴿ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض﴾** البقرة: آية ١٤٥.

ويحذرنا سبحانه من اتباع أهواء اليهود حتى لا نكون من الظالمين فقال سبحانه: **﴿ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين﴾** البقرة: آية ١٤٥.

إن تحويل القبلة معلم من معالم وحدة أمتنا.. وخير نصون به دعوتنا وأن نكون طوع أمر ديننا. طاعة لله فى كل أمر. وبعدا عن كل نهى فقد قال تعالى: **﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا﴾** الأحزاب: آية ٣٦.

فأمتنا واحدة. ولا قيمة لعبادة لا توحد صفوفنا، وتجمع شملنا **﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾** الأنبياء: آية ٩٢، بل لا قيمة للخوف من الله إذا لم يجعل وحدتنا أعز من كل هوى مع أمن وأمان أمتنا **﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾** المؤمنون: آية ٥٢.

إن على أبناء الإسلام أن يقدموا مصلحة أمتهم على الأنانية الفردية. والإقليمية فما عزت أمتنا قديما، واحترم وحدتها العدو. ولم يخادعها مخادع إلاعندما أخذت بقول الله تعالى: **﴿وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين﴾** الأنفال: آية ٤٥، وقوله تعالى: **﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾** المائدة: آية ٢.

كونوا كما أمر الله. ورغب رسول الله ﷺ فلا تسمعوا لإشاعة زائفة أو كلمة مغرضة فلن تحل مشاكلنا إلا بالعمل الجاد الذى يحرس وحدتنا ويمكن لأمنها وأمانها.

ونحن فى رحاب ذكرى تحويل القبلة. فلابد أن نأخذ بهذا التوجيه الكريم من الله البر الرحيم **﴿ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا إن الله على كل شىء قدير﴾** البقرة: آية ١٤٨.

إذا لابد من العودة إلى الله عز شأنه وعظم سلطانه.. والمثول بين يديه. لأن الله لا يقبل إلا العمل الطيب. فليكن عمل الخير هو ميدان السبق. وحلبة الصراع من أجل سعادة الدنيا وكرامة الآخرة **﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد﴾** آل عمران: آية ٣٠.

إن المسلم عليه أن يعمل لدنياه كأنه يعيش أبدا وأن يعمل لآخرته كأنه يموت غدا وأن يجعل الدنيا فى كفه ولا يجعلها فى قلبه، وأن يلتزم بأوامر الله. ويقتدى بالنبى محمد ﷺ، ولا يتبع الإشاعات ويستمع لكلام أهل الهوى الذين يضلون عن سبيل الله. فالحق من الله وهو أحق أن يتبع.

شروط الدعاء:

١ ـ الأكل من حلال.

٢ ـ الدعاء بخير.

٣ ـ طهارة القلب.

٤ ـ تحرى الأوقات المباركة كالثلث الأخير من الليل.

٥ ـ الصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه.

فعلى المسلمين أن يذكروا أولادهم ببيت المقدس ويعدوا أنفسهم للذود عنه بالغالى والرخيص وأن تكون ليلة النصف بداية لانطلاق العملاق المسلم الذى يجاهد فى سبيل الله ولا يخشى فى الله لومة لائم.

هذا وبالله التوفيق.

الهوامش:

١ ـ اللؤلؤ والمرجان جـ١ ص١١٤ ط: عيسى الحلبى.

قبلة الصلاة

أ.د/ محمد المسير

الصلاة فريضة مكتوبة فى رسالات الله إلى البشر، دعا إليها الأنبياء، وأوصى الله بها عباده على مدى الأجيال.

فسيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام جعل الغاية من سكنى إسماعيل عليه السلام بجوار البيت الحرام هو إقامة الصلاة فقال: ﴿ربنا ليقيموا الصلاة﴾ إبراهيم: آية ٣٧.

وختم دعاءه العام الشامل بالتأكيد على تلك الشعيرة فقال: ﴿رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء﴾ إبراهيم: آية ٤٠.

وأوحى الله بها إلى موسى عليه السلام فقال: ﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة﴾ يونس: آية ٨٧.

وأخذ الله عليها الميثاق من بنى إسرائيل فقال: **﴿ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا وقال الله إنى معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة﴾** المائدة: آية ١٢.

وتكلم عيسى عليه السلام فى المهد مؤكدا تلك الفريضة فقال: **﴿وجعلنى مباركا أين ما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة﴾** مريم: آية ٣١.

وقد فرضت الصلاة على المسلمين ليلة الإسراء والمعراج خمسا فى الفعل وخمسين فى الأجر والثواب، وكان المسلمون يصلون فى مبدأ الدعوة الإسلامية فى مكة صلاة بالغداة وصلاة بالعشى، ويشهد لذلك قوله تعالى: **﴿وسبح بحمد ربك بالعشى والإبكار﴾** غافر: آية ٥٥.

وفى غداة الليلة المباركة التى وقع فيها الإسراء والمعراج بدأت تجربة عملية لتحديد مواقيت الصلاة بدءا ونهاية.

ففى صحيح مسلم عن أبى مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **«نزل جبريل عليه السلام فأمنى فصليت معه، ثم صليت معه، ثم صليت معه، ثم صليت معه، ثم صليت معه»** يحسب بأصابعه خمس صلوات.

وثبت فى الحديث فى سنن أبى داود والترمذى وغيرهما فى رواية ابن عباس وغيره فى إمامة جبريل أنه صلى الصلوات الخمس مرتين فى يومين، فصلى الخمس فى اليوم الأول فى أول الوقت وفى اليوم الثانى فى آخر وقت الاختيار.

ونص الحديث كما رواه الترمذى عن ابن عباس: **«أمنى جبريل عليه السلام عند البيت مرتين، فصلى الظهر فى الأولى منها حين كان الفىء مثل الشراك، ثم صلى العصر حين كان ظل كل شىء مثله، ثم صلى المغرب حين وجبت الشمس وأفطر الصائم، ثم صلى العشاء حين غاب الشفق، ثم صلى الفجر حين برق الفجر وحرم الطعام على الصائم.**

وصلى المرة الثانية الظهر حين كان ظل كل شىء مثله لوقت العصر بالأمس، ثم صلى العصر

حين كان ظل كل شىء مثليه، ثم صلى المغرب لوقته الأول، ثم صلى العشاء الآخرة حين ذهب ثلث الليل، ثم صلى الصبح حين أسفرت الأرض.

ثم التفت إلىّ جبريل فقال: يا محمد، هذا وقت الأنبياء من قبلك، والوقت فيما بين هذين الوقتين».

وبمطالعة شرح هذا الحديث نلتقط هذه العبارات(١).

- فى رواية فى الأم للشافعى: عند باب الكعبة.

- فى رواية لابن اسحاق فأمر فصيح بأصحابه، الصلاة جامعة، فاجتمعوا، فصلى به جبريل، وصلى النبى ﷺ بالناس.

- وقال ابن الأثير: قدره ههنا ليس على معنى التحديد، ولكن زوال الشمس لا يبين إلا بأقل ما يرى من الظل، وكان حينئذ بمكة هذا القدر.

والظل يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة، وإنما يتبين ذلك فى مثل مكة من البلاد التى يقل فيها الظل، فإذا كان طول النهار واستوت الشمس فوق الكعبة لم ير بشىء من جوانبها ظل.

فكل بلد يكون أقرب إلى خط الاستواء ومعدل النهار يكون الظل فيه أقصر، وكل ما بعد عنها إلى جهة الشمال يكون الظل أطول.

- قوله: **«هذا وقت الأنبياء من قبلك»**.

قال ابن العربى فى عارضة الأحوذى: ظاهره يوهم أن هذه الصلوات فى هذه الأوقات كانت مشروعة لمن قبلهم من الأنبياء، وليس كذلك، وإنما معناه أن هذا وقتك المشروع لك، يعنى الوقت الموسع المحدود للطرفين الأول والآخر.

وقوله: **«وقت الأنبياء من قبلك»** يعنى ومثله وقت الأنبياء قبلك، أى صلاتهم كانت واسعة الوقت وذات طرفين، وإلا فلم تكن هذه الصلوات على هذا الميقات إلا لهذه الأمة خاصة.

واختلف العلماء فى قبلة المسلمين فى الصلاة أثناء العهد المكى على قولين:

الأول: إلى بيت المقدس واستمرت بعد الهجرة إلى أن صرفهم الله إلى الكعبة.

الثانى: إلى الكعبة ثم لما وقعت الهجرة صلى المسلمون إلى بيت المقدس.

وأيًا ما كان فإن المسلمين قد استقبلوا بيت المقدس فى أوائل العهد المدنى ستة عشر شهرا أو سبعة عشر حتى نزلت الآية الكريمة: **﴿وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾**(٢) البقرة: آية ١٤٤.

وهذا الاتجاه إلى بيت المقدس كان تعبيرا عن معانى سامية منها:

١ - محاولة البعد عن شائبة الوثنية، فالكعبة حينئذ كانت محاطة بأصنام تعد بالمئات، وأيضا المنع من الاشتراك مع المشركين فى الاتجاه.

٢ - تهدئة الصراع النفسى لدى المسلمين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله.

٣ - تأليف اليهود وجذبهم للدين الجديد بتعظيم بيت المقدس الذى بارك الله حوله، وبيان أن رسالات الله تلتقى فى أصولها العامة.

وتلك القضية - قضية تأليف اليهود - اهتم الرسول الكريم بها، ومن مظاهرها الأخرى المعاهدة التى وقعها مع اليهود والتى تضمنت حسن الجوار والتعاون التام والدفاع المشترك، وكذلك صيام عاشوراء، وأمر المسلمين به وقوله ﷺ: **«نحن أحق بموسى منكم»**.

ولكن إذا ما أحس المسلمون بوحدة صفوفهم وقوة إيمانهم واتخذوا موقف الدفاع وأُذن لهم بالقتال، فليتجهوا - إذن - إلى البيت الحرام بمكة ليحيا فى وجدانهم حتى يطهروه من رجس الوثنية، ثم إن البيت هو بناء إبراهيم الجد الأكبر للعرب واليهود معا، وهو أول بيت وضع للناس.

ولذا كان الرسول ﷺ يكثر الدعاء إلى الله تعالى أن يجعل قبلته إلى البيت الحرام بمكة.

وهنا نزل قوله تعالى: **﴿قد نرى تقلب وجهك**

فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾ البقرة: آية ١٤٤.

قال الإمام النووى(٣): واختلف أصحابنا وغيرهم من العلماء - رحمهم الله تعالى - فى استقبال بيت المقدس هل كان ثابتا بالقرآن أم باجتهاد النبى ﷺ؟

فحكى الماوردى فى الحاوى وجهين فى ذلك لأصحابنا، قال القاضى عياض - رحمه الله تعالى - الذى ذهب إليه أكثر العلماء أنه كان بسنة لا بقرآن، فعلى هذا يكون فيه دليل لقول من قال إن القرآن ينسخ السنة، وهو قول أكثر الأصوليين المتأخرين، وهو أحد قولى الشافعى - رحمه الله تعالى -.

والقول الثانى له، وبه قال طائفة، لا يجوز لأن السنة مبينة للكتاب فكيف ينسخها، وهؤلاء يقولون لم يكن استقبال بيت المقدس بسنة، بل كان بوحى، قال الله تعالى: **﴿وما جعلنا القبلة التى كنت عليها..﴾** الآية.

وقد تعددت الروايات فى الصلاة الأولى التى وقعت للكعبة بعد الهجرة، ويسوق الإمام القرطبى منها(٤):

- فى رواية مالك: أنها صلاة الصبح.

- وقيل: نزل ذلك على النبى ﷺ فى مسجد بنى سلمة وهو فى صلاة الظهر بعد ركعتين منها فتحول فى الصلاة، فسمى ذلك المسجد مسجد القبلتين.

- وقيل: إن الآية نزلت فى غير صلاة وهو الأكثر، وكانت أول صلاة إلى الكعبة صلاة العصر، وثبت ذلك فى صحيح البخارى ولم يبلغ هذا الخبر إلى بعض المسلمين إلا فى فجر اليوم التالى.

وجاء فى الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: بينما الناس بقباء فى صلاة الصبح إذا جاءهم آت، فقال: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة.

هذا وقد أحدث تحويل المسلمين إلى الكعبة فى الصلاة حملة تشكيك تولى كبرها السفهاء من أهل الكتاب وقالوا: أخبرونا عن صلاتكم إلى بيت المقدس، إن كانت على هدى فقد تحولتم عنه، وإن كانت على ضلالة فقد عبدتم الله بها مدة؟! وتساءل البعض عن حكم من مات قبل أن يدرك تحويل القبلة.

هنا نزل القرآن العظيم كاشفا خفايا صدور المنافقين واليهود، ومصححا لمفهوم العبادة، فقال:

﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم* وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم﴾ البقرة: الآيتان ١٤٢، ١٤٣.

فالعبادة إنما هى الامتثال الضارع لأمر الله الحكيم الخبير، وطالما امتثل الإنسان أمر خالقه وبارئه فهو فى محل الرضا منه سبحانه.

فمن صلى إلى القبلة الأولى ومات قبل أن يدرك القبلة الثانية فقد قبل الله صلاته، لأنه امتثل وأطاع.

وليس الهدى فى اتباع موطن خاص أو التوجه إلى مكان معين وإنما الهدى هدى الله، والكون كله خاضع لمشيئته وسلطانه.

الهوامش:

١ - تحفة الأحوذى - شرح جامع الترمذى، ج١ ص٤٦٤. تحقيق الدكتور عبدالوهاب عبداللطيف.

٢ - قال أبو حاتم البستى - كما نقل القرطبى -: صلى المسلمون إلى بيت المقدس سبعة عشر شهرا وثلاثة أيام سواء، وذلك أن قدوم الرسول المدينة كان يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول وأمره الله عز وجل باستقبال الكعبة يوم الثلاثاء للنصف من شعبان.

٣ - شرح النووى على صحيح مسلم، ج٥ ص٩.

٤ - أحكام القرآن ج٢، ص١٤٨.

شرف القبلة والاتجاه إليها

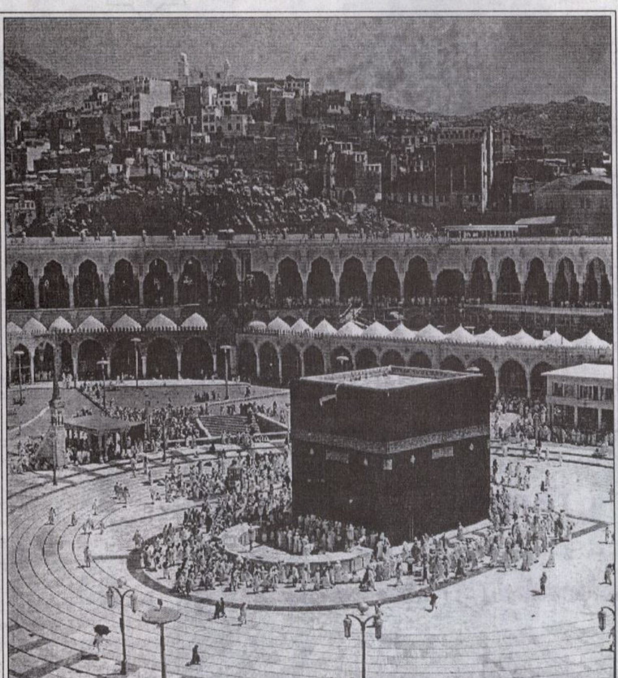

رجب عبدالمنصف

من سنن الله تعالى فى كونه الاختلاف والتمايز، وما ينشأ عنهما من تفاضل واصطفاء.

نرى ذلك واضحا فى عالم البشر إذ الإنسان سيد الكون ﴿وسخر لكم مافى السموات ومافى الأرض جميعا منه﴾ الجاثية: آية ١٣.

كما أن الناس أنفسهم متفاوتون فى الخيرية، والمعيار هو قوله تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ الحجرات: آية ١٣.

وكذلك الأمر فى عالم الزمان والمكان، فقد فضل الله تعالى الأيام بعضها على بعض، فأقسم ببعضها، ونوه بتشريف بعض، فأعظم الشهور رمضان، وخير الليالى ليلة القدر، وأفضل الأيام عشر ذى الحجة.

ولم تشذ البقاع والأمكنة عن هذه السنة فخير البلاد إلى الله وأحبها إليه مكة المكرمة- كما جاء فى الحديث(١) وأشرف البقاع على الإطلاق الكعبة المشرفة(٢) وحواشيها من مسجد وبلدة وحرم، بل إن هذا الفضل والشرف ليمتد ويتسع حتى يشمل اتجاهات الكعبة فى مشارق الأرض ومغاربها ومن هنا كان النبى ﷺ يتشوق إليها ويقلب وجهه فى السماء أملا فى التوجه إليها حتى استجاب الله تعالى لتطلعاته، وبهذا أصبحت القبلة رمز الفيض الإلهى ومهبطه «إن أحدكم إذا استقبل القبلة فإنما يستقبل ربه»(٣)، «إذا قام أحدكم إلى الصلاة استقبلته الرحمة»(٤).

ولا غرو فهى سيدة المجالس كما جاء فى الحديث **«خير المجالس ما استقبل به القبلة»**(٥).

ومن هنا كانت الكعبة المشرفة مهوى أفئدة المسلمين وموطن أشواقهم وكانت اتجاهاتها الأربع

محط أنظارهم ومطمح أبصارهم لا تصح صلاة أحدهم مالم يتوجه إليها.

وبجانب هذا الشرط الحتمى لصحة الصلاة، فقد صار استقبالها أمرا مستحبا ومندوبا إليه، ومرغبا فيه فى سائر الأحوال الشريفة ومواضع القرب والطاعات ومن ذلك:

١ ـ الوضوء:

من سنن الوضوء وآدابه استقبال القبلة، ومن الفقهاء الذين نصوا على هذا الاستحباب ابن نجيم فقد ذكر أن من مستحبات الوضوء استقبال القبلة فيه[٦] كما ذكر أن آداب الغسل هى آداب الوضوء مستثنيا من ذلك استقبال القبلة، ومن الفقهاء الذين قرروا ذلك ابن المنذر فى قوله «من سنن الوضوء استقبال القبلة»[٧].

ولاشك أن الاستحباب هنا مقيد بالإمكان فإن لم يتمكن من استقبال القبلة حال وضوئه لسبب من الأسباب لم يكره، إذ قد يكون فى استقبال القبلة عند الوضوء خاصة فى الأبنية ما قد يؤدى إلى الحرج والحرج مرفوع ﴿**ما جعل عليكم فى الدين من حرج**﴾.

٢ ـ الأذان:

من سنن الأذان ومندوباته أن يستقبل المؤذن القبلة فى أذانه وكذلك عند إقامته للصلاة. يقول ابن نجيم فى ذلك: «ويستقبل بالأذان والإقامة القبلة».

وما ذهب إليه ابن نجيم من الحنفية هو عين ما ذهب إليه كافة الفقهاء نلحظ ذلك عند الشافعية ففى نهاية المحتاج «ويسن أن يتوجه فى الأذان وفى الإقامة للقبلة لأنه المنقول سلفا وخلفا ولأنها أشرف الجهات»[٨].

ويستتبع سنة استقبال القبلة عند الأذان والإقامة كراهة الإخلال بهذا الاستقبال، مع ملاحظة أن الفقهاء قرروا للمؤذن أن يحول وجهه عند قوله «حى على الصلاة، حى على الفلاح» يمنة ويسرة دون أن يحرك قدميه وذلك بغرض الإسماع ودليل السنية هنا هو الإقرار النبوى لما كان يفعله بلال وسائر مؤذنيه ﷺ فلاشك أنه قد رأى بلالا وغيره يؤذن ويقيم مستقبلا القبلة فأقره على ذلك إن لم يكن قد وجهه ابتداء ولعل ذلك ما يقصده ابن نجيم بقوله: «وللتوارث عن بلال»[٩].

من سنن الأذان ومندوباته أن يستقبل المؤذن القبلة فى أذانه وعند إقامة الصلاة

أما قوله السابق على ذلك: «لفعل الملك النازل من السماء» فلا يصلح دليلا على تقدير صحة نزوله.

ومن هنا قال ابن المنذر: «أجمع أهل العلم على أن من السنة أن يستقبل القبلة بالأذان وذلك لأن مؤذنى رسول الله ﷺ كانوا يؤذنون مستقبلين القبلة»[١٠].

٣ ـ الأضاحى:

عند ذبح الأضحية[١١] من السنة أن يتسقبل المضحى بذبيحته القبلة وذلك على نحو ما فعله المصطفى ﷺ عندما ذبح أضحيته حيث وجهها إلى القبلة ثم قال: «**اللهم إنى وجهت وجهى للذى**

فطر السموات والأرض»[١٢].

ومن هنا قال الطحاوى من الحنفية: «وينبغى له أن يستقبل بذبيحته القبلة وإن لم يفعل لم يحرمها ذلك عليه»[١٣]، وهذا ما ذهب إليه سائر الفقهاء[١٤].

٤ ـ عند الإحرام:

من أحرم بحج أو عمرة فعليه من باب الندب والاستحباب أن يستقبل القبلة عند إحرامه بعد أن يأتى بآداب الإحرام الأخرى وأهمها الغسل، وتقليم الأظافر وما إليها وصلاة ركعتين وبعدهما يبدأ الإحرام.

وعندما يبدأ السير أو الركوب وعندئذ يسن أن يحرم مستقبلا القبلة[١٥] فقد كان ابن عمر إذا صلى الغداة بذى الحليفة أمر براحلته فرحلت ـ جهزت ـ ثم ركب فإذا استوت به استقبل القبلة قائما يلبى[١٦].

٥ ـ عند تلاوة القرآن الكريم:

إذا ما تهيأت له فيستحب لقارئ القرآن أن يستقبل القبلة عند شروعه فى التلاوة مع سائر الآداب الأخرى كالوضوء والسواك والتدبر.. وذلك إذا ما تهيأت له الأسباب.

أما إذا لم يتمكن من استقبال القبلة كأن يكون سائرا أو راكبا ويرغب فى القراءة فلا ضير عليه إذ القاعدة أن مالا يدرك كله لا يترك جله.

٦ ـ عند الاحتضار:

فيستحب لمن يشعر بدنو أجله أو من حوله أن يوجهه إلى القبلة استعدادا للقاء ربه، ومن الآثار الواردة فى ذلك ما فعلته فاطمة الزهراء حيث اضطجعت واستقبلت القبلة..[١٧].

٧ ـ عند الدعاء:

من مستحبات الدعاء وآدابه استقبال القبلة عند الشروع فيه، وذلك لأنها الجهة التى يتوجه إليها العابدون لله سبحانه وتعالى الداعون له، المتقربون إليه وكان المصطفى ﷺ حريصا على استقبال القبلة عند الدعاء وسيرته الشريفة ناطقة بذلك مقررة له.

فعن عبدالله بن زيد الأنصارى أن رسول الله ﷺ خرج إلى المصلى يستسقى وأنه لما أراد أن يدعو استقبل القبلة وحول رداءه، وسيرته ﷺ ناطقة باستقباله القبلة عند الدعاء.

الهوامش:

١ ـ رواه أحمد، والترمذى، والنسائى، وانظر أيضا سيرة ابن هشام عند مبحث الهجرة.

٢ ـ الكعبة: بناء مكعب قائم وسط المسجد، يطوف حولها الطائفون، والكعبة أربعة أركان يسمى كل ركن منها باسم الجهة التى تقابله، فالركن الشمالى الشرقى يسمى بالركن العراقى، والركن الشمالى الغربى يسمى بالركن الشامى، والركن الجنوبى الغربى يسمى بالركن اليمانى، والركن الجنوبى الشرقى يسمى بالركن الأسود (لوجود الحجر الأسود) وباب الكعبة يسمى بالملتزم.

٣ ـ رواه أبو داود فى الصلاة.

٤ ـ رواه أحمد.

٥ ـ رواه الطبرانى.

٦ ـ البحر الرائق ٢٧٢/١ وانظر كذلك الكنز للنسفى ص١١.

٧ ـ انظر موسوعة الفقه الإسلامى جـ٧ ص٢٩٣.

٨ ـ السابق.

٩ـ البحر الرائق ـ مصدر سابق.

١٠ ـ موسوعة الفقه الإسلامى، مصدر سابق.

١١ ـ الأضاحى: جمع أضحية كأنها اشتقت من اسم الوقت الذى شرع ذبحها فيه وبها سمى اليوم يوم الأضحى (فتح العلام بشرح بلوغ المرام ٢٩٢/٢).

١٢ ـ رواه ابن ماجة.

١٣ ـ مختصر الطحاوى ص٣٠٤ ط إحياء المعارف العثمانية.

١٤ ـ انظر كشف القناع ١٢٤/٤، نهاية المحتاج ١١٢/٨.

١٥ ـ انظر متن الإيضاح للنووى ص٣٩.

١٦ ـ رواه البخارى ـ كتاب: الحج، باب: الإهلال مستقبل القبلة.

١٧ ـ رواه أحمد، وانظر أيضا موسوعة الفقة ٢٩١/٧.

مسئولية جديدة للأزهر؟

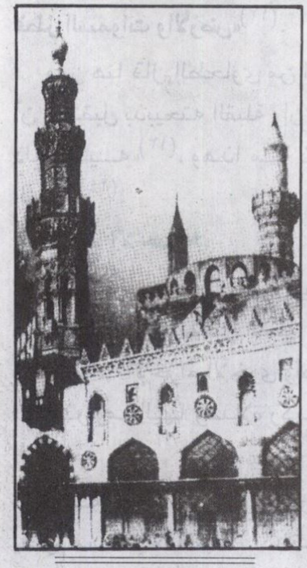

بغير تخطيط سابق وجدتنى غارقا فى أبحاث لعلماء تفرغوا لدراسة بعض أسرار القرآن.. واكتشفوا من دراساتهم أن بعض الآيات لا يمكن فهمها الآن - فى القرن الحادى والعشرين - كما كان يفهمها المسلمون الأوائل فى القرن السادس، لأنها تشير إلى حقائق لم يتوصل إليها العلم إلا مؤخرا، وهذه معجزة أخرى تضاف إلى مافى القرآن من أوجه الإعجاز.

ووجدتنى - دون قصد - مشدودا إلى هذه الآفاق الجديدة من الاكتشافات التى توصل إليها علماء الفلك والجيولوجيا والفيزياء والبيولوجيا وغيرها، ووجدوا فى القرآن آيات تتفق مع ما استقر عليه العلم من الحقائق الثابتة فى هذه الاكتشافات.

أ. رجب البنا

فى نفس الوقت كنت مشغولا بمتابعة الحملات على الإسلام منذ فجر الدعوة وحتى اليوم، فوجدت أن ما سجله القرآن من اتهامات المفكرين وأعداء الإسلام، مازال يتردد إلى اليوم ابتداء من القول بأن هذا القرآن ليس من عند الله، ولكنه من عند محمد، إلى ادعاءات بعض المستشرقين بأن الإسلام ليس ديانة من الديانات السماوية، ولكنهم يسمونه «المحمدية» Mohamadinism، وكأنه مجرد دعوة أخلاقية من رجل حكيم، كما هو الحال فى الكونفوشية التى تنسب إلى كونفوشيوس، وهناك كتب ومقالات وأقسام فى جامعات مخصصة لتقديم أدلة مغلوطة ومسمومة على صحة ما يوجه إلى الإسلام من اتهامات بجميع لغات العالم، ويجب ألا نغفل الدور الذى تقوم به المؤسسات والمحافل الصهيونية العالمية.

ولقد أتيح لى أن أزور عددا من الدول الأوروبية، وأن ألتقى على موائد حوار مع مفكرين وباحثين وعلماء أديان ومؤرخين، بعضهم كان يدرك حقيقة الإسلام ويعترف بأن القرآن كتاب من الله، وأن محمدا رسول الله حقا، وبعضهم كان ينكر ذلك، ويجادل ويجهد نفسه فى إقامة الدليل لتشويه الإسلام من كل وجه، وتشويه المسلمين وعقائدهم وعباداتهم، وقد أشرت إلى بعض ما سمعت فى كتاب «الإسلام والغرب».

ولم يكن كل ذلك يثير القلق فى نفسى، لأنى واثق بأن مثل هذه الحملات لن تتوقف، وسوف تستمر إلى آخر الزمان، وهذه إرادة الله، أن يظل الحق والباطل فى صراع إلى يوم الدين ليمحص الله الذين آمنوا، وحتى يمكن الحكم على صدق المؤمن لابد من أن يمتحن فى إيمانه، ويتعرض لحملات تسعى إلى إثارة الشكوك فى نفسه، أو التقليل من شأن عقيدته، وهذا هو ما نبهنا إليه الله تعالى فى كتابه **﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم﴾** آل عمران: آية ١٤٢، والثبات على الحق أمام جحافل الباطل يحتاج إلى ثبات، وشجاعة، ويقين.

وتوقفت كثيرا عند آيات فى القرآن تلفت الأنظار إلى دراسة ومحاولة فهم هذا الكون بآفاقه ومعجزاته، ليرى الإنسان عظمة الخالق تتجلى فى هذا الكون المذهل، كما تتجلى فى مخلوقاته من النملة إلى الإنسان، ووجدت أن هذه الآيات كثيرة وتعجبت: كيف لا يفعل المسلمون ما أمرهم به الله وكرر لهم الأمر فى أكثر من آية للنظر فى ملكوت السموات والأرض:

- **﴿أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض﴾** الأعراف: آية ١٨٥.

- **﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم﴾** ق: آية ٦.

- **﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت* وإلى السماء كيف رفعت* وإلى الجبال كيف نصبت* وإلى الأرض كيف سطحت﴾** الغاشية: الآيات ١٧ ـ ٢٠.

- **﴿فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها﴾** الروم: آية ٥٠.

- **﴿انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه﴾** الأنعام: آية ٩٩.

- **﴿انظروا ماذا فى السموات والأرض﴾** يونس: آية ١٠١.

- **﴿قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾** العنكبوت: آية ٢٠.

- **﴿أفرأيتم ما تحرثون﴾** الواقعة: آية ٦٣.

- **﴿أفرأيتم الماء الذى تشربون﴾** الواقعة: آية ٦٨.

- **﴿أفرأيتم النار التى تورون﴾** الواقعة: آية ٧١.

- **﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة﴾** الحج: آية ٦٣.

- **﴿ألم تر أن الله سخر لكم مافى الأرض﴾** الحج: آية ٦٥.

- **﴿ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه﴾** النور: آية ٤٣.

- **﴿ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل﴾** لقمان: آية ٢٩.

العلم فى الإسلام جزء من الدين والمسلمون مطالبون بالنظر فى ملكوت السموات والأرض ودراسة الظواهر والحقائق الكونية

- **﴿يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون﴾** الروم: آية ٢٩.

- **﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار﴾** الروم: آية ٢٣.

- **﴿ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيى به الأرض بعد موتها إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾** الروم: آية ٢٤.

وهذه الآيات يحتاج تفسيرها على وجهها الصحيح إلى دراسة لظواهر وحقائق كونية لم يتوصل العلم إلى بعضها إلا مؤخرا دليلا على أن الله جمع للإنسانية فى القرآن العلم والدين، ليكون ذلك منهج التفكير والمفكرين، ويكون أساس هذا المنهج أن العلم فى الإسلام جزء من الدين، وكان مدهشا بالنسبة لى أن أصل إلى قوله تعالى فى سورة الروم: آية ٢٢ **﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك**

لآيات للعالمين﴾ لأرى أن المراد بالعالمين هنا ليسوا علماء الدين فقط، ولكن أيضا العلماء الدارسون للسموات والأرض وأسرار مافيها، والدارسون لأجناس الناس والشعوب واللغات وأسرار اختلافهم، وهؤلاء هم العلماء بالمعنى الحديث، فالقرآن إذن لا يفرق بين العلوم الشرعية والعلوم الكونية والطبيعية، ويجمع بينها فى تكامل تام، ويرجعها إلى الخالق، وإذا كان هناك انفصال بين العلوم، فهذا الانفصال نظرى بحت لضرورات البحث والتخصص، وإن كان كل علم من العلوم الطبيعية والدينية ينقسم الآن إلى فروع كثيرة، فإن هذه العلوم المتعددة التى تبدو منفصلة تجمعها وحدة هى وحدة المصدر، مصدر كل الظواهر التى يدرسها كل العلماء: الله سبحانه وتعالى، ومن هنا تبدو حقيقة «وحدة العلوم» أو «وحدة المعرفة» كما توصل إليها المفكرون وفلاسفة العلوم أخيرا، علوم الدين إذن ليست منفصلة، أو منقطعة الصلة عن علوم الدنيا، وبالتالى فإن فهم القرآن وتفسيره لا يكتمل إلا فى ضوء كل العلوم وكل المعارف التى تتوصل إليها الإنسانية.

ولقد عشت أوقاتا ممتعة غارقا فى بحر بلا قرار، وأنا أتأمل عظمة الخلق والخالق من خلال قراءات لأبحاث علماء لهم مكانتهم الكبيرة فى تخصصاتهم، واطمأن قلبى إلى تفسيراتهم بعد أن وجدت ترحيبا بهذا المنهج الجديد فى تفسير القرآن من شيوخ الأزهر العظام من أمثال الشيخ محمد عبده، والشيخ حسن مأمون، والشيخ محمود شلتوت، والشيخ محمد سيد طنطاوى.

وحاولت أن أقدم بعض ما وصلت إليه وهو كثير.. لكن غايتى أن أؤكد أننا نخطئ عندما نفصل بين العلم والدين عموما، وبين القرآن وحقائق العلوم على وجه الخصوص، وقد أصبحت لدينا ذخيرة عظيمة من اجتهادات المفسرين من مدارس التفسير المختلفة.. أكثرهم فسر القرآن تفسيرا لغويا، وكشف بعض ما فيه من البلاغة المعجزة التى يستحيل أن تكون من لغة البشر.. وبعضهم اهتم بأسباب نزول الآيات حتى يمكن فهمها فى ضوء ملابسات نزولها، وبعضهم ركز على استخلاص الأحكام الفقهية والأوامر والنواهى التى أرسل الله رسوله بها للبشر.. والآن.. وقد وصلنا إلى عصر تقدمت فيه العلوم تقدما مذهلا.. وخرج الإنسان من الأرض إلى الفضاء، ورأى بعينيه الفضاء الكونى الرهيب ومافيه ودخل العلماء إلى أدق مكونات الكائن الحى وهى الخلية وأوشكوا أن يصلوا إلى حل الشفرة الوراثية للإنسان، كما توصلوا إلى الاستنساخ، ومعرفة أسباب كثير من الأمراض واكتشاف علاجات لها.. و.. و..

إنجازات العلوم شملت أبعادا كثيرة كان من المستحيل أن تخطر على بال البشر منذ قرن واحد

إن إنجازات العلوم شملت أبعادا كان من المستحيل أن تخطر على بال أحد من البشر منذ قرن واحد، فضلا عن أن تخطر على البال منذ أكثر من أربعة عشر قرنا حين نزل القرآن.

ولابد أن نشعر بسعادة كبرى عندما نجد العلوم والاكتشافات الحديثة جاءت لنا بأدلة جديدة على صدق القرآن وأنه من عند الله تعالى. فنزداد يقينا على يقين، ونثبت على الإيمان مسلحين بما يناسب العصر.

وهذا يدعونا إلى الدعوة إلى تفسير جديد للقرآن.. تفسير كامل متكامل.. يبين جوانب الإعجاز فيه من كل وجه، ويضعه لنا مجموعة من علماء الدين وعلوم الطبيعة والأرض والفلك والحياة.. الخ.

يدعونا ذلك أيضا إلى الدعوة إلى تدريس التفسير العلمى للقرآن فى المدارس والجامعات لكى نقضى على الازدواجية فى التفسير والفهم والتفكير بين العلوم الشرعية التى يسمونها العلوم النقلية، لأنها مستمدة من أقوال السابقين وبين العلوم الطبيعية والتجريبية.

وقبل رحيله بقليل كتب الدكتور منصور حسب النبى - أستاذ الفيزياء - بصفته رئيسا للجمعية المصرية للإعجاز العلمى للقرآن رسالة إلى الإمام الأكبر شيخ الأزهر، طالب فيها بالعمل على اعتماد منهج تفسير القرآن بإظهار ما فيه من جوانب الإعجاز العلمى، واستخدام هذا المنهج لإثبات صدق نبوة محمد ﷺ، وتقديم خلاصة الأبحاث فى هذا المجال باللغات الأجنبية ليصل إلى غير الناطقين باللغة العربية وما أكثرهم، ولئى يكون الوسيلة التى تقنع غير المؤمنين به على اختلاف بواعثهم، ولتثبيت الإيمان فى نفوس شباب المسلمين الذين يتعرضون لتيارات مريبة من الغزو الفكرى والانحلال الموجه عبر الأقمار الصناعية والفضائيات والإنترنت، وغيرها من وسائل الإعلام الحديثة الموجهة ضد الإسلام.

والدكتور منصور حسب النبى بدأ رحلته مع الإعجاز العلمى للقرآن منذ عام ١٩٨٠م فى مجلة الأزهر، مجلة أكتوبر، وألقى أحاديث وأجرى لقاءات فى الإذاعة والتليفزيون، وله مؤلفات باللغتين العربية والإنجليزية، وظل حتى آخر يوم فى حياته مجندا لهذه الدعوة.. يلقى محاضرات فى المواسم الثقافية للجامعات، ويتحدث فى النقابات وفى سرادق الحسين فى شهر رمضان، ويلقى أحاديث فى المساجد بالقاهرة والأقاليم، وكانت رسالته التى كرس حياته لها هى تدعيم الوعى الجماهيرى بالإعجاز العلمى بالقرآن، وخلال هذه السنوات لم ينقطع عنه علمه الأكاديمى ومساهمته بالبحوث ورئاسة جلسات المؤتمرات التى شارك فيها فى القاهرة ومكة المكرمة وإسلام أباد وموسكو والنرويج بين عامى ٨٧ و٩٤ وتولى رئاسة الجمعية المصرية للإعجاز العلمى للقرآن منذ عام ١٩٩١م حتى وفاته عام ١٩٩٨م.

ونتيجة هذا الجهد الخارق والإحساس بأنه صاحب رسالة يحرص على أدائها كاملة قبل أن يفرغ الأجل، فإن القضية أصبحت مطروحة على الساحة لتأخذ دورها فى الدعوة الإسلامية باستخدام الإشارات العلمية فى القرآن، كما أنه أشرف على رسالة ماجستير فى فلسفة العلوم كان موضوعها «المنهج القرآنى فى بحث العلوم الطبيعية» ورسالة أخرى للدكتوراه موضوعها «الزمان فى القرآن الكريم» وقال: إنه مؤمن بأن العمل الأكاديمى لا ينفصل عن الإيمان.

وكان الدكتور منصور حسب النبى قد التقى بالدكتور محمد سيد طنطاوى ١٩٨١م فى أم درمان ولم يكن قد تولى مشيخة الأزهر بعد، وشجعه الإمام الأكبر على السير فى هذا الطريق، كما التقى بشيخ الأزهر فى ذلك الوقت الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق - رحمه الله - وعرض عليه منهجه فشجعه على تأسيس

الجمعية، وعلى نشر كتاب له باللغة الإنجليزية بعنوان «القرآن والعلم الحديث» عام ١٩٩٠م.

وجمعية الإعجاز العلمى للقرآن الكريم نشأت عام ١٩٨٨، وشارك فيها مؤسسا وعضوا فى مجلس إدارتها وسكرتيرا عاما، ثم رئيسا لها، ولكنه ـ بأمانة ـ قال: إن هذه الجمعية لم تستطع تحقيق معظم أهدافها لضعف إمكاناتها، فاقتصر نشاطها على عقد ندوات فى دار الطفل بالدقى، وجمعية الشبان المسلمين بالقاهرة، وجمعية مصطفى محمود التى استضافت الجمعية لعدم وجود مقر مناسب لها، وحاول بعض المؤمنين بالقضية الإبقاء على هذا النشاط المتواضع رغم ضعف ميزانية الجمعية والتى لم تكن تكفى لمجرد تغطية المصروفات الضرورية لنشاطها الثقافى فقط، ولذلك استحال على لجان هذه الجمعية أن تنفذ خطتها وفيها لجان من علماء لهم قدرهم، مختصة بالدعوة، والترجمة والنشر، والتوثيق، والاتصالات.

لذلك توجه الدكتور حسب النبى إلى شيخ الأزهر يناشده أن يرعى هذه الجمعية وأن ينشئ «مركز بحوث الإعجاز العلمى» بالأزهر أو بجامعة الأزهر بحيث يختص هذا المركز بتطوير وتقييم ونشر البحوث الجديدة عن الإعجاز العلمى للقرآن، ووضع ضوابط للكتابة فى هذا الموضوع، وتقييم المؤلفات والمقالات المنشورة والاستفادة من الجيد والأصيل منها، كما يتولى هذا المركز إصدار مجلة علمية متخصصة لنشر البحوث العلمية المنهجية فى مجالات الإعجاز العلمى للقرآن بعد إجازتها من لجنة من المتخصصين فى العلوم الكونية والشرعية، وإصدار مجلة أخرى جماهيرية لتنشر فكر الإعجاز العلمى للقرآن، ويكون هذا المركز هو السلطة العلمية التى تتولى تشجيع بحوث الإعجاز العلمى وتخصيص منح دراسية وجوائز مالية وتقديرية للباحثين فى هذه المجالات وللباحثين فى أنحاء العالم.

وكانت فكرة الدكتور منصور حسب النبى أيضا أن يسعى الأزهر بما له من نفوذ وسلطة أدبية كبيرة، للعمل على التوجيه الإسلامى للعلوم فى مراحل التعليم الأزهرى والتعليم المدنى، وإعداد منهج لتدريس مادة جديدة فى كل كلية وكل معهد أزهرى عن الإعجاز العلمى للقرآن، بالاستعانة بالإشارات القرآنية للحقائق الكونية التى توصل إليها الباحثون والعلماء.

كان طموح الدكتور حسب النبى أكبر من طاقته، وتوجه إلى الأزهر على أمل أن يستجيب لدعوته بالاتصال والتعاون مع الجهات والمنظمات الدولية والإسلامية والجامعات، لتبادل البحوث التى تخدم قضايا الإعجاز والتوجيه الإسلامى للعلوم والتربية الإسلامية، وكان المشروع الذى تقدم به يشمل الاستعانة بمراكز الترجمة والنشر والإعلام داخل الأزهر وخارجه لدعم البحوث التى تتم فى هذا المجال، وإعداد الردود العلمية باللغات الأجنبية على الافتراءات التى تنشر وتذاع عن الإسلام ورسوله، والاشتراك فى عقد ندوات ومحاضرات ومؤتمرات داخل وخارج العالم الإسلامى لطرح موضوعات الإعجاز العلمى.

كان طموح الرجل كبيرا أكبر من طاقته وطاقة الجمعية التى كان يرأسها وكان يأمل فى أن يجد من الأزهر وجامعة الأزهر ما يحول الحلم إلى حقيقة، وينشأ مركز أبحاث الإعجاز العلمى للقرآن فى الأزهر أو جامعته أو مجمع البحوث الإسلامية، وينشأ قسم للإعجاز العلمى للقرآن فى كليات أصول الدين والدعوة بجامعة الأزهر وفروعها.. ويدرس تفسير القرآن فى المدارس فى ضوء العلم الحديث.

ولايزال هذا الحلم قائما ينتظر التحقيق.

قراءات فى تراثنا الأدبى والنقدى

أ.د/ طه مصطفى أبو كريشة

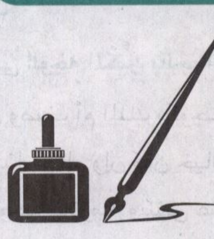

مع المتنبى فى شعر الرثاء (٢)

فى المقال السابق عرضنا لشعر المتنبى فى رثاء من ينتمون إليه بصلة القرابة، وفى رثاء من تجمعه بهم صلة الصداقة الحميمة، وقد أشرنا إلى ما يتسم به هذا الشعر من صدق العاطفة والوجدان، وصدق التعبير والبيان، وإلى ما تتسم به المعانى من اليسر والسهولة والبعد عن التكلف، مما كان لذلك كله من إحداث الشعور الوجدانى المشترك بين الشاعر والمتلقى، وهو الأثر الدال على الصدق فى كل شعر صادق مطبوع.

وفى هذا المقال نصحب المتنبى فى شعر الرثاء الذى صاغه فى أشخاص لهم صلة بأشخاص آخرين، كانوا موضع مدح للمتنبى، أى أن رثاء هؤلاء الأشخاص لم يكن لذواتهم، وإنما كان مجاملة لأولئك الممدوحين، الذين أحزنهم موت هؤلاء الراحلين.

وقد كان لسيف الدولة الحمدانى النصيب الأوفر من هذا النوع من شعر الرثاء، حيث رثى المتنبى أمه وابنه وأختين له، وهؤلاء من الصلة بسيف الدولة بمكان، أما سيف الدولة فهو من هو بالنسبة للمتنبى، الذى لم يقصر فى واجب الرثاء والتأبين، والذى حاول أن يمزج بين عواطفه وعواطف سيف الدولة فى الإحساس بهول المصاب، مع محاولة التعزية والتخفيف من اللوعة والأسى.

ومما قاله المتنبى فى رثاء (والدة) سيف الدولة مبينا أثر ذلك فى نفسه:

رَمَانِى الدهرُ بالأرزاءِ حتى
فُؤادى فى غِشَاءٍ من نِبَالِ
فصِرْتُ إذا أصابتْنى سِهام
تَكَسَّرَتِ النصالُ على النصالِ
وَهَانَ فما أُبالِى بالرَّزايا
لأنِّى ما انتفعْتُ بِأنْ أُبالِى

فى هذه الأبيات نرى كيف يعد المتنبى موت والدة سيف الدولة رزءا من الأرزاء التى رماه الدهر بها، فكأنه وسيف الدولة شريكان فى تأثرهما بهذا الفقد.. ومع أننا نأخذ هذا الأمر على ظاهره، إلا أننا نرجح أن المتنبى - جريا على عادته - كان يتخذ من مثل هذه المواقف منطلقا للبوح عما فى نفسه من مشاعر خاصة نحو زمانه والناس.

ثم يقول بعد هذه الأبيات مصورا هول المصاب فيقول:

وَهَذا أولُ الناعين طُرًا
لأوَّلِ مَيْتَةٍ فى ذا الجَلالِ
كأنَّ الموتَ لم يَفْجَعْ بِنَفْسٍ
ولَمْ يَخْطُرْ لِمَخْلوقٍ بِبَالِ

أى كأن كل أحداث الموت قبل ذلك لا تعد شيئا بجانب هذا الحدث الجلل الذى لم يخطر ببال، ولم يتوقع أحد حدوثه.. وواضح مافى البيتين من المبالغة التى تؤكد أن عاطفة المتنبى ليست عاطفة أصيلة، بقدر ماهى عاطفة مدّعاة، اصطنعت

لمجرد المشاركة الواجبة فحسب..

أما آثار هذه الفقيدة فمنها ما جاء فى هذه الأبيات:

أُسَائِلُ عنك بَعْدَكِ كلَّ مَجْدٍ

وَمَاعهدِى بمجد عنك خالِى

يَمُرُّ بقبرِك العافِى فيبكِى

وَيَشْغَلُه البكاءُ عن السؤال

وَمَا أهْدَاكِ للجَدْوَى عليه

لَوَ انَّكِ تَقْدِرِينَ على فَعَال

حصان مثل ماء المزن فيه

كتوم السر صادقة المقال

فهو يسأل عنها الأمجاد التى صاحبتها أيام حياتها كناية عن اتصافها بها، ثم يذكر أنها كانت ملاذ العافين والسائلين، وأنها عفيفة طاهرة مثل ماء السحاب، وأنها تكتم السر وتصدق فى المقال:

وينتهى من سرد الصفات إلى أنها كاملة بين النساء، ولو كان النساء جميعا مثلها فى الفضل والكمال لكان فى ذلك رجحان كفتهن على الرجال، ولا يضيرهن التأنيث حينئذ مع هذا الرجحان، وعن هذا يقول:

ولو كان النساءُ كَمَنْ فَقَدْنَا

لَفُضِّلَتِ النساءُ عَلَى الرِّجال

وما التأنيثُ لاسمِ الشمسِ عيبٌ

ولا التذكيرُ فَخْرٌ للهلال

فتأنيث الشمس لم يكن حائلا أمام أفضليتها على الهلال المذكَّر الذى يستمد ضوءه منها.. وواضح أيضا كيف اتجه المتنبى إلى هذا الخيال المنطقى، حيث أخذ من خلاله يقيم الأدلة على صحة دعاويه وما ذلك إلا لأنه كان مغلوبا على أمره فى هذا الموقف المفروض عليه، وبخاصة أنه يرثى امرأة لا تمت إليه بصلة القرابة، وقد اقتضى منه هذا حذرا كثيرا فى الحديث عنها، وإن كان لم ينج مما يؤاخذ عليه من مثل قوله:

صلاةُ الله خالِقنا حَنُوطٌ

على الوجهِ المكَفَّنِ بالجمال

فقد قال نقاده: إن وصف أم الملك بالوجه الجميل غير مختار فى هذا المقام وإن كان خياله صنع من الجمال كفنا للوجه يلازمه وينفى عنه ذبول الموت الذى يذهب بنضرته..

ومن هذا القبيل أيضا قوله:

بعيشك هَلْ سَلَوتِ فإنَّ قلبى

وإن جَانَبْتُ أرضَكِ غيرُ سَالِى

حيث قيل إن هذا أليق بحديث العاشقين لا المحزونين.

هذا ومن المعروف لدى الدارسين والنقاد أن شعر الرثاء من الأغراض، التى تتسع لشعر الحكمة، وهو شعر يميل إليه المتنبى ويحتفى به ويكثر منه، ويسوقه حيثما عنت المناسبة، حيث يجد فيه متنفسا للتعبير عن ذاته.

وقد كانت فلسفة الموت أحد جوانب الحكمة فى قصيدة رثاء والدة سيف الدولة، ومن ذلك قول المتنبى:

نُعِدُّ المَشْرَفيَّةَ والعوالِى

وتَقْتُلنا المنونُ بلا قِتَال

ونَرْتَبِطُ السوابقَ مُقْرَبَات

وما تُنْجِينَ من خَبَبِ الليالى

ومن لم يعشقِ الدنيا قديما

ولكن لا سبيلَ إلى الوِصال

نصيبُك فى حياتِك من حَبيبٍ

نصيبُك فى منامك من خَيَال

وقوله:

يُدَفِّنُ بعضُنا بعضًا وتَمْشِى

أواخرُنا على هَامِ الأَوَالى

وكَمْ عينٍ مُقَبَّلَةِ النواحى

كَحيلٍ بالجنادلِ والرمالِ

وَمُغْضٍ كانَ لا يُغْضِى لِخَوْفٍ

وَبَالٍ كانَ يُفَكِرُ فى الهُزَالِ

وفى شعر الحكمة نرى اختلاط الحقيقة بالمجاز ـ كما نرى هنا ـ فالليالى لها «خبب» أى عَدْوٌ وجرى، ومع الدنيا عشق ووصال، والجنادل والرمال صارت كحْلا للعيون تحت الثرى، وهذا إلى جانب نصيب الحقيقة فى التعبير.

والتعزية عن المصاب تحتاج إلى شىء من ردّ الفعل إلى صوابه، وذلك يكون عن طريق الإقناع باللجوء إلى الصبر، وبأن المعزَّى خليق بأن يكون صبورا، وذلك على النحو الذى حاوله المتنبى هنا مع سيف الدولة إذ يقول:

أسَيْفَ الدولة استنْجد بصبرٍ

وكيفَ بمثلِ صبركَ للجِبال

فأنتَ تُعلِّمُ الناسَ التَعزِّى

وَخَوْضَ الموتِ فى الحرب السِّجال

وحالاتُ الزمانِ عليك شتّى

وَحَالُكَ واحدٌ فى كل حال

فإذا كان عند سيف الدولة من الثبات ما يفوق ثبات الجبال، فإن حالات الزمان مهما اختلفت عليه فإنها لا تغير منه شيئا.. ومن الواضح أن الخطاب هنا موجه إلى العقل لا إلى الوجدان، ذلك أن لغة العقل تفرض نفسها فى الرثاء على كل لغة سواها، وهذا يكون فى الرثاء الذى يصدر عن عاطفة صادقة أو أشبه بأن تكون صادقة، كما رأينا فى الشواهد التى مرت.

أما شعر الرثاء الذى لاتكون له مثل هذه العاطفة، فإن التصنع يظهر فى جوانب متعددة، منها التصنع فى الصورة البيانية، وقد لاحظنا ذلك عند المتنبى فى رثائه لأختى سيف الدولة، فمن ذلك قوله عن إحداهما:

طَوَى الجزيرَةَ حتى جاءَنِى خبرٌ

فَزِعْتُ فيه بآمالِى إلى الكذب

حتى إذا لم يَدَعْ لى صدقُه أملاً

شَرِقْتُ بالدمع حتى كادَ يَشْرَقُ بى

تَعَثَّرتْ به فى الأفْواهِ ألسُنُها

وَالْبُرْدُ فى الطُّرْقِ والأقلامُ فى الكُتُب

فالمبالغة مظهر من مظاهر التصنع فى العاطفة، وقد ظهرت المبالغة فى هذه الصورة (شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بى) فقد شخص المتنبى الدمع وجعله شيئا كبيرا ضخما بالنسبة إليه، حتى أصبح هو بجانبه كأنه قطرة دمع يشرق بها الدمع.

ثم يقول بعد ذلك:

مَسَرَّةٌ فى قلوب الطيِّبِ مَفْرِقُها

وَحَسْرَةٌ فى قلوب البَيْضِ واليَلَبِ

وإن تكنْ خُلِقتْ أنثى لقد خُلِقتْ
كريمةً غيرَ أنثى العقلِ والحَسَبِ

وإن تكن تغلبُ الغلباءُ عُنْصَرها
فإن فى الخمرِ معنًى ليسَ فى العنبِ

فليتَ طالعةَ الشمسين غائبةٌ
وليت غائبةَ الشمسين لم تغبِ

وليت عينَ التى آب النهارُ بها
فداء عين التى زالت ولم تَؤُبِ

فالعاطفة الكاذبة أدت بخياله إلى أن يجعل (للطيب والبيض واليلب) قلوبا تسر وتتحسر، وأن يصف المرثية بأنها غير أنثى العقل والحسب، كما أداه إلى هذا الالتواء فى التصوير بين شمس السماء، والشمس التى أطلقت على هذه الفقيدة، وتمنيه أن تغيب الشمس الطالعة، وأن تطلع الشمس الغائبة، أى هذه المرأة التى ماتت، وكذلك تمنيه أن تفدى عين النهار وهى (الشمس) عين التى (زالت ولم تؤب) أى المرأة.

ولا نحسب أن تصويرا من هذا القبيل فيه شىء من الجمال والتأثير، وإنما هو لعب وخداع، أدى إليه كما قلنا زيف العاطفة، والمتنبى معذور فى ذلك، فنحن لا نطلب منه أن يوجد شيئا ليس بموجود، وبخاصة إذا علمنا أن هذه القصيدة قالها بعد أن فارق سيف الدولة، وبعد أن رجع من مصر إلى العراق، وجاءه هناك خبر موت أخت سيف الدولة.

ومثل هذا التصنع فى التصوير نلحظه فى رثاء أخت أخرى لسيف الدولة وكانت صغيرة، ومن ذلك قوله:

خِطْبَةٌ للحِمَامِ ليس لها رَ
دٌّ وإن كانتْ المُسَمَّاةُ ثُكْلا

وإذا لم تجدْ من الناسِ كُفْوًا
ذاتُ خِدْرٍ أرادتِ الموتَ بَعْلا

فالخيال جعل الموت يخطب هذه الفتاة المتوفاة ويتزوجها، لأنها لم تجد من الناس من يكون جديرا بالزواج منها فاختارت أن يكون الموت لها بعلا، وهذا التصوير مثل صادق للخيال السقيم حين يحدوه الزيف والتصنع، هذا بالإضافة إلى أن هذه المرثية ليس فيها من الرثاء إلا القليل، ثم جاء باقى القصيدة خليطا من المدح وشعر الحكمة الذى هرب إليه المتنبى من هذا الموقف الذى لم يكن فيه جياش العاطفة، ولا ممتلئ الشعور.

وهكذا يتبين لنا من خلال هذا العرض ما قلناه ابتداء من تنوع عاطفة المتنبى فى شعر الرثاء، بين العاطفة الصادقة إذا كان المرثى ذا صلة من حيث القرابة أو الصداقة الحميمة، وبين العاطفة المدعاة إذا لم يكن للمرثى مثل هذه الصلة.. ومع المآخذ التى تؤخذ على الشاعر فى الجانب الثانى، إلا أننا نعذره لصدقه مع نفسه فى الحالتين.

حديث قدسى

«وليس كل مصل يصلى!!.. إنما أتقبل الصلاة ممن: تواضع بها لعظمتى.. وكف شهواته عن محارمى ولم يصر على معصيتى.. وآوى الغريب.

كل ذلك، وعزتى وجلالى إن نور وجهه لأضوأ عندى من نور الشمس.. على أن أجعل الجهالة له علما، والظلمة نورا.. يدعونى فألبيه، ويسألنى فأعطيه، ويقسم على فأبره.. أكلؤه بقوتى، واستحفظه ملائكتى.

مثله عندى كمثل الفردوس: لايتسنى ثمرها، ولا يتغير حالها».

الحضارة والعلوم

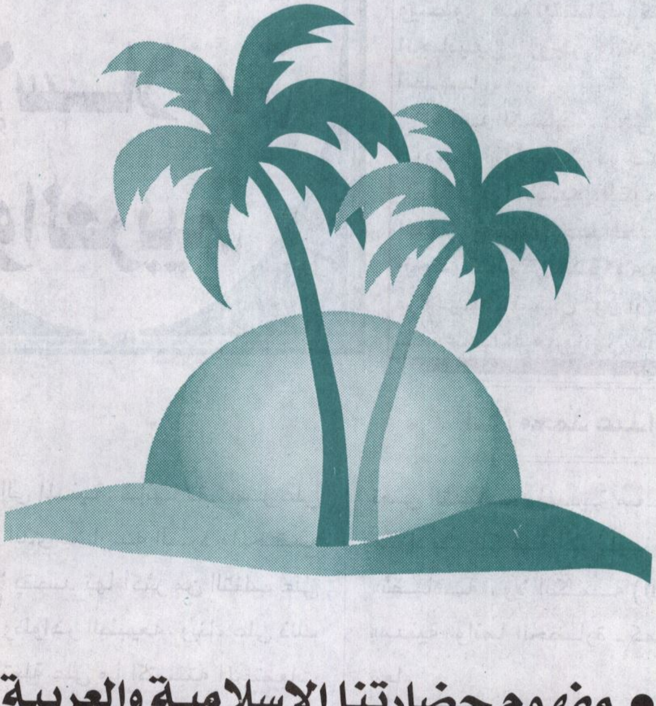

- مفهوم حضارتنا الإسلامية والعربية
- آيات الله فى خلق اللبن
- المراكز الإسلامية لعلوم الفضاء فى أوروبا

مفهوم حضارتنا الإسلامية والعربية

لم يتفق الدارسون حول تحديد المقصود بكل من: الحضارة، والثقافة، والمدنية. وثمة فريق من هؤلاء يعرف المقصود بهذه المفاهيم على النحو التالى:

• الحضارة: هى النشاط الاجتماعى الذى يرتبط بكل جوانب النشاط الإنسانى فى جميع الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والفنية وغيرها. وينطوى هذا النشاط - كما يظهر لنا - على الجانبين الروحى والمادى ولايقتصر على أحدهما.

• أما الثقافة: فهى تختص بالجانب الروحى والتكوين الوجدانى، بما فى ذلك المعتقدات الدينية والقيم الخلقية والتذوق الفنى ومدى حب الخير والبحث عن الحقيقة، وكل هذه الأمور من المفترض أن يزاولها الإنسان دون أن يبغى من ورائها نفعا ماديا أو مأربا من مآرب الحياة.

أ.د/ محمد عبدالفتاح عليان

• وبالنسبة إلى المدنية: فإنها تقتصر على النشاط العملى الذى يمارسه الفرد والمجتمع باعتباره وسيلة لا يقصد بها أكثر من التغلب على ضرورات الحياة وظواهر الطبيعة. وبناء على ذلك تصير المدنية مشتملة على ما اكتسبته المجتمعات فى تاريخها الطويل من خبرات وتجارب فى سبيل التغلب على الضرورات المادية، والسيطرة على واقع الحياة سيطرة تكفل للإنسان أسباب الاكتفاء والاستقرار، وعلى أساس هذا التفسير نجد أن المدنية تتمثل فيما يبتكره الإنسان من أدوات ووسائل فى نطاق الزراعة والصناعة وغيرهما من ميادين الحياة العملية، أى أنها تشمل الجانب المادى التطبيقى والتكنولوجى.

ويتضح من التعريفات المذكورة أن الحضارة تعنى الثقافة والمدنية معا، ولا يمكن أن تكون مرادفة للكلمة الإنجليزية (Culture) بمعنى «ثقافة»، ولا الكلمة (Civilization) بمعنى «مدنية» وإنما الحضارة - كما قلنا - تعنى الاثنين معا.

كما يتضح أيضا أن القيم الروحية والخلقية التى تخص مجتمعا ما تعبر عن خصائصه وتراثه، وبذلك فهى غير قابلة للاقتباس والنقل من مجتمع إنسانى إلى مجتمع آخر، اللهم إلا فى صعوبة وعسر. أما الجانب التطبيقى والتكنولوجى (أى المدنية فيقبل الانتقال والاقتباس من مجتمع إلى آخر فى سهولة ويسر، دون أن يتعارض ذلك مع تقاليد المجتمع المنقول إليه ولا مع تكوينه الوجدانى والنفسى.

ثقافة الفرد وثقافة الأمة:

وينبغى أن نفرق بين ثقافة الفرد وثقافة الأمة، فالفرد يكون فى العادة حاملا لجزء من ثقافة أمته، على أنه ليس من الضرورى أن يكون كل مثقف من أفراد الأمة ممثلا لثقافة أمته، فقد يكون مثقفا ثقافة أمة أخرى، كما هو الحال بالنسبة لبعض أبناء أمتنا العربية الذين يتأثرون تأثرا كاملا بالتعليم الأجنبى، فيخرجون منه بقدر كبير من الثقافة الأجنبية إلى الحد الذى يجعلهم لا يرتبطون بثقافة أمتهم.. ومن المفروض أن أبناء الأمة الواحدة لابد لهم من قدر مشترك من الثقافة يهىء لهم القدر الكافى من الانسجام الذى يجب أن يتوافر لأبناء الأمة الواحدة فيحميهم من تنافر الأهداف والقيم، بل ومن فقدان الهوية مما يؤدى بهم إلى الانبهار بثقافة الغير وقيمه وتقاليده، وهى ظاهرة نطلق عليها فى وطننا العربى «الاستغراب»، إذ بلغ الحد بهؤلاء المستغربين من العرب إلى المناداة بعدم استخدام اللغة العربية الفصحى واستبدالها بالعامية، فضلا عن المناداة بكتابتها بأحرف لاتينية بدلا من الأحرف العربية، إلى غير ذلك مما يجردهم من ثقافة أمتهم.

التفاعل الروحى والمادى:

على أن فريقا آخر من الدارسين يرى أن التفاعل بين الجانبين الروحى والمادى فى حياة الإنسان من شأنه أن يجعل التفرقة بين الظواهر الروحية والظواهر المادية من الصعوبة بمكان، فالحضارة المصرية القديمة على سبيل المثال كانت تقوم على أسس روحية وتؤمن بخلود الروح بعد البعث، ولكن الملاحظ أن ذلك كان له أثره على الجوانب المادية المتمثلة فى إقامة الأهرامات، وما احتوت عليه من نقوش، فضلا عن التحنيط والزخرفة وفنون النحت والعمارة وغير ذلك مما خلفته هذه الحضارة من تراث مادى ومن فنون تطبيقية. كما أنه من الملاحظ أن المدنية الغربية فى وقتنا الحاضر تمخضت عن الكثير من الأفكار العلمانية والإلحادية، مما كان له أبعد الأثر فى توجيه السلوك والقيم لدى الإنسان الغربى.

وهذا الارتباط والتداخل والتأثير المتبادل بين الجانب الروحى والجانب المادى فى حياة المجتمع جعل الفريق الأخير من الدارسين يعرِّفون الحضارة بأنها التعبير عن النشاط الاجتماعى فى مختلف صوره ومظاهره واتجاهاته، بما فى ذلك التصورات المجردة والمعرفة العملية التطبيقية، حتى لقد أطلق بعضهم على هذا النشاط تعبير «الإنسانيات»، فيقال تبعا لذلك عن حضارة الغرب: «إنسانيات الغرب»، وعن حضارة الشرق «إنسانيات الشرق».

الدين والحضارة:

مما يجدر ذكره فى هذا الصدد أن بعض المفكرين المسلمين يلفت النظر إلى أنه يتحتم علينا ألا ننساق وراء التعريف المذكور لكل من الحضارة والثقافة والمدنية على النحو المشار إليه، لأن الدين أو العقيدة فى المنظور الإسلامى، إنما هو أوسع بكثير من أن يقتصر على جانب من دائرة الثقافة، بل هى أوسع حتى من دائرة الحضارة على امتدادها، إنها رؤية شاملة للكون والحياة والإنسان، وبرنامج عمل ومنهاج حركة يهيمن على كافة المعطيات الحضارية، مدنية وثقافية، ولا ينضوى الدين الإسلامى تحت أية جزئية منها، مهما كانت فاعلية هذه الجزئية وتدفق معطياتها.. إن هذه الرؤية العقيدية ذات الطابع الشمولى هى التى يتحتم أن تحتوى الحضارة، وتصبغها، وتمنحها خصائصها، وترسم سبل اتجاهاتها ونموها، وليس العكس بحال من الأحوال.

- إن التقاليد الثقافية الوضعية من جهة، وانكماش المساحة التى تحركت عليها المسيحية

والبوذية وغيرهما من الأديان والعقائد والفلسفات وعدم قدرتها على تغطية مطالب الحياة كافة من جهة أو الاستجابة لنداءات القوانين والسنن التاريخية من جهة أخرى، هى التى فرضت هذا التقسيم الخاطئ، الذى يحجم دور العقيدة أو الدين، ويجعله أسير مساحة أو جزء من دائرة أكبر اتساعا هى دائرة الثقافة.

والخطأ الذى يتمخض عن افتراض على النحو المشار إليه يقوم على اعتبار النشاط الثقافى البشرى هو القاعدة، وهو الدائرة الأكثر اتساعا، وما الدين - على فرض التسليم المطلق بنزوله من السماء - سوى جانب محدود من جوانب النشاط الثقافى، وهو لا يظل بحال محتفظا بأصوله السماوية بل ينضاف إليه - بمرور الوقت - الكثير من المعطيات والإسقاطات البشرية حتى ما يلبث أن يغدو فى معظم الأحيان انعكاسا وضعيا صرفا. لكننا كمسلمين، لسنا ملزمين باعتبارات مثل المشار إليها، أى بتقسيمات هى وليدة تجربة غير تجربتنا، وتاريخ غير تاريخنا، ودين غير ديننا.

الإسلام والعروبة صنوان لا يفترقان

ولاشك أن الإسلام يشكل الدعامة الكبرى الرئيسية لحضارتنا، بمعنى أنه الأصل والأساس فى خلق هذه الحضارة، كما أن العروبة تشكل ركيزة هامة لها،وجذرا رئيسيا من جذورها، ويؤدى بنا هذا القول إلى سؤال ملح، وهو إذا كان لنا أن نختار صفة أولى لحضارتنا، فأى الصفتين أرجح: العروبة أم الإسلام. وبعبارة أخرى، هل هى حضارة عربية إسلامية، أم إسلامية عربية؟

وللإجابة على التساؤل المشار إليه نقول: إن الإسلام والعروبة صنوان لا يفترقان. فنبى الإسلام ﷺ ينحدر من أصل عربى كريم، ودستور الإسلام - وهو القرآن الكريم الذى اقترن مولد حضارتنا بنزوله - هو بلسان عربى مبين، والعرب هم الذين حملوا رسالة الإسلام إلى شتى شعوب الأرض شرقا وغربا، حتى تلك البلاد البعيدة التى لم تصل إليها جيوش المسلمين، والتى انتشر الإسلام فى ربوعها، وبخاصة شرقى افريقيا وجنوبى آسيا وشرقيها، يرجع الفضل إلى تجار العرب فى حمل رسالة الإسلام إليها، واللغة العربية هى لغة هذه الحضارة العظيمة، وأداتها المعبرة عن آرائها وأفكارها، والرابط الذى ربط بين أبناء أمتنا الكبيرة التى تشكل فى ظل الإسلام أمة واحدة متماسكة متراصة البنيان، رغم أصولها العرقية المختلفة. وإذا كانت الحضارة الإسلامية قد خلفت تراثا ضخما فى شتى العلوم والفنون، فإن الجزء الأكبر من هذا التراث باللغة العربية، وحتى علماء هذه الحضارة الذين ينحدرون من أصول غير عربية: كالطبرى، والبخارى، والفارابى، وابن سينا، والخوارزمى، وغيرهم - كتبوا مؤلفاتهم باللغة العربية.

حضارة إسلامية عربية

ولكننا مع اعتزازنا بأهمية العروبة كدعامة أساسية لتلك الحضارة، إلا أننا نقدم عليها الإسلام، بمعنى أنها فى حقيقة أمرها «حضارة إسلامية عربية». وعندما نقرر ذلك فإننا لا نعتمد على مجرد العاطفة الدينية كمسلمين، وإنما نعتمد على الواقع والمنطق العلمى، وذلك للأسباب الآتية:

١ - إن الهجرات العربية التى انطلقت من جزيرة العرب فى العصور القديمة لم تتجاوز فى مسيرتها المنطقة المتاخمة لها والمسماة بالهلال الخصيب، ولم تحقق أى من هذه الهجرات ما حققته حركة الفتوح العربية الإسلامية، لأن هذه الحركة كان وراءها الإسلام بثقله الروحى الضخم. أما الحركات الأخرى السابقة فكان لها فى الغالب دوافعها الاقتصادية، ولذا كانت قصيرة العمر، محدودة الأجل، لم تسفر إلا عن إشباع البطون.

أما حين خرج العرب من جزيرتهم مبشرين بدين الإسلام فقد أمدهم هذا الدين بطاقة ضخمة دفعتهم للجهاد فى سبيل الله، ومكنتهم من تبليغ رسالته إلى ربوع الأرض، والتصدى للدولتين العظيمتين وقتذاك وهما الفرس والروم. وهكذا نجد أن الإسلام هو الذى مكن العرب من القيام بهذا الدور العظيم فى تاريخ البشرية، ولولاه ما كان لهم هذه المكانة المرموقة فى بناء الحضارة الإنسانية.

٢ ـ كانت اللغة العربية قبل الإسلام منقسمة على نفسها إلى عدة لغات أو فروع، اشتهر منها لغة الجنوب ولغة الشمال، والذى هيأ لهذه اللغة وحدتها وأعطاها طابعها وقوتها هو نزول القرآن الكريم بلسان قريش، وبذلك صار للعرب جميعا ـ فى ظل الإسلام ـ لسان واحد، هو ذلك اللسان العربى المبين، ولولا الإسلام ورسالته لظلت اللغة العربية لغة محلية محدودة داخل جزيرة العرب، ولما أصبحت لغة الثقافة العالمية فى العصور الوسطى. ومن الثابت أن أخواتها من اللغات السامية الأخرى تعرضت للذبول والموت خارج نطاقاتها المحلية فى جزيرة العرب وبلاد الشام، مثل العبرية والفينيقية والآرامية والسريانية وغيرها. وذلك على عكس اللغة العربية التى اتسع نطاق المتحدثين بها ـ فى ظل الإسلام ـ خارج شبه الجزيرة العربية.

٣ ـ إن الإسلام هو الذى أمد هذه الحضارة بمجموعة من القيم والمثل العليا وحدد لها مقوماتها الروحية والمعنوية والخلقية والفكرية، فحين شهد التاريخ حضارة الإسلام المبدعة، كان الأمر فى التحليل النهائى بمثابة تحقق فى الزمان والمكان للرؤية التى تنزل بها هذا الدين، فأعاد من خلالها صياغة الروح والقلب والعقل والضمير والوجدان، ولولا ذلك، لما كان بمقدور العقل العربى ـ بمواصفاته التقليدية القديمة ـ أن يفعل عشر معشار هذا الذى فعله بعد إعادة تشكيله بالمؤثرات والتحولات التى صنعها الإسلام.

٤ ـ إن عددا لا يستهان به من غير المسلمين أسهموا فى بناء الحضارة الإسلامية. على أن الإسلام بروحه وتسامحه وسعة أفقه، هو الذى كفل لهؤلاء حرية العقيدة، وأحاطهم بمناخ من التسامح، ووفر لهم الأمن والسلام، بل الرعاية والتشجيع، مما حفزهم على الإنتاج والإسهام فى مسيرة الحضارة الإسلامية بطمأنينة وراحة بال، وهم عندما عملوا وأنتجوا وأبدعوا إنما فعلوا ذلك تحت مظلة الإسلام، بكل ما تنطوى عليه تعاليمه من ثقل حضارى.

وهكذا، مع أن العروبة عزيزة على قلب كل مسلم وإن لم يكن عربيا، وعلى قلب كل عربى وإن لم يكن مسلما، إلا أننا عندما نجد أنفسنا مطالبين بتقديم صفة على أخرى، لوصف هذه الحضارة التى اعتبرها الباحثون أعظم حضارة عرفها العالم أجمع فى العصور الوسطى، فإننا نقول باطمئنان: إنها حضارة إسلامية عربية، حقيقية إن مفهوم العروبة كظاهرة أقدم زمنيا من مفهوم الإسلام. ولكننا نعنى حركة حضارية لم تولد إلا بين أحضان الإسلام، ونمت فى ظله، وازدهرت بين رحابه، وإن كانت قد استمدت من الأوضاع السابقة زمنيا على الإسلام بعض مقوماتها المساندة.

أهم المراجع:

١ ـ سعيد عبدالفتاح عاشور وزميله: عُمان والحضارة الإسلامية.

٢ ـ أحمد إبراهيم الشريف: أصول الحضارة الإسلامية.

٣ ـ عماد الدين خليل: مؤشرات حول الحضارة الإسلامية.

٤ ـ سامى اليافى: الحضارة الإسلامية.

٥ ـ أحمد شلبى: موسوعة الحضارة الإسلامية.

آيات الله فى خلق اللبن

اللبن شراب الفطرة، وهو غذاء من الأغذية ودواء من الأدوية، وشراب من الأشربة، خلقه الله تعالى بحكمة بالغة، لا تستطيع آلاف المصانع أن تخلق مثله، قال الله تعالى: ﴿وإن لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين﴾ النحل: آية ٦٦.

رضاعة الطفل من لبن أمه لا يعادله أى لبن آخر كما وكيفا وله فوائد عديدة

أ.د/ عبدالمعبود عمارة

وجاء فى تفسير هذه الآية الكريمة (التفسير الوسيط للأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر) المعانى الآتية:

الفرث: الطعام المتبقى فى أمعاء الحيوان بعد هضمه.

الخالص: النقى الصافى الخالى من الشوائب والأكدار.

السائغ: اللذيد الطعم، السهل المدخل إلى الحلق.

أى نسقيكم من بين الفرث والدم الذى اشتملت عليه بطون الأنعام «لبنا» نافعا لأبدانكم «خالصا» من رائحة الفرث، ومن لون الدم، مع أنه موجود بينهما **﴿سائغا للشاربين﴾**، بحيث يمر فى الحلوق بسهولة ويسر، ويشعر شاربه بلذة وارتياح، وقدم سبحانه قوله: **﴿من بين فرث ودم﴾** على قوله «لبنا» لأن خروج اللبن من بينهما هو موطن العبرة، وموضع الدليل الأسمى على قدرة الله تعالى ووحدانيته.

والحق أن هذه الآية الكريمة من أكبر الأدلة على وحدانية الله تعالى ونفاذ قدرته، وعجيب صنعته، حيث استخرج ـ سبحانه ـ من بين فرث ودم فى بطون الأنعام لبنا خالصا سائغا للشاربين هذا، وفى الآية الكريمة إشارة إلى أن اللبن نعمة جزيلة من نعم الله تعالى على خلقه.

قال القرطبى ما ملخصه: روى أبو داود وغيره عن ابن عباس قال: أتى رسول الله ﷺ بلبن فشرب، ثم قال: «**إذا أكل أحدكم طعاما فليقل: اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه، وإذا سقى لبنا فليقل: اللهم بارك لنا فيه، وزدنا منه، فإنه ليس شىء يجزئ من الطعام والشراب إلا اللبن**».

وفى الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ أتى ليلة أسرى به بإناء فيه خمر وإناء فيه لبن فنظر إليهما، فأخذ اللبن فقال له جبريل عليه السلام: الحمد لله الذى هداك للفطرة (عمدة القارى. شرح صحيح البخارى للعينى ج١ ص٢٩).

وقال ابن قيم الجوزية فى الطب النبوى: «**وكان ﷺ يشرب اللبن، خالصا تارة، ومشوبا بالماء أخرى، وفى شرب اللبن الحلو فى تلك البلاد الحارة نفع عظيم: فى حفظ الصحة، وترطيب البدن، ورى الكبد، ولاسيما اللبن الذى ترعى دوابه «النباتات فإن لبنها غذاء من الأغذية، وشراب مع الأشربة، ودواء مع الأدوية**».

رضاعة الطفل من ثدى أمه تقلل احتمال الإصابة بسرطان الثدى وتزيد من استقرار الأم والطفل نفسيا

اللبن من غذاء أهل الجنة:

النعيم الذى يحيا فيه أهل الجنة لا يحصى ولا يعد، ففى الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، من الحور العين، والجنان الوارفة الظلال، والفواكه المذللة للآكلين والأنهار من الأشربة العذبة الحلوة من الماء واللبن الطازج، والخمر التى لا غول فيها ولا تأخذ بالعقول، وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿**مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم**﴾ سورة محمد: آية ١٥.

التركيب الكيميائى للبن:

اللبن هو الغذاء الكامل والذى يحتوى على جميع العناصر الغذائية، ومنه يستخرج العديد من منتجات اللبن كالجبن، والزبادى، والقشطة، والزبد. وفى الريف يسمون اللبن باسم «الخير» ويقولون فى بيت فلان خير أى عنده بقر أو جاموس يدر له اللبن، ومن عادة أهل الريف أنهم يتبادلون الخير فيما بينهم.

واللبن يحتوى على البروتينات والسكريات والدهون، كما يحتوى اللبن على الكثير من المعادن كالحديد الذى يعالج الأنيميا، والكالسيوم والفوسفور الذى يبنى العظام.

واللبن يحتوى على الفيتامينات الهامة كفيتامين د، ج، والمهمان لبناء العظام ومنع مرض لين العظام والكساح، واللبن يعادل الحموضة المعدية ولذلك يوصف كعلاج غذائى فى حالة قرحة المعدة والإثنى عشر، ونظرا لوجود الكالسيوم بنسبة عالية فهو يعالج هشاشة العظام ونقص الكالسيوم فى الدم لأى سبب آخر.

اللبن وحق الإرضاع للطفل:

ولأهمية اللبن للطفل خاصة فقد قرر الإسلام حق المولود فى الرضاع فقال تعالى: ﴿**والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة**﴾ البقرة: آية ٢٣٣.

وقال تعالى: ﴿**وفصاله فى عامين**﴾ لقمان: آية ١٤، أى فطامه.

وقرر حق الأم فى أجر الرضاعة الذى أوجبه الله تعالى على الأب فقال تعالى: ﴿**أسكنوهن من حيث سكنتم من وُجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا**

عليهن وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف﴾ الطلاق: آية ٦.

انظروا رحمكم الله إلى رحمة الله تعالى حيث أوجب للطفل حق الإرضاع من الأم، وأوجب على والده النفقة للأم والطفل، فقد سبق الإسلام بذلك كل الحضارات التى تنادى بحق الطفل فى النفقة والإرضاع.

والرضاعة من الأم ذات فوائد عديدة للطفل وللأم، فلبن الأم للطفل لا يعادله أى لبن آخر كما وكيفا، ونلاحظ أن الطفل الذى يرضع رضاعة طبيعية يكون نموه أسرع من الناحية البدنية والنفسية.

ورضاعة الطفل من ثدى أمه يجعل الرحم يعود إلى حجمه الطبيعى قبل الولادة ويقلل من احتمال الإصابة بسرطان الثدى، كما أن الرضاعة من الأم تزيد من استقرار الأم والطفل نفسيا، كما تجعل الارتباط النفسى والعاطفى بينهما قويا.

كما أن لبن الأم يحتوى على مضادات أجسام ضد أمراض الدفتريا، والتهاب الغدة النكفية، وشلل الأطفال، والحصبة، والجدرى والجديرى بشرط أن تكون الأم قد أخذت التطعيم أو أخذت عدوى سابقة، والمناعة المكتسبة من الأم تكفى الطفل حتى ستة شهور فقط وعلى الأم المبادرة بتطعيم الطفل ضد الأمراض حسب الجدول المعلن بوزارة الصحة وقاية له من الأمراض.

العوامل التى تزيد من إدرار اللبن:

لبن الأم يزيد وينقص طبقا لعوامل متعددة، فهو يزيد بالغذاء الجيد المحتوى على العناصر الغذائية والفيتامينات والمعادن والخضروات، كما أن حالة الأم النفسية والتواؤم الأسرى والعاطفى يزيد من إدرار اللبن، كما أن الخلو من الأمراض الحادة والمزمنة كأمراض الكبد والكلى، والقلب، مهم لإدرار اللبن.

متى تمتنع الأم عن ارضاع طفلها من الثدى:

قد تطرأ على الأم بعض الأمراض الحادة التى توجب عليها الامتناع عن الإرضاع منها، الإصابة بالالتهابات الحادة كالنزلات الشعبية والالتهاب الرئوى أو تشرخات بالثدى أو وجود خراج بالثدى، وقد تصاب الأم بمرض الدرن (السل) والذى ينقل العدوى إلى الطفل، أو إصابة الأم بمرض هبوط القلب الاحتقانى أو أمراض الكلى المزمنة أو إصابة الأم بأمراض عقلية أو عصبية كالصرع مثلا لا قدر الله.

كيف ترضع الأم طفلها:

مدة الرضاعة للطفل حديث الولادة هى عشرون دقيقة، بمعدل عشر دقائق من كل ثدى، وعدد الرضعات اليومية هى ست رضعات، بين كل رضعة وأخرى ثلاث ساعات فتكون الساعة ٦، ٩، ١٢ صباحا - ثم الساعة ٣، ٦، ٩ مساء. ثم تدع الأم طفلها لينام، وإذا استيقظ طالبا الغذاء فلتعطيه بعض السوائل مثل الينسون والكراوية.

نسأل الله تعالى أن يهدينا بهدى القرآن الكريم.

المراجع:

١ - التفسير الوسيط للأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى - الطبعة الثانية ١٩٨٥م.

٢ - (الطب النبوى) للإمام شمس الدين أبى عبدالله محمد بن أبى بكر الحنبلى الدمشقى المعروف بابن قيم الجوزية ٦٩١ - ٧٥١م.

٣ - خلق الإنسان بين الطب والقرآن. د. محمد على البار، الدار السعودية للنشر والتوزيع - السعودية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٤ - كتب طب الأطفال (تغذية الثدى) (Breast Feeding).

المراكز الإسلامية لعلوم الفضـــاء فى أوروبا

علمــاؤها ومنجـزاتهـا

د / إبراهيم أحمد العدوى

قال الله تعالى: ﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون﴾ والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم﴾ لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون﴾ يس: ٣٧ - ٤٠.

صاحب امتداد عالم الإسلام إلى بلاد الأندلس بغرب أوروبا ظهور مجموعة حافلة من المراكز الإسلامية لعلوم الفضاء، شاركت قريناتها من مراكز المشرق الإسلامى فى العراق ومصر فى القيام بدراسات تدور حول الأفلاك السماوية، وتأثير النجوم على حياة الإنسان على الأرض، وهى الدراسات التى غدت تشكل القاعدة التى انطلقت منها أوروبا المعاصرة لارتياد الفضاء، واكتشاف أول معالم هذا الفضاء بهبوط الإنسان على وجه القمر.

وقد كان لتلك المراكز الإسلامية منذ فجر الإسلام بالأندلس فى القرن الثانى الهجرى - الثامن الميلادى.. دور حيوى فى نشر الوعى لدى أهل أوروبا بأهمية التأمل فى السماء، ذلك أن الأصول الأولى لبناة تلك المراكز الإسلامية كانوا من العرب، أبناء الصحراء، الذين اعتمدوا أكثر من غيرهم من أبناء الشعوب الأخرى فى أوروبا، كاليونان والرومان والجرمان، على التأمل فى السماء ومراقبة الأفلاك والنجوم. فالعرب وهم البدو الرحل كانوا يتجولون فى لانهائية الصحراء ولا يرون فى حلهم وترحالهم إلا السماء ونجومها

التى تحول ظلمة الليل إلى نهار وضاح، ولاشك أن هذه الظواهر الفلكية تترك فى نفس ساكن الصحراء العربية أثرا لا يدركه سكان البلاد الأوروبية، إذا أضفنا إلى السماء بسطة الصحراء وسهولها، فلا جبال تتكسر عندها أشعة الإبصار ولا تلال أدركنا أثر كل ذلك على البدوى عندما يشاهد الأفق البعيد تتخلله طبقات الهواء.

وبدأ هذا الوعى الإسلامى الجديد بتأمل السماء فى وقت كان فيه اهتمام أوروبا بالتأمل فى السماء ونجومها وكواكبها ضعيفا، فكانت نظرة الأوروبى إلى السماء مشوبة بالخيال البعيد عن الحقيقة والواقعية ولا صلة لها بالحياة، ومن ذلك أن خيال اليونان صور لهم السماء وكأنها بكواكبها ونجومها وسائر أجرامها هى مصدر الأبطال ووحى الأساطير، كما خلع هذا الخيال على النجوم صورا تغاير حقيقتها فى السماء. هذا على حين كان يسود أوروبا اعتقادات بأثر الافلاك والكواكب فى الكائنات الأرضية، وأن هناك علاقات بين الأجرام السماوية وظواهر سماوية أخرى للأمراض والحروب والمصائب، حتى غدا الأوروبى يتهم كل من يهتم بشئون السماء بسوء النية والشك، ويرميهم بأقبح التهم والسباب.

وأخذت هذه النظرة الأوروبية تتبدد أمام ما حملته المراكز الإسلامية من نظرة واقعية للسماء، جاءت وليدة طبيعة العرب، حملة الإسلام إلى بلاد الأندلس، فقد صورت الطبيعة العربية السماء وكأنها أنموذج لعالم البداوة بكل ما فيها من معالم الحياة التى يعيشها البدوى فى صحرائه، ففى شمال السماء يشاهد راعيا يرعى قطيعا من الغنم وعجلين وعنزا وتيسا وناقة وجملا يرعى بمفرده، وحول هذا القطيع سبع وضبعان وصغارها، وحيث يتلألأ فى السماء نهر المجرة يوجد عش للنعام، وإلى جواره خمس نعامات، وبعيدا قليلا يجتمع ذكر نعام وبعض صغار النعام، كما يشاهد بيض نعام، وقشر بيض مكسور بالقرب من العش.

صارت دراسة الفلك على هدى القرآن الكريم علما مقدما عند المسلمين على غيره من العلوم الأخرى

وقد اتسعت هذه النظرة العربية للسماء بمجىء الإسلام، إذ نادى القرآن الكريم بوجوب النظر إلى السماء وتأمل ما تحمله من آلاء الله سبحانه وتعالى، ونعمه على الإنسان، قال الله تعالى: **﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون* والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم* والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم* لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون﴾** يس: الآيات ٣٧ ـ ٤٠.

وصارت دراسة الفلك بذلك، على هدى القرآن الكريم، علما مقدما عند المسلمين على غيره من العلوم الأخرى، ودراسته ضرورية لأن الله جل جلاله ـ فاطر السموات والأرض ـ حض الإنسان

على التأمل فى السماء والنظر إليها، ومن ثم باسم الله قامت دراسة حركات النجوم، وباسمه تعالى يبدأ أى بحث علمى، وقد عزز أيضا نظرة المسلمين إلى تأمل السماء أن عباداتهم من صلاة وصيام وحج تحتم عليهم مراقبة الشروق والغروب وما بينهما، وكذلك حركات الكواكب والنجوم، وهو الأمر الذى دفع المسلمين إلى الاهتمام بعلم الفلك، وأن يتقدموا فى صناعة الآلات والأجهزة التى يتطلبها علم الفلك والأبحاث فى شتى ميادينه، وكانت النتيجة المشرقة لكل ذلك هو بلوغ نتائج عظيمة فى إدراك كنه الشمس والقمر وسائر الأفلاك. وقد ساهم الحكام المسلمون فى بلاد الأندلس وغيرها من بلدان المشرق الإسلامى فى تقدم علم الفلك، فأجزلوا العطاء للفلكيين وأوقفوا عليهم الأموال الطائلة، بل وكفلوا حياة العالم وأسرته لا إبان حياته فحسب بل وبعد وفاته أيضا، لأن مثل هذه البحوث الفلكية تطلب سعة فى الرزق وسعة فى الزمن.

وانتقل هذا التقييم الهام لعلم الفلك إلى أوروبا عن طريق المراكز الإسلامية لعلوم الفضاء التى قامت فى بلاد الأندلس. إذ سرعان ما أفاق الأوروبيون إلى أهمية تلك المراكز، وأخذوا ينهلون من منابعها الفياضة التى تدفقت فى العديد من المدن الأندلسية، كان من أشهرها تأثيرا فى أوروبا ما يلى:

١ ـ مركز قرطبة

واختص بدراسة أشكال ومواقع الأجرام السماوية، وذلك على يد مجموعة من علمائه الكبار، وعلى رأسهم:

أ ـ العالم «المجريطى» نسبة إلى مسقط رأسه «مجريط» (مدريد) (٩٥٠ ـ ١٠٠٧م. وكان المجريطى إماما فى العلوم الرياضية، حتى أغدق عليه الناس لقب «الحاسب»، وكانت له عناية خاصة بأرصاد الكواكب. قامت على أساس خبرته الواسعة بآلة الفلك الهامة لمعرفة النجوم المعروفة باسم «الاسطرلاب»، فضلا عن اعتماده على الجداول الفلكية لأقرانه من علماء المشرق الإسلامى.

وقد انتقلت دراسات «المجريطى» إلى أوروبا منذ عصر مبكر، حيث قام سنة ١١٢٦ العالم «أدلارف أف باث» بترجمة الجداول الفلكية التى وضعها المجريطى.

وزاد تأثير مركز قرطبة على أوروبا حين أمر الفونسو العاشر (المتوفى سنة ١٢٨٤ ـ الذى اشتهر لهيامه بالفلك عند المسلمين بلقب «الفلكى» بنقل بعض مؤلفات المجريطى من العربية مباشرة إلى الاسبانية، وهو الأمر الذى أشاع الاهتمام بتأمل السماء عند عامة الأوروبيين، وليس عند المتخصصين منهم فقط، وساعد على انتشار علوم المجريطى عن الفضاء قيام مجموعة كبيرة له من التلاميذ حملوا لواء دراساته ونقلوها إلى العديد من معاهد أوروبا التعليمية.

ب ـ العالم نور الدين أبو اسحاق البطروجى (المتوفى سنة ١٢٠٤)، وهو من أهل بطروج إلى الشمال من قرطبة. وقد اشتهر بأبحاثه فى أشكال ومواقع الأجرام السماوية، التى نالت إعجاب الأوروبيين، وصار يعرف عندهم باسمه اللاتينى، وقد سجل دراسته فى مؤلف له يعرف باسم «كتاب الهيئة»، قام بترجمته إلى اللاتينية العالم «ميخائيل سكوت» سنة ١٢١٧.

٢ ـ مركز بلنسية

واشتهر هذا المركز بتجاربه الميدانية فى ارتياد

الفضاء، وما يرتبط بذلك من اكتشاف مدى التغلب على الهواء والتحليق فيه.

وكان أول رواد هذا المركز هو الطبيب والعالم الشهير «عباس بن فرناس»، الذى قام بالعديد من التجارب الميدانية فى ميدان العلوم، وبخاصة علم الفلك، وكان هذا العالم ذا براعة فى الكيمياء، وإليه تعزى طريقة خاصة فى صناعة الزجاج من طحين الأحجار، وقد صنع آلة تعرف بالميقاتية لمعرفة الوقت تعتمد على الظل، وإلى جانب ذلك كان عباس بن فرناس موسيقيا، وصانع ألحان للضرب بالعود.

وكانت أعظم التجارب الميدانية للعالم عباس بن فرناس هو محاولته ارتياد الفضاء، فقد بنى أول طائرة (مركبة فضاء)، كانت عبارة عن كساء من الريش ذى جناحين كبيرين يضع فيهما ذراعيه، وقد قفز بذلك الرداء من أعلى تل قرب مدينة بلنسية يسمى «مونت أنوط» وهو تعريب لاسمه الأسبانى *Movti Agudo* ، وطار بضعة أمتار قام فيها بأعمال انسيابية، غير أن توازنه لم يلبث أن اختل وسقط، ويرجع سبب سقوطه إلى أنه لم يفطن إلى أهمية الذيل فى طيران الطائر، وكان آثار سقوطه أن انكسرت إحدى فقرات ظهره السفلى، فلازم الفراش شهورا متطاولة وسخر منه أهل عصره بشعر كثير.

وقد أقلع عباس بن فرناس عن محاولة الطيران بعد ذلك، ولكن محاولته تعتبر صفحة جميلة فى تاريخ الحضارة الإسلامية فى غرب أوروبا، فهى أول محاولة عملية لإنسان فى الطيران، كما هى أيضا المحاولة الأولى من نوعها فى تاريخ البشر قبيل العصور الحديثة، وما نشاهده اليوم من ارتياد غربى واسع النطاق للفضاء، وقد ظلت محاولة عباس بن فرناس للطيران عالقة بأذهان أهل بلنسية زمنا طويلا، وعاشت بعد أيام المسلمين، فتحولت محاولته إلى أسطورة، بل إن شخصيته لاتزال إلى يومنا هذا رمزا على الفن والابتكار يتردد ذكراها فى ضواحى بلنسية، وكذلك حول اسم التل الذى حاول الطيران منه، ومن ذلك أن أدباء بلنسية أصدروا لهم مجلة تحمل اسم هذا التل، وتعرف إلى اليوم باسم «مونت أجودو».

٣ـ مركز طليطلة

واشتهر هذا المركز بتسجيل المشاهدات المتعلقة بالنقط الضوئية وما يرتبط بذلك من تحديد بعد الشمس عن الأرض، وكذلك وضع الجداول الفلكية.

واشتهر من علماء هذا المركز الفلكى العالم الزرقالى (١٠٢٩ـ ١٠٨٧) الذى تتلمذت عليه أوروبا، وعرفته باسم «أرازاكيل»، فكان أول من برهن على تحرك أوج الشمس بالنسبة إلى الكواكب.

وكان الزرقالى هو واضع الجداول الفلكية التى اشتهر بها مركز طليطلة، لأنها كانت مؤسسة على الأرصاد، وقد ترجم هذه الجداول الفلكية فى القرن الثانى عشر «جيرار الكريمونى»، (المتوفى سنة ١١٨٧).

وظلت الجداول الفلكية للزرقالى هى أساس الدراسات الفلكية فى أوروبا حتى أيام العالم كوبيرنيقوس سنة ١٥٣٠، فقد استفاد هذا العالم الأوروبى من أبحاث الزرقالى، واقتبس منها الكثير من النتائج التى أقام عليها دراسته التى ضمنها كتابه الذى وضعه عن «حركات الأفلاك السماوية».

وقد جذبت المراكز الإسلامية لعلوم الفضاء

حكام الممالك الأسبانية المسيحية الوليدة، وفى مقدمتهم الفونسو العاشر ملك قشتالة، وقد عرفه التاريخ باسم الحكيم، لتقديره لثقافته الإسلامية، كما يطلق عليه لقب «الفلكى» لشغفه وولعه الشديد بعلم الفلك، الذى ينقل الإنسان من الأرض إلى السماء، وأقبل ينقل إلى بلاده منجزات المراكز الإسلامية فى ميدان الفلك، حيث كانت أوروبا حتى ذلك الوقت تجهل هذا العلم جهلا تاما.

وقد تتطلع الملك الفونسو العاشر لأن يكون الأول الذى يشيد مرصدا فى مملكته على نحو ما أقامه المسلمون فى مراكزهم لعلوم الفضاء، بل كان يطمع أن يكون مرصده أكبر، وأن يزوده بآلات وأجهزة أحسن وأكمل لكى يصير أكمل وأحسن مرصد فى العالم. ومن بين الآلات والأجهزة التى كانت فى مرصد الملك الفونس والتى أخذت عن الآلات والأجهزة الإسلامية العدد الكبير من الاسطرلابات، التى كان بها المسلم يستطيع تحديد أوقات النهار، وأوقات الصلاة والقبلة، وإجراء الحسابات الفلكية، فكانت هذه الآلة التى أطلق عليها اليونان اسم ماسك النجوم أحب آلة توقيت عند المسلمين، وعنهم شاع استخدامها أيضا عند الأوروبيين.

وقد استعان الملك الفونسو العاشر بالعلماء المسلمين فى بناء النهضة الأوروبية بعلوم الفضاء، كما بدأ أعماله فى تلك السبيل بخطوة هامة هى ترجمة كتب علماء الفلك المسلمين إلى اللغة القشتالية الدارجة، لنشر الوعى بهذا العلم ليس بين المثقفين فحسب من أهل مملكته، بل وبين عامة الشعب أيضا، وهو الأمر الذى أرسى قاعدة هامة لارتفاع العناية بشئون الفضاء بين جميع أبناء غرب أوروبا.

غير أن منجزات المراكز الإسلامية بالأندلس لم تقتصر على مملكة قشتالة، وإنما امتدت منذ القرن الثالث عشر إلى سائر أرجاء أوروبا، إذ عبرت تلك المنجزات جبال البرانس، ومنها إلى إقليم بروفانس بجنوب فرنسا، وعبرت ممرات جبال الألب إلى اللورين فألمانيا وأوروبا الوسطى، ثم عبر البحر إلى انجلترا. ويتجلى معالم تلك المنجزات فيما تركه علماؤها المسلمون على صفحة السماء من آثار باقية إلى اليوم، تدل على مبلغ اجتهادهم وابتكاراتهم التى قدموها إلى أوروبا فى علوم الفضاء. ويدل على ذلك أن معظم أسماء النجوم فى اللغات الأوروبية يرجع إلى أصل عربى، ومن أمثلة ذلك كلمات: «العقرب»، و«الجدى»، و«الطائر»، و«الذنب»، و«الفرقد»، وذلك فضلا عن الكثير من المصطلحات الفنية مثل «السموت»، و«النظير»، و«السمت»، فهذه المسميات كلها وغيرها مشتقة من الألفاظ العربية، وهى شاهد على التراث الحى لمراكز علوم الفضاء فى أوروبا.

ويشهد هذا التراث الذى تركه العلماء المسلمون على صفحة السماء، ومسمياته العربية فى اللغات الأوروبية أن المراكز الإسلامية لعلوم الفضاء قد فتحت صفحة جديدة فى حياة الإنسانية، إذ أن أهم من تلك المنجزات العلمية التى حصلت عليها أوروبا هو خلق المراكز الإسلامية لجيل علمى أوروبى، شب وترعرع فى مهاد علماء تلك المراكز، وأن يرتوى من دراساتهم وابتكاراتهم ما جعله اليوم أهلا لأن يكون رائد الإنسانية فى ارتياد الفضاء، ورفع القواعد التى أرساها أساتذته من العلماء المسلمين لفتح آفاق من الفضاء أمام الإنسان، أوسع وأرحب وأكثر خيرا له.

العقاد.. والكبار

نظرةٌ من بعيد

«دعنى أبتعد أكثر كى أرى أوضح»!.. هذا مثلٌ يتردد عندما يريد الإنسان أن يتجنب الدقائق والتفاصيل، ويتطلع إلى ماهو أعم وأشمل!.. ينطبق ذلك أيضا عندما نكون فى مقام الكلام عن أحد رموزنا الباقية فى ذاكرة التاريخ، حيث لا نسعى إلى مجرد التوقف عند محطات مسيرة حياته التى تبدأ مع الميلاد وتنتهى بالرحيل!.. بل نهدف إلى ماهو أكبر من ذلك وأرحب، وهو استجلاء جوانب العظمة فى إبداع هذا الرمز الخالد من «كبار كبار» مفكرينا، لعلنا نقدم لكل مهتم إطلالة على الرجل فكرا وعلما.. مكانا ومكانة.. بعيدا عن الخوض فى دروب فرعية كثيرة ومتشعبة، قد تستغرق من الوقت سنوات ومن السطور مجلدات!

وأود - بداية - أن أشير فى هذه المقالة الافتتاحية التى سيتبعها عدد من المقالات اللاحقة حول «العقاد».. أود أن أشير إلى أن الحديث عن «الكبار» حديثٌ «شائق» و«شائك» معا!

كمال عبدالوهاب

الإسلام لا يضيق بالفلسفة لأنها تفكير فى حقائق الأشياء

• **«شائق» لأنه متعة ذهنية تتيح للمرء فرصة أن يسيح مع الأفكار والرؤى والخواطر مرتشفا رحيقا، ومتنسما عطرا وعبيرا، ومتنفسا هواء نقيا وجديدا يبعث على الحياة العقلية، حيث تنشط المدارك وتوقظ الحواس وتتفتح الشهية!**

• **و«شائك» لأنه ينطوى على أخطار أو أخطاء ثلاثة:**

- خطر أو خطأ الانزلاق - دون وعى - إلى شبهة نقد أو تقييم «عمالقة» يعلو مستواهم على أى نقد، ويرتفع فوق كل تقييم!

- وخطر أو خطأ الانسياق - لا شعوريا - فى التزيد - إعجابا أو انبهارا - بعَلم من الأعلام، مما يؤدى إلى تعصب لا يعترف بفكر سواه، ولا يأخذ برأى عداه!

- وخطر أو خطأ ترديد عبارات مبتسرة، مما يوقع الكاتب فى محظور تشويه الصورة، أو تكرار كلام معاد قد يبعث فى نفس القارئ ضجرا وملالة!

من هنا.. أقول: إن الكتابة عن «الكبار» مرغوبة بل ومطلوبة، إلا أنها يجب أن تضبطها معايير وتحكمها محاذير!

■■■

كان الإسلام ومحمد ﷺ فى بدء الدعوة فى حاجة ملحة إلى النصير والظهير أمام فلول كثيرة من المشركين والمنافقين واليهود، ولهذا كان ظهور شاعر قوى جرىء مثل حسان بن ثابت كسبا كبيرا للدين الجديد وللداعى إليه.. وحسبنا ما كان الرسول - عليه الصلاة والسلام - يدعو به لذلك الشاعر الذى دافع عن الإسلام حينما قال: «أيدك الله بروح القدس يا حسان».

لا تثريب على عقيدة يخالفها بعض العقول

وتمر الأمة الإسلامية بعد ذلك بثلاثة عشر قرنا تشهد خلالها أحداثا جساما، فإذا بنا نجد أنفسنا أمام مفكر عربى جهير الصوت يرد أباطيل المفترين، ويدفع دعاوى المبطلين، ويعرض العقيدة الإسلامية فى أصفى مواردها، وكأن مناديا وراء الغيب كان يدعو لهذا المفكر العربى بقوله: «أيدك الله بروح القدس يا عقاد».. والذى نتصوره أن الفرق بين حسان والعقاد هو فرق ما بين الزمان والمكان والظروف والملابسات.. وهو كذلك فرق ما بين الدعوة فى أول أمرها حين تحتاج إلى الشعر والشاعر فى أمة غلب الشعر على كل وسائل القول فيها، وبين الدعوة بعد قرون عديدة حين لا يغنى الشعر عن النثر الدارس، والبحث الفاحص، والتحليل العميق، والجدل الصائب السليم[1].

والعقاد حينما يدافع عن الإسلام لا يستخدم إلا المنطق لتمشيه مع المنهج الفكرى القويم للإسلام، فالمنطق - كما يقول العقاد فى كتابه القيم «التفكير فريضة إسلامية» - هو بحث عن الحقيقة عن طريق النظر المستقيم والتمييز الصحيح.

إن العقاد فى كتابه هذا يركز النظر على مخاطبات القرآن الكريم للعقول بأنواعها: العقل الوازع، والعقل المدرك، والعقل الحكيم.. والعقل الرشيد.. ولا يخفى أن الرشد فى العقل هو تمام مراتب العقل من حيث الأوامر والنواهى أو من حيث الإدراك والحكمة.. ومن هذه النقاط نفذ العقاد بعقله المنطقى الكبير وبصيرته الرشيدة إلى سر الخطاب فى القرآن الكريم للذين يعقلون والذين يفقهون، والذين يتفكرون، والذين يعلمون،

الرشد فى العقل هو تمام مراتب العقل

وأولى الألباب، وأولى الأبصار.

وإذا كان الإسلام لم يعطل العقل والفكر وأطلقهما إلى أوسع الحدود، فإنه من الطبيعى عند العقاد أن الإسلام لايضيق بالفلسفة، وقد لخص هذه النتيجة الخطيرة فى قوله: «وموقف الإسلام اليوم - كموقفه بالأمس - أنه لا يضيق بالفلسفة، لأنها تفكير فى حقائق الأشياء، ولأن التفكير فى السموات والأرض من فرائضه المتواترة، ولكن المذاهب الفلسفية قد يظهر فيها ما يضيق بالإسلام ويخالفه حينا بعد حين. ولا تثريب على عقيدة يخالفها بعض العقول، لأن العقائد لا تطالب بموافقة كل عقل على سواء أو على انحراف. وحسبها من سماحة أنها لا تصد عقلا عن سواء»(٢).

■■■

فإذا قلنا إن العقاد كان ولايزال من المؤرخين المشهود لهم، فإن قولنا هذا لا يتعارض حينما نقول - أيضا - عنه أنه مدافع عن الإسلام أو محامى الإسلام. ويجب أن يوضع فى الحسبان أن الدفاع عن قضية ما ليس معناه وهنها أو ضعفها فى ذاتها. فقد تكون القضية قوية ولكنها تتعرض لعوامل من لجج الخصوم ومكابرة الأعداء وعنت الجاحدين. ولا مفر والحال هكذا من الدفاع والمحاماة.

ويتضح دفاع العقاد أو محاماته القيمة عن العقيدة الإسلامية بجلاء فى كتابه «ما يقال عن الإسلام»، فالمتصفح لصفحاته يجده يعلن لقرائه: «ومن يكتبون عن الإسلام من الغربيين أناس يخدمون السياسة الغالبة على دولهم ويصطنعون لغة الدعاية تارة ولغة الدهان أو «الدبلوماسية» تارة أخرى».

ومن حقنا - بل من واجبنا - أن نعرف ما يقال عنا، وأن نعرف كل قول من تلك الأقوال بقيمته وقيمة من يصدر عنه، لأننا قد نعرف أنفسنا من شتى نواحيها كلما عرفناها كما ينظر إليها الغرباء عنا، وعرفنا مبلغ الصدق والفهم فيما يصفوننا به عن هوى وجهالة، وعن دراية وحسن نية».

ولقد أخذ العقاد المحامى البارع على نفسه أن يُفهم الناس ويوضح لهم ما يعوزهم لتفنيد ما يقال عن الدين الإسلامى، فيخاطب أبناء الإسلام قائلا: «ويعوزنا نحن الشرقيين المفترى عليهم أن نحسن الوزن بهذا الميزان لنفهم ما يقال كما ينبغى أن يفهم، ولكنها نتيجة سلبية قصاراها أن تنفى ما يقال، فألزم لنا من هذه النتيجة السلبية أن نقول نحن ما يثبت وما يدفع ما يقال»(٣).

ثم يقسم المعسكرات الغريبة عن الإسلام، والتى يتناول تابعوها من الكتّاب والمفكرين الإسلام فى كتاباتهم وفيما يعرضون من آراء، فيقول:

«فالمخلصون منهم هم طلاب العلم وطلاب العقيدة، وغير المخلصين هم المتعصبون للوطنية الغربية، والمتعصبون للدعوة المادية، والمتعصبون للدين عن إيمان أو عن غش واحتراف، وطلاب الغرائب ودعاة الصهيونية والاستعمار»(٤).

■■■

والعقاد بدفاعه القوى عن الإسلام كان يسعى إلى البحث عن حقيقة الإسلام إبطالا لحجج

خصومه الذين لم يتورعوا عن تلفيق الأكاذيب وإشاعة الأوهام. ولذلك كان كتابه «حقائق الإسلام وأباطيل خصومه» الذى أصدره عام ١٩٥٧م.

لقد عرض العقاد فى ذلك المؤلَّف حقائق الإسلام، وتحدث عن خصوم له لا يكتفون بالخصومة بل يؤكدونها بالأباطيل.

وفى محاولة العقاد إبراز حقائق الإسلام وإبراز مزية العقيدة الإسلامية التى أعانت أصحابها على الغلب وعلى الدفاع والصمود. ومزيتها التى رآها العقاد هى الشمول، وهى التى يستعان بها على النظر فى مصير الإسلام، ويراد بهما حالة القوى الغالبة وحالة الضعيف الذى لم يسلبه الضعف قوة الصمود للأقوياء إلى أن يحين الحين. ولئن كانت حالة الصمود حسنى الحالتين فى مواقف الضعف مع شمول العقيدة وبقائها صالحة للنفس الإنسانية فى جملتها وللعالم الإنسانى كله، ليكونن المصير فى الغد المأمول أكرم ما يكون مع هذه القوة وهذا الشمول.

إن المسلم لا يستطيع بحال من الأحوال أن يستعرض الكتب الإسلامية، دون أن يطيل الوقوف أمام تلك التراجم التى دبجها يراع العقاد عن عظماء الإسلام ورجالاته البارزين الذين كان لهم - بلاشك - دور فعال فى انتشار الدعوة المحمدية فى داخل الجزيرة العربية وخارجها. ونعنى بها العبقريات الإسلامية.. تلك العبقريات التى ناقش العقاد - بمنطقه المفحم - فى صفحاتها الأولى الدعوة المادية التى تقوم على أن الأبطال صنائع المجتمع وليسوا بأصحاب الفضل عليه، وأن تعظيم الأبطال الغابرين يصرف الناس عن عيوب النظم الاجتماعية التى أنشأت أولئك الأبطال فخدموها بقصد وتدبير أو على غير قصد منهم وتدبير.

وقد لمس العقاد بفكره الحاد نوايا أصحاب تلك المبادئ الهدامة، تلك النوايا الخبيثة التى تضمر الكراهية إلى المثل العليا من العظماء، فتعمل على الغض من قدرهم، ولاسيما عظماء الدولة الإسلامية.

ويرى العقاد أن الإنسانية لا تعرف حقا من الحقوق إن لم تعرف حق عظمائها، وأن الإنسانية كلها ليست بشىء إن كانت العظمة الإنسانية فى قديمها أو حديثها ليست بشىء.

وللعقاد فى تجلية أعلام الإسلام البارزين فى الدولة الإسلامية منهجه الخاص الذى لا يشاركه فيه أحد حتى يومنا هذا، فهو ليس من الذين يعنون بسرد الحوادث أو استقصاء البيان عن فترة من السنين، وإنما يعنيه من الحادثة أو الفترة التى يعرض لها أنها وسيلة إلى مقصد واحد: هو التعريف بالنفس الإنسانية فى حالة من أحوال العظمة والعبقرية، أو حالة من أحوال النبل والأريحية. فإن جاوز هذه الغاية إلى غيرها، فإنما يجاوزها لجلاء فكرة تحيط بأطوار التاريخ الإنسانى، وتخرجه من غمار التيه والظلمة، وتسلك به مسلكا غير مسلك التخبط والضلال.

ونحن نرى العقاد فى أحد تلك المؤلفات عن عظماء الإسلام وعباقرته - كما لقّبهم - فى تلك المؤلفات القيمة - يسأل نفسه هذا السؤال: هل تستحق الحياة أن نحياها؟..

فيجيب نفسه قائلا: «إن كانت حياة الإنسان أهل للثقة بها والإيمان بقدرها، فالجواب نعم. وإن لم تكن كذلك، فلا جواب للسؤال غير اليأس والضياع والانحلال».

ونراه فى موضع آخر من تلك المؤلفات القيمة ينحى على أعداء النوع الإنسانى من دعاة المذاهب الهدامة الذين ليس لهم هدف فى الحياة سوى الحرص على تلويث كل صفحة نقية من صفحات التاريخ الإسلامى الخالدة. وهم فى سبيل الوصول إلى مراميهم يعكفون على محاولة هدم كل ما بناه

الإنسان فى تاريخه الطويل من قيم الأخلاق ونوازع الخير. ومثل هذه الأساليب فى تلطيخ تراث الإنسانية الإسلامى، يعرف العقاد جيدا أنها لا تصدر إلا من طبع سقيم وخليقة عوجاء.

لذلك كله ترك لنا العقاد تلك الدراسات عن عظماء الإسلام كزاد للمكتبة الإسلامية لا ينفد، وكمعين لا ينضب، وحسبنا ما كتبه عن الرسول - عليه الصلاة والسلام - وعن صحابته العظماء: (عمر، أبو بكر، خالد، الحسين، على، فاطمة الزهراء، عمرو بن العاص، معاوية،.. وغيرهم).

والعقاد يعلم أن سخط الساخطين وغيظ المحنقين على ما يكتب من مؤلفات عن عظماء الإسلام، ما كان يزيده إلا إضافة بحث وكتابة سفر يقف بجوار إخوة له سبقوه إلى عالم النشر والقراء.

■■■

ولم يفت العقاد المؤرخ الإسلامى والمفكر العربى العملاق أن يسطر ببراعته ويرسم بريشته الخلاقة صورة لذلك العبد الحبشى الذى كان أول الذين تشرفت أفواههم باسم الله، ونعنى به «بلال بن رباح» أو «داعى السماء».. الذى لاقى من صنوف العذاب مالاقى، فلم تلن عزيمته، ولم يرجع أو يتزحزح عن اتباع دعوة الحق التى نادى بها محمد - عليه الصلاة والسلام -.

داعى السماء أو مؤذن الرسول.. أحد الذين آمنوا بدعوة الإسلام، وهى محاطة بأشد الأخطار المحدقة بها فى البداية، وظل على إيمانه بها وتحديه للفكرة من سادات قريش حتى لاقى ربه راضيا مرضيا.

وهو أول مسلم صعد إلى المئذنة ليعلن على الملأ: **«الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر.. أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله.. أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله.. حىَّ على الصلاة حىَّ على الصلاة.. حىَّ على الفلاح حىَّ على الفلاح...».**

ومنذ ذلك اليوم أدركت قريش بأن دعوتهم خاسرة لا محالة، وأن دعوة محمد منتصرة بتأييد الله، فأوجسوا خيفة، وأنزلت تلك الكلمات الطاهرة بقلوب رؤساء القبائل الرعب.

وقد استطاع العقاد - كعادته - فى جميع كتاباته أن يصحب بلالا فى كتابه عنه فى مراحل حياته المختلفة، ولم يفته أيضا أن يناقش فى الصفحات الأولى من ذلك السفر القيم فكرة العنصرية التى شغلت المفكرين، وكيف أن الإسلام لم يفرق بين عبد وحر، وأن المولى عز وجل حينما يقول للناس: **﴿ياأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم﴾** الحجرات: آية ١١، فإنه سبحانه يعنى ما يقول، وأن الرسول الكريم حينما يقول للناس: «لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى»، فإن المصطفى يعنى ما ينادى به أيضا. وكيف لا وهو الرسول الأمين الذى لا ينطق عن الهوى!(٥)

■■■

إن السير تكشف للقراء جانب الخير فى أغوار النفس الإنسانية، وتجلّى جوانب العظمة فيها، فهى ليست قصيدة مدح كما يقال، بل هى دراسة متعمقة صادقة تمتحن بالنار والنور بين ظلمات الشرور.. وهذا ما رمى إليه العقاد عملاق السير الذى غدا ذاته سيرة تُروى، ومواقف تُقص، وذكريات عزيزة تُسترجع. وصدق قول شاعره المفضل المحبوب لديه «ابن الرومى» حيث قال:

إنا إلى الله راجعونا

غال الردى سيرة من السير

الهوامش:

١ - العقاد مؤرخ الإسلام للأستاذ محمد عبدالغنى حسن، مجلة الهلال، إبريل ١٩٦٧م.

٢ - التفكير فريضة إسلامية للعقاد، الطبعة الأولى، ص٨٤.

٣ - ما يقال عن الإسلام للعقاد، الطبعة الثانية، بيروت، ص١٥.

٤ - المرجع السابق.

٥ - لمحات من حياة العقاد، دار الشعب، ١٩٧٠م.

الاحتفال بالاحتلال أم بالاستقلال (١) ؟!

فى «الوطنية» - كما فى «الدين» - هناك أمور «معلومة بالضرورة»، لا تختلف فيها ولا عليها بصائر ذوى التمييز من العقلاء.. ذلك لأن الوطنية الصحيحة، مثلها كمثل التدين الصحيح فطرة فطر الله الناس عليها.. وعن الفطرة الدينية حدثنا القرآن الكريم عندما قال: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ الروم: آية ٣٠.

وعن فطرة الوطنية علمنا رسول الله ﷺ حبه لوطنه مكة - حتى وهى على الشرك، الذى حاصر دعوته، واضطهد المؤمنين بها، بل واستفز هؤلاء المؤمنين ليخرجهم من وطنهم، فقال ﷺ يناجى هذا الوطن - مكة - فى لحظة الفراق يوم الهجرة: «والله إنى أعلم أنك أحب البلاد إلى الله، وأحب البلاد إلى نفسى، ولولا أن قومك أخرجونى منك ما خرجت»!

أ.د. محمد عمارة

ومع مطلع عصرنا الحديث ظهرت طلائع الأناشيد الوطنية التى نظمها علماء الإسلام، فتحدثت عن فطرة الوطنية.. ومنها ما نظمه الشيخ رفاعة الطهطاوى (١٢١٦ - ١٢٩٠هـ - ١٨٠١ - ١٨٧٣م عندما قال:

من أصل الفطرة للفَطِن
بعد المولى حبُّ الوطن
هبةٌ مَنَّ الوهابُ بها
فالحمدُ لوَهَّاب المِنَنِ(١)

ومن فطرة الوطنية - التى اتفق عليها العقلاء، من كل الشعوب وجميع الحضارات ومختلف الديانات، على مر الأزمان، الفرح بالانتصارات الوطنية - والاحتفال بها، وإحياء ذكرياتها - والحزن بالهزائم والانتكاسات، والاعتبار بها.. والمسلمون لايزالون يحتفلون حتى اليوم بانتصارات الدولة الإسلامية الأولى يوم بدر (٢هـ - ٦٢٤م) وبفتح مكة (٨ هـ - ٦٣٠م) وبانتصارات القادسية (١٥هـ - ٦٣٦م واليرموك (١٥هـ - ٦٣٦م) والإسكندرية (٢٠ هـ - ٦٤١م) وحطين (٥٨٣هـ - ١١٨٧م) وعين جالوت (٦٥٨هـ - ١٢٦٠م)، والقسطنطينية (٨٥٧هـ - ١٤٥٣م) والعاشر من رمضان ١٣٩٣هـ السادس من أكتوبر ١٩٧٣م.

فالاحتفالات الوطنية إنما تكون بالانتصارات لا بالهزائم والانتكاسات.

وهذه الفطرة الوطنية السوية ليست خصيصة إسلامية ولا شرقية.. وإنما هى فطرة إنسانية، فالفرنسيون لايزالون يحتفلون بتراجع مسلمى الأندلس فى موقعة بواتييه» - بلاط الشهداء - (١١٤هـ - ٧٣٢م).. والنمساويون لايزالون يحتفلون بتراجع الجيش العثمانى عن أسوار «فينا» (١٠٩٤هـ - ١٦٨٣م).. بل

لقد أقام الغرب الدورة الأولمبية - فى «برشلونة» سنة ١٩٩٢م احتفالا بانتصار الأسبان على المسلمين فى الأندلس وإسقاط «غرناطة» (٨٩٧هـ - ١٤٩٢م) قبل خمسمائة عام!!

وكذلك الحال عند الصهاينة، الذين بلغوا فى الشذوذ عن الفطرة السوية حتى **﴿قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم﴾** البقرة: آية ٩٣، نراهم يبكون على هدم المعبد - ولا يحتفلون به - وإنما يحتفلون بانتصارهم على العرب، وإقامة دولتهم سنة ١٩٤٨م.

والهنود، الذين تتلمذوا - بقيادة قديسهم غاندى (١٨٩٦ - ١٩٤٨م) - على الثورة المصرية التى قادها سعد زغلول (١٢٧٣ - ١٣٤٦هـ - ١٨٥٧ - ١٩٢٧م) فى سنة ١٩١٩م).. لم يشذوا - رغم تقديسهم للبقر - عن هذه الفطرة الوطنية السوية، فاحتفلوا سنة ١٩٩٧م بالعيد الخمسين للاستقلال عن بريطانيا.. ولم يحتفلوا بذكرى الاحتلال الإنجليزى لبلادهم، رغم أنهم قد أخذوا عن هذا الاستعمار: اللغة.. والقومية.. والعلمانية.. والكثير من الآداب والفنون والعلوم.. بل لقد بلغوا - إبان احتفالاتهم بذكرى الاستقلال - إلى الحد الذى اشترطوا فيه على ملكة انجلترا - وهى تحضر احتفالاتهم - أن تعتذر - رسميا - لشعب مدينة «أمرستار» المقدسة لديهم، عن المذبحة التى ارتكبها الجيش الإنجليزى الاستعمارى فى هذه المدينة سنة ١٩١٩م، إذا أرادت الملكة أن تزور «أمرستار»!

قمة الشذوذ:

لذلك.. يصبح الشذوذ عن هذه الفطرة الإنسانية فى الوطنية شيئا غريبا.. بل وشذوذا غير مسبوق فى تاريخ الوطنية بإطلاق.. وانقلابا على السلوك الإنسانى الذى تعارفت عليه وأجمعت القبائل والأمم والشعوب.. فلا أحد يحتفل بذكرى اقتحام اللص لمنزله، أو اغتصاب أرضه، أو انتهاك عرضه، أو سلب سيادته على وطنه.. اللهم إلا هذا النفر من شواذ المثقفين الفرانكفونيين - بمصر - الذين ساروا فى الركاب الفرنسى، وقرروا الاحتفال - على امتداد عامين - بمائتى عام على حملة نابليون بونابرت (١٧٦٩ - ١٨٢١م) على مصر (١٢١٣هـ - ١٧٩٨م) محاولين ستر هذا العوار والشذوذ بادعاء أنهم يحتفلون بالعلاقات الثقافية مع فرنسا، وليس بالغزوة الاستعمارية.. يحتفلون بالمطبعة والمجمع العلمى وليس بالمدفع والبارود!. ولو صدقوا فى هذا الادعاء لكان احتفالهم مبادرة ذاتية منهم، بدلا من أن يأتى استجابة ذليلة لأحفاد الغازى نابليون.. ولو كان لادعائهم ظل من الحقيقة لجعلوا هذا الاحتفال فى ذكرى الجلاء الفرنسى عن مصر سنة ١٨٠١م - كما صنع ويصنع كل البشر - حتى الذين أشربوا فى قلوبهم العجل، والذين يقدسون البقر! - أو لجعلوا الاحتفال فى ذكرى فك العالم الفرنسى «شمبليون» (١٧٩٠ - ١٨٣٢م) الرموز اللغوية فى «حجر رشيد» (١٢٤٢هـ - ١٨٢٧م).. أو مثل هذه المناسبات الثقافية «الفرنسية - المصرية» بدلا من أن يجعلوا شهر يوليو سنة ١٩٩٨م - وهو شهر بداية الاحتلال الفرنسى لمصر سنة ١٧٩٨م - بداية هذه الاحتفالات التى أرادها الفرنسيون - ومعهم شواذ الفرانكفونيين المصريين - لمدة عامين، التى هى مدة الاحتلال!!

بل إن شذوذ هذه الاحتفالات - والقائمين بها - عن «المعلوم من الوطنية بالضرورة» ليتزايد إذا نحن علمنا أن هذا الاستعمار الفرنسى - الذى يحتفلون به - ليس استعمارا عاديا - كسواه من ألوان البلاء الاستعمارى الذى ابتليت به كثير من الشعوب، وإنما هو قمة البلاء الاستعمارى، لأن الاستعمار الفرنسى على وجه الخصوص لم يكتف - عادة - بما اكتفى به كثير من المستعمرين، من: احتلال الأرض، ونهب الثروة، وسلب الحرية، وإذلال الكرامة.. وإنما تجاوز المستعمرون الفرنسيون - عادة - هذه المقاصد الاستعمارية إلى حيث ذهبوا لمحو الهوية الدينية واللغوية للشعوب التى ابتليت باستعمارهم، فتعدى استعمارهم نطاق «الامبريالية» إلى نطاق القتل والإبادة لتميز الشعوب المستعمرة عن فرنسا.. لقد أرادوه قهرا ومحوا «للذات»، وليس فقط اغتصابا «للإمكانات»!

بل لقد يدهش الذين لا يقلبون صفحات التاريخ القديم إذا هم علموا أن الاستعمار الفرنسى قد مثل بالنسبة لمصر ووطن العروبة وعالم الإسلام أقدم موجات الاستعمار الأوروبى، وليس فقط أقسى وأخطر وأسوأ هذه الموجات!

● فحملات الغزوات الصلبية - التى استمرت على بلادنا العربية قرنين من الزمان (٤٨٩ - ٦٩٠هـ - ١٠٩٦ - ١٢٩١م) والتى مثلت - بما أقامت فى بلادنا من استعمار استيطانى، وممالك وإمارات وقلاع وحصون، وتهديد لمقدسات الإسلام فى الحرمين المكى والنبوى، فضلا عن اغتصاب الأقصى وتحويله إلى كنيسة، واحتلال القدس الشريف.. إلخ - هذه الحملات الصليبية بدأت مشروعا استعماريا فرنسيا!

فمن جنوبى فرنسا - بمدينة «كلير مونت» - بدأت هذه الغزوة عندما دعا البابا الذهبى «إربان الثانى» (١٠٨٨ - ١٠٩٩م) أمراء الإقطاع وفرسانهم وخطب فيهم - داعيا إلى أن يتخذوا الإسلام والشرق عدوا، يوجهون إليهما طاقاتهم وغرائزهم العدوانية بدلا من توجيهها فى صراعاتهم الداخلية!! - فقال لهم:

«أنتم فرسان أقوياء، ولكنكم تتناطحون وتتنابذون فيما بينكم ولكن، تعالوا وحاربوا الكفار (أى المسلمين) !! - يامن تنابذتم اتحدوا.. يامن كنتم لصوصا كونوا الآن جنودا.. تقدموا إلى بيت المقدس.. انتزعوا تلك الأرض الطاهرة، واحفظوها لأنفسكم، فهى تدر سمنا وعسلا!. إنكم إذا انتصرتم على عدوكم ورثتم ممالك الشرق(٢).

فمن فرنسا بدأ أول مشروع أوربى لتوحيد حتى اللصوص لمواجهة الإسلام والمسلمين، ووراثة ممالك الشرق، التى «تدر سمنا وعسلا»!

وعندما اقتحمت هذه الغزوة - التى انطلقت من فرنسا - مدينة القدس (٤٩٢هـ - ١٠٩٩م) أبادت من بها من المسلمين، حتى الذين احتموا ببيوت الله، سفكوا دماءهم، حتى لقد سبحت خيول الصليبيين بدماء الأبرياء فى مسجد عمر بن الخطاب - مسجد قبة الصخرة - .. وكتب هؤلاء البرابرة - أجداد نابليون بونابرت - إلى البابا الذهبى - فى فرنسا - يفاخرون بما صنعوا، فقالوا: «إذا أردت أن تعرف ما يجرى لأعدائنا فثق أنه - فى جامع عمر - كانت خيولنا تغوص إلى ركبها فى بحر دماء الشرقيين»(٣)!

وبكلمات شاهد عيان - فى مصدر نصرانى - «فلقد استوعب المسجد من الدم المحتقن فيه كفى بحر متموج»(٤)!

● ومن بين الحملات الصليبية - التى انطلقت من فرنسا - بقيادة أمرائها وملوكها - تميزت حملات وحروب الملك - القديس - لويس التاسع (١٢١٤ - ١٢٧٠م).. وكان لويس التاسع هو مكتشف المنهاج الذى سار عليه نابليون بحملته على مصر!.. المنهاج الذى يرى أن مصر هى بوابة الشرق، وطريق القدس الشريف.. فاحتلال مصر هو الشرط لاستعادة القدس - التى سبق أن حررها من الاستعمار الصليبى صلاح الدين الأيوبى (٥٣٢ - ٥٨٩هـ - ١١٣٧ - ١١٩٣م)، ولقد عبر المؤرخ «ابن واصل» (٦٠٤ - ٦٩٧هـ - ١٢٠٨ - ١٢٩٨م) فى كتابه (مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب) عن هذا المنهاج - الذى سلكه لويس التاسع.. ومن بعده نابليون - فقال عن القديس لويس: «إنه كان متدينا بدين النصرانية، مرتبطا به.. فحدثته نفسه أن يستعيد بيت المقدس إلى الفرنج.. وعلم أن ذلك لا يتم له إلا بملك الديار المصرية»(٥).

وعندما نقرأ الإنذار الذى وجهه القديس لويس التاسع إلى الملك الأيوبى الصالح نجم الدين أيوب (٦٠٣ - ٦٤٧هـ - ١٢٠٦ - ١٢٤٩م) نجد الحقائق الكاشفة عن دور فرنسا فى ذلك الصراع.. فهو يتحدث عن نفسه باعتباره ممثل النصرانية الغربية - «أمين الأمة العيسوية» - .. ويكشف عن دور فرنسا فى الصراع ضد الإسلام، لا فى الشرق فحسب، وإنما فى الأندلس أيضا - فيقول: «.. وإن أهل جزائر الأندلس يحملون إلينا الأموال والهدايا.. ونحن نسوقهم سوق البقر! ونقتل منهم الرجال، ونرمل النساء، ونستأسر البنات والصبيان، ونخلى منهم الديار»(٦)!!.. فحرب فرنسا ضد الإسلام كانت قائمة وشاملة فى المشرق والمغرب على السواء.

● وإذا كانت حملة القديس لويس التاسع قد انكسرت على أرض «المنصورة» ـ بدلتا نيل مصر.. بل ووقع «أمين الأمة العيسوية» أسيرا (٦٤٨هـ ـ ١٢٥٠م).. فإن عهد هذا الملك وسنوات حملته الصليبية قد شهدت ريادة الاستعمارى الفرنسى لبواكير الأحلاف غير المقدسة بين الاستعمار الغربى وبين الوثنية ـ حتى الوثنية ـ إذا كانت المواجهة مع الإسلام والمسلمين.. فعلى درب «يهود خيبر» ـ الذين تحالفوا مع مشركى مكة ـ عبدة الأوثان ـ ضد التوحيد الإسلامى **﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا* أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا﴾** النساء: الآيتان ٥١، ٥٢.. على درب «يهود خيبر» سارت فرنسا، ممثلة فى «البابا إينوسنت الرابع» (١٢٤٣ ـ ١٢٥٤م) وفى القديس لويس التاسع، عندما سعى البابا إلى التحالف مع المغول الوثنيين ضد الإسلام والمسلمين، فأرسل (٦٤٣هـ ـ ١٢٤٥م) إلى بلاط خاقان المغول ـ فى «قراقورم» ـ بعثة رأسها أحد رجالاته ـ «جون ده بيانى كابرينى» ـ لإقناع المغول ـ الذين كانوا يفكرون بغزو أوروبا ـ بالتحالف مع الصليبيين، وتوجيه غزوتهم المدمرة إلى عالم الإسلام!

وتواصلت المفاوضات بين الطرفين سنة ١٢٥٢م ـ أى حتى بعد هزيمة حملة لويس التاسع على مصر ـ حتى تم التحالف اللامبدئى.. فزحف المغول على بغداد فدمروها (٦٥٦هـ ـ ١٢٥٨م) ثم دمروا بلاد المشرق، وهددوا الوجود الإسلامى فى جملته، لولا أن قيض الله لمصر هزيمتهم فى «عين جالوت» (٦٥٨هـ ـ ١٢٦٠م).

بل إن هزيمة لويس التاسع فى مصر لم تنه أحلامه الصليبية الاستعمارية، فذهب على رأس حملة صليبية أخرى لغزو تونس، حيث هزم وقضى نحبه هناك (٦٦٩هـ ـ ١٢٧٠م).

● وبعد نجاح البرتغاليين ـ عقب سقوط غرناطة ـ فى الالتفاف حول العالم الإسلامى ـ أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر.. وعندما بدأت أوروبا تفكر فى ضرب قلب العالم الإسلامى ـ مصر والوطن العربى ـ لم تجد أوروبا ـ يومئذ أفضل من فرنسا لتقود وتبدأ هذا الانجاز الاستعمارى، فالفيلسوف الألمانى «ليبنتز» (١٦٤٦ ـ ١٧١٦م) عندما كتب كتابه الذى وصف فيه واقع مصر الاقتصادى والعسكرى والاجتماعى والدينى، سنة ١٦٧٢م ـ ليغرى أوروبا باستعمار مصر ـ وسمى هذا الكتاب (المخطوط السرى لغزو مصر) ـ لم يجد هذا «الفيلسوف» منفذا لمشروعه الاستعمارى أفضل من ملك فرنسا لويس الرابع عشر (١٦٣٨ ـ ١٧١٥م).. فقدمه إليه ـ رغم ما كان يومئذ بين ألمانيا وفرنسا من تناقضات ومحاربات ـ لأن الجميع ـ فى مواجهة الإسلام والمسلمين ـ هم على قلب رجل واحد ـ كل النصرانية الغربية. وجميع المذاهب النصرانية.. وسائر القوميات الأوروبية.. بل وحتى التحالف مع الوثنية المغولية البربرية.. كل ذلك وارد و«مشروع» فى مواجهة الإسلام.

ولقد كان هذا (المخطوط السرى لغزو مصر) دليل نابليون بونابرت (١٧٦٩ ـ ١٨٢١م) وحملته الفرنسية على مصر.. بل وما كان كتاب (وصف مصر) ـ الذى وضعه علماء هذه الحملة الفرنسية ـ إلا الصورة المتطورة لهذا المخطوط.. فالمقصد والمراد هو وصف الواقع لاحتلاله ونهب ثرواته، ودراسة عقل الأمة وفكريتها وعاداتها وتقاليدها وأعرافها وموارثيها لتدبير كيفية التعامل معها ليتأيد ويتأبد هذا الاحتلال.

الهوامش:

١ ـ رفاعة الطهطاوى (الأعمال الكاملة) جـ٥ ص٢٧٨، دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة بيروت سنة ١٩٨١م.

٢ ـ د. محمد عمارة (معارك العرب ضد الغزاة) ص٣٥ طبعة دمشق سنة ١٩٨٨م.

٣ ـ المرجع السابق ص٣٩.

٤ ـ مكسيموس مونروند ـ (تاريخ الحروب المقدسة فى المشرق المدعوة حرب الصليب) جـ١ ص٢٨٢ طبعة القدس سنة ١٨٦٥م.

٥ ـ (معارك العرب ضد الغزاة) ص٩٦، ٩٧.

٦ ـ المرجع السابق، ص٩٩.

قضية للمناقشة

دعوى نكسة اليهود الفكرية

على مر العصور لم يكن لليهود تاريخ فكرى أو أصالة عقلية أو فلسفية

د/خالد عبدالحليم

دعوى أن اليهود كانوا قد أصيبوا بنكسة فكرية فى ظل الحضارة الإسلامية يلزم عنها حكمان؛ أولهما: أنه كان لليهود قبل الإسلام حركة فكرية مزدهرة. وثانيهما: أن هذه الحركة الفكرية قد أصيبت بنكسة فكرية بعد ظهور الإسلام، وهذان الحكمان يحتاجان إلى تحرير، فهل كان لليهود قبل الإسلام ازدهار فكرى؟ إن الإجابة عن هذا السؤال بدهية ولا تحتاج إلى كثير بحث، أو تكلف عناء، فالذى يطالع كتاب «الفكر اليهودى وتأثره بالفلسفة الإسلامية» يجد أن المؤلفين لهذا الكتاب على سامى النشار، عباس أحمد الشربينى قد قطعا منذ السطور الأولى بهذا الحكم عن اليهود.

ونحن نقدم صورا من تفكيرهم نؤكد أننا لم نجد فيها أى إبداع، أو ابتكار، فقد كانوا دائما ذيولا لكل مجتمع عاشوا فيه، وإمعات لكل جيل انتموا إليه، لم يكن لهم أبدا هذه الروح الخلاق، الذى ينشئ ويبدع، والفكر الأصيل مرآة الشعوب يمثل حقيقته، ولم نجد لهم فكرا أصيلا(١)، بل إن المؤلفين صرحا بأن غايتهما من وضع هذا الكتاب أن يعرضا نماذج للفكر اليهودى قبل الإسلام تبين أنه لم يكن لليهود تاريخ فكرى، أو أصالة عقلية أو حتى فلسفية(٢)، فكان ينتشر بينهم السحر والطلاسم، واستمر هذا حتى مجىء الإسلام(٣)،

وليس أدل على ذلك من أن حركة الترجمة التى تمت فيها ترجمة العلوم اليونانية إلى العربية شارك فيها النصارى العرب، والصابئة بينما لا نجد اسم يهودى واحد قام بالترجمة(٤)، علما بأن من أسباب قيام المسلمين بترجمة فلسفة اليونان، حوارهم الدينى مع غير المسلمين.

ومثل هذه الأحكام عن التاريخ الفكرى لليهود إن صح هذا التعبير(٥) - قبل الإسلام ليست من المكتشفات العلمية الحديثة، أو من آراء العلماء المحدثين، بل هى من الحقائق العلمية المعروفة منذ القدم، فيحدثنا أحد علماء اليهودية الذين

أنار الله قلوبهم بالإسلام عن تاريخ الفكر اليهودى قائلا: «ليس لهم من الآثار ما ليس لغيرهم مثله، بل هم على الحقيقة لا ذكر لهم بين الأمم الذين استخرجوا العلوم الدقيقة، ودونوها لمن يأتى بعدهم، وجميع ما نسب إليهم مع ما استفادوه من علوم غيرهم لا يضاهى بعض الفنون الحكمية التى استخرجها حكماء اليونان، والعلوم التى استنبطها النبط، وأما تصانيف المسلمين فيستحيل لكثرتها أن يقف أحد من الناس على جميع ما صنفوه فى أحد الفنون العلمية لسعته، وكثرته»(٦)، كما لم يأت اليهود بأى مساعدة مهما صغرت فى تاريخ المعارف البشرية(٧)، بل إن تأثيرهم فى تاريخ الحضارة كان صفرا، فهم لم يتجاوزوا حضاريا كما يقول جوستاف لوبون: «مرحلة الأمم شبه المتوحشة التى ليس لها تاريخ»(٩)، كما يضيف أنهم خلال اختلاطهم بالأمم المتقدمة «لم يقتبسوا غير عيوبها، وعاداتها الضارية ودعارتها»(١٠)، فكانوا يحملون نساءهم على البغاء المقدس(١١)، ولم يقتصر عمل اليهوديات بالبغاء فقط على ما قبل الإسلام، بل امتد إلى أوروبا فى العصور الوسطى، ومازال مستمرا فى عصرنا الحديث حتى يمكننا اعتبار الدعارة هى السمة المميزة لتاريخ المرأة اليهودية، كما لم يكن بين الأمم مثل ما كان لبنى إسرائيل من العرافين والمجاذيب(١٢).

ونخلص من كل ما سبق أن اليهود لم يكن لهم فكر أصيل قبل الإسلام، حتى يقال بأنهم قد أصيبوا بنكسة فكرية فى ظل الحضارة الإسلامية، بل العكس هو الصحيح فإن الإسلام بحضارته المزدهرة سواء فى الأندلس، والمغرب العربى، أو حتى المشرق قد أخرج اليهود من غفوتهم، فتحققت لهم نهضة فكرية، وعقائدية غير مسبوقة، وبدأنا نسمع عن أعلام لمعت فى تاريخ اليهود كسعديا الفيومى، ويهودا اللاوى، أو إسماعيل بن النغريلة، وموسى بن ميمون (ت ٦٠٥هـ)، الذى قالوا عنه: «من موسى لموسى لم يظهر كموسى»، ويقصدون أنه منذ موسى النبى إلى موسى بن ميمون لم يظهر فى بنى إسرائيل من هو مثل موسى بن ميمون.

قام المسلمون بترجمة الفلسفة اليونانية إلى العربية بناء على الحوار الدينى مع غير المسلمين

ومع تتبعنا للأثر الحضارى للجدل الإسلامى لأهل الكتاب فإننا نشير إلى أن من أخص خصائص العقلية اليهودية النزوع إلى التجسيم، ولكن بعد ظهور الإسلام ونتيجة للنقد الدينى الذى وجهه المسلمون لمفهوم الألوهية عند اليهود فإن علماءهم قد تراجعوا عن هذه العقائد، وهاك نص للسموأل بن يحيى المغربى (ت٥٧٠هـ) عن الفكر العقائدى لليهود يؤكد كلامنا؛ إذ يقول: «ويطول الكتاب إنْ عددنا ما عندهم من كفريات التجسيم، على أن أحبارهم قد تهذبوا كثيرا عن معتقدات آبائهم بما استفادوه من عندهم بما يدفع عنهم إنكار المسلمين عليهم ما تقتضيه الألفاظ التى فسروها، ونقلوها، وصاروا متى سئلوا عما عندهم من هذه الفضائح استتروا بالجحد والبهتان، خوفا من فظيع ما يلزمهم من الشناعة(١٣)، وإذا أردنا أن نستدل ببعض الأمثلة التى ذكرها السموأل، وهى تدل على التجسيم ما يقول اليهود فى صلواتهم «انتبه لم تنم يارب استيقظ من رقدتك»(١٤)، ويظن اليهودى أنه إذا

قال هذه الكلمات فى صلاته التى تصف الله تعالى بالخمول أنه يؤثر فى ربه، ويوقظه من نومه ويحركه بذلك[١٥]، ولم يستطع موسى بن ميمون فى كتابه «دلالة الحائرين» أن ينكر التجسيم عند اليهود، بل إنه حين تعرض لصلوات اليهود - ويبدو أنه كان على اطلاع على كتاب بذل المجهود للسموأل[١٦] - فإننا نراه يقول: «وليس كل عمل الجهال بالحقيقة الذين أطنبوا، وطولوا، وأسهبوا فى صلوات ألفوها، وخطب حبروها يتقربون بها لله بزعمهم يصفون الله فيها بأوصاف لو وصف بها شخص من الناس لكان ذلك نقصا فى حقه.. واتخذوا الله عزوجل مدرسة ألسنتهم، ووصفوه، وخاطبوه بكل ما يظنونه سائغا، ويطنبون فى ذلك حتى يحركونه للانفعال بزعمهم»[١٧]، كما أن هناك آراء للسموأل نرى لها صدى عند ابن ميمون، فإذا كان الأول يذكر أن التوراة لم تكن متواترة، وأن ضياع علوم اليهود، وآثارهم كان بسبب قدم اليهودية، واستيلاء الأمم عليهم فإننا نرى صدى لهذه الآراء عند ابن ميمون، حيث يقول: «اعلم أن العلوم الكثيرة، التى كانت فى ملتنا فى تحقيق هذه الأمور، تلفت بطول الأزمان، وباستيلاء الملل الجاهلة علينا، ولكن تلك الأمور لم تكن متاحة للناس كلهم»[١٨].

وقدحاول ابن ميمون تأويل كل نصوص التوراة التشبيهية، والصريحة التجسيم مما جعل تأويلاته متكلفة فى كثير من الأحيان، ومثال ذلك النص التوراتى، الذى يذكر أن الله تعالى خلق الأرض فى ستة أيام، واستراح فى اليوم السابع[١٩]، والذى دفع عالما كابن حزم (ت ٤٥٦هـ)، أن يتعجب لأن الراحة لا تكون إلا لمن يلحقه التعب والضعف ومع ذلك فإن موسى بن ميمون ينكر أن يكون معنى «استراح» يدل على التعب، وأن المعنى هو استكمال إرادة الله، ونفاذ مشيئته، وهذا ليس تأويلا، إنما نوع من التزوير، ولَىّ لأعناق النصوص.

ليس لليهود أى إسهام فى تاريخ الحضارة والمعرفة البشرية ولم يتجاوزوا مرحلة الأمم المتوحشة

ألسنا نرى أن اليهود يجعلون السبت عندهم، أواخر أيام الأسبوع يوم راحة؟!

ويبدو أن موسى بن ميمون كا قد رأى فى تفسيره للنصوص التوراتية التجسيمية بمعنى نفاذ إرادة الله، ومشيئته مخرجا عظيما يستطيع استخدامه فى مواقف كثيرة فحين يسخر السموأل من أن التوراة تذكر أن اللوحين مكتوبان بإصبع الله[٢٢]، وهنا تجسيم، وتشبيه صريح فإننا نرى موسى بن ميمون يفسر أن اللوحين مكتوبان بإصبع الله بمعنى آنهما مكتوبان بإرادة الله، ومشيئته، وهذا تأويل لا تشهد له اللغة، وكذلك الحال بالنسبة لابن كمونة اليهودى «ت ٦٨٣هـ» وهو لا ريب كان قد اطلع على كتاب إفحام اليهود للسموأل، وذكره بالإسم فإننا نراه قد فسر إصبع الله بمعنى قدرة الله[٢٤]، وهذا أيضا تأويل باطل لا تعرفه اللغة العربية، لأن اليد هى التى تستعمل بمعنى القدرة، وليس الأصابع.

وخلاصة القول إن كتابا مثل «دلالة الحائرين»

والذى قصد به مؤلفه إزالة الحيرة لدى رجال الدين اليهود أمام تخلف الفكر الدينى اليهودى لم يكن يوضع إلا فى ظل حضارة عقلية نقدية، حتى أن ابن ميمون نفسه - كما رأينا - انتقد هذا الفكر متأثرا بالجو الحضارى الذى كان يحيا فيه، وقد اعترف علماء اليهودية أنفسهم بتأثير الإسلام على مفهوم الألوهية والتوحيد عند اليهود[٢٥]، وأن بعض الطوائف اليهودية، وأشهرها طائفة القرائين كانت قد تأثرت بالمعتزلة من المسلمين، كما أن أغلب أتباع هذه الطائفة دخلت فى الإسلام إلا قلة منهم وصفت بأنها نفر يسير[٢٦]، بل إن تشكل طائفة القرائين على أسس مناهضة لطائفة الحاخاميين كان استجابة للنقد الإسلامى، وتأثرا بالفكر الدينى لدى المسلمين[٢٧].

وحين شعر الكنيسى أن أعدادا غفيرة من اليهود اعتنقت الإسلام[٢٨]، فإنه رأى - كما يذكر صاحب كتاب «الفكر اليهودى وتأثره بالفلسفة الإسلامية» أن يبدأ الحرب العقلية، والجدل العقلى، ويقرر مونك أن الحركات العقلية فى العالم الإسلامى أثرت بقوة على الكنيسى، وقد ولد هذا نزاعا، واصطداما اضطر رجاله من اليهود أن يستخدموا وسائل وأسلحة أخرى غير الأسلحة المستخدمة فى المدارس التلمودية لحل المشاكل التى قابلتهم، مشاكل نظرية، ومشاكل عملية، وكان اليهود.. خلوا من أى تراث فلسفى»[٣٠].

وكان للنقد الإسلامى أثر واضح فى تطور اليهودية عقيدة، وشريعة[٣١]، فبدأ اليهود يتعمقون فى دراسة النقد الإسلامى - وخاصة القرآنى - لليهودية، ويحاولون إصلاح دياناتهم[٣٢]، عن طريق وضع اليهودية فى نسق دينى متكامل، وهو مالم ينجح فيه اليهود طوال تاريخهم الدينى، الذى امتد لعشرات القرون قبل الإسلام، وفى هذا الإطار جاءت محاولات سعديا الفيومى فى القرن الثالث الهجرى، وموسى بن ميمون فى القرن السادس الهجرى بوضع أركان للعقيدة اليهودية على غرار أركان الإيمان فى الإسلام[٣٤]. تأثرا بكتب العقيدة والشريعة الإسلامية، وامتد تأثير الفكر الإسلامى على اليهود فى مجالات أخرى غير الدين، كالأدب، واللغة، والأخلاق، والعلوم التجريبية[٣٥].

وإذا كان الأثر الإسلامى على الفكر اليهودى من النوع الإيجابى ففى المقابل نرى أن اليهود قد أثروا سلبيا على الفكر الإسلامى بما أدخلوه من تجسيم فى الأحاديث النبوية، وإسرائيليات فى التفسير، وكان تخريبهم لعقول المسلمين مبكرا جدا حتى أخطر فتنة واجهت المسلمين والمتمثلة فى «فتنة الإمامة» كانت لليهود اليد الطولى فيها، فهم الذين وضعوا بذورها، وتولوا كبرها، ولا ريب أن كل هذا التخريب قد سبب أزمات فكرية لدى المسلمين مازلنا نعانى من آثارها حتى اليوم.

الهوامش:

١ - الفكر اليهودى وتأثره بالفلسفة الإسلامية: على سامى النشار، عباس أحمد الشربينى، منشأة المعارف بالإسكندرية سنة ١٩٧٢م، الصفحة الأولى من المقدمة.

٢ - انظر الفكر اليهودى وتأثره بالفلسفة الإسلامية ص١.

٣ - المصدر السابق ص١٤.

٤ - المصدر نفسه ص١٥.

٥ - يرى كثيرون أن تعبير التاريخ اليهودى تعبير مجازى؛ لأنه يعنى أن اليهود كان لهم شكل حضارى مستقل، وعرق واحد، وهو مالم يتوافر لليهود؛ حيث انتشروا فى أنحاء متفرقة من العالم، ولهذا يفضل الدكتور عبدالوهاب المسيرى استخدام لفظ الجماعات اليهودية بدلا من التاريخ اليهودى، انظر علاقة تركيا باليهود وإسرائيل، وأثرها على البلاد العربية ١٦٤٨ - ١٩٩٩م: هدى محمود، ودرويش سلامة، ورسالة دكتوراه ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م. جـ١ ص١٨.

٦ ـ بذل المجهود فى إفحام اليهود: السمو أل بن يحيى المغربى تقديم محمد أحمد الشامى، مكتبة الجهاد الكبرى ـ دون تاريخ ـ ص٢٤.

٧ ـ اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى: غوستاف لوبون ترجمة عادل زعيتر، مكتبة عيسى البابى الحلبى وشركاه، سنة ١٩٧٠م، ص١٥.

٨ ـ انظر اليهود فى تاريخ الحضارات ص٢٤.

٩ ـ المصدر السابق ص١٥.

١٠ ـ المصدر نفسه ص٢٠.

١١ ـ المصدر نفسه ص٢٠.

١٢ ـ المصدر نفسه ص٢١.

١٣ ـ بذل المجهود فى إفحام اليهود للسمو أل بن يحيى المغربى ص٤١.

١٤ ـ المصدر السابق ص٤٠.

١٥ ـ المصدر نفسه ص٤٠.

١٦ ـ نظن أن ابن ميمون اطلع على كتاب بذل المجهول للسموأل بن يحيى المغربى لعدة أسباب أهمها: أن كليهما عاش بالمغرب العربى فترة من حياته، وكان السموأل من أسرة مشهورة فى الأوساط اليهودية بالمغرب، ومعروفة بطلب العلم، كما أن كثيرا من النقد الذى وجهه السموأل للتوراة حاول ابن ميمون الإجابة عليه، وإن كان بصورة ضمنية، كما أنهما كانا متعاصرين حيث توفى السموأل سنة ٥٧٠هـ ـ بينما توفى ابن ميمون ٦٠٥هـ، وعاش ابن ميمون فى القرن السادس الهجرى قرابة السبعة عقود، ونلحظ أن فترة وفاة موسى بن ميمون عن السموأل كافية لاطلاع الأول على كتاب الأخير.

١٧ ـ دلالة الحائرين: موسى بن ميمون عارضه أصوله العربية والعبرية د. حسين آتاى، مكتبة الثقافة الدينية ص١٤٣.

١٨ ـ المصدر السابق ص١٧٨.

١٩ ـ ورد فى سفر التكوين صح ٢، عد ١: ٣ «فأكملت السموات والأرض وكل جسدها، وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل، فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل، وبارك الله اليوم السابع وقدسه؛ لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقا».

٢٠ ـ الرد على ابن النغريلة اليهودى: ابن حزم ـ تحقيق الدكتور إحسان عباس، مكتبة العروبة بالقاهرة، ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م ص١٥٤.

٢١ ـ انظر دلالة الحائرين ص١٦٦، ١٦٧.

٢٢ ـ انظر بذل المجهود ص٤١.

٢٣ ـ المصدر نفسه ص١٦٥.

٢٤ ـ تنقيح الأبحاث للملل الثلاث: مسعد بن منصور بن كمونة اليهودى عاش فى القرن السابع الهجرى، دار الأنصار، ط٢، دون تاريخ، ص٣٤.

٢٥ ـ انظر دلالة الحائرين، ص١٨٠.

٢٦ ـ المصدر السابق ص١٨٠.

٢٧ ـ انظر الفكر اليهودى وتأثره بالفلسفة الإسلامية ص١٥.

٢٨ ـ المصدر السابق ص١٥.

٢٩ ـ مونك ١٨٠٥ ـ ١٨٦٧م ألمانى الأصل فرنسى الشهرة والإقامة كان يتقن الألمانية والفرنسية، والعبرية والعربية، والسنسكريتيه، والفارسية، وقد زار مصر، وجمع منها مخطوطات كثيرة كتاريخ الهند للبيرونى، وكان قد أصيب ببصره، وأكثر آثاره دراسات كتأثير اللغة العربية وآدابها فى اللغة العبرية بعد التوراة، والشعر العربى، ومقامات الحريرى.. إلخ. راجع ترجمته فى كتاب «المستشرقون» لنجيب العقيقى.

٣٠ ـ الفكر اليهودى وتأثره بالفلسفة الإسلامية ص١٥.

٣١ ـ المصدر السابق ص١٩١

٣٢ ـ المصدر نفسه ص٢١٦.

٣٣ ـ المصدر نفسه ص٢١٦.

٣٤ ـ المصدر نفسه ص٢١٧.

٣٥ ـ المصدر نفسه ص٢١٦.

من أعلام الحرية فى مصر

عبدالسلام المويلحى (بطل نسيه كاتبو التاريخ)

د. محمد رجب البيومى

نعرف الأديب الكبير رائد فن القصة فى العالم العربى الأستاذ محمد المويلحى، ونعرف ما بأخلاقه من ترفع وشمم ومروءة، وقد قرأت جميع ما عثرت عليه من آثاره البارعة فى الأدب والنقد، فوقفت على نبوغ يسبق عصره وسلوك يعجب كل أبى عيوف، وقد قرأت فيما قرأت رسالة أدبية كتبها إلى عمه السيد عبد السلام المويلحى يقول فيها: «أهديك أعز شىء عندى بعدك، وأنفس حاجة لدى بعد نفسك، وهى نفسى تتصرف فيها كما أردت وتضعها موضع القبول إن شئت، وتحتفل بها احتفالا جزيلا، بعد أن صقلتها الحوادث والتقلبات، وهذبتها يد العلوم واللغات، فصارت جديرة بعنايتك، وأهلا لرعايتك، وإنى على يقين أن مما يزيدها رعاية منك، ويجعل له حظا لديك أنها ليست نفس محمد الذى كان بمصر يلعب به دم الشباب، فيحيد فى سيره عن الصواب، ويجور به عن خط ترسمه يد حكمتك أحيانا» إلى آخر ما ينحو هذا المنحى من رسالة تعترف بالتقصير اعتراف تلميذ غيور أمام أستاذ قدير!

قرأت هذه الرسالة، وأنا أعرف شمم المويلحى وإباءه. وأعلم أنه كان يترفع عن مواقف تجلب له العظمة والجاه لو حنى رأسه للعاصفة دقائق معدودات! فمن هذا الذى يلقى إليه يد السلم عن طوع، ومن هذا الذى يريد أن يكون أستاذا له يهديه إلى الصواب لا فى سن الشيبة بل فى سن الكهولة بعد أن عرك الزمن، وبلا الأحداث! سؤال حيرنى، لأنى لم أكن على خبر بأحوال المرسل إليه (عبدالسلام المويلحى) من قبل، وهو عمه شقيق أبيه، ولو كتب المويلحى رسالته هذه إلى والده إبراهيم المويلحى ما كانت مستغربة منه، فالوالد زعيم شهير من زعماء الأدب والسياسة فى عصره، وقد دون تاريخ الأدب المعاصر آثارا من فضله! ولكن العم المشار إليه لا يكاد يذكره أحد الآن، ولابد أنه كان ذا مقام عال أدبا وخلقا، وقرآن أن نبحث عنه.

إن كثيرا من المغمورين قد طمس التاريخ ذكرهم دون أن يجرى فى تدوينه الأحداث، وذكره الأبطال على قاعدة مأمونة فكم من صغار تردد ذكرهم وعلا صيتهم دون أن تحمل أعمالهم وأقوالهم عناصر البقاء، وكم من كبار عرفوا بالشمم والكرامة والاستقامة غفل عنهم التاريخ لأنهم لم يهتموا بوسائل الشهرة الكاذبة، ورأوا نفوسهم أعلى قدرا، وأسمى منزلة من أن يلجأوا إلى احتيال خادع يجعلهم فى بؤرة الضوء أمام الناس، نعرف هذا مشاهدة فيما خبرنا من الناس اليوم من أولئك وهؤلاء! فلا غرابة أن سار الأمر على اطّراده المتحيّف، فاحتفل التاريخ بأناس دون أناس، احتفل كثيرا بالذيول، وغفل كثيرا عن الرءوس والأعلام.

نشأ عبدالسلام المويلحى مزاملا أخاه إبراهيم نشأة مثقفة مهذبة. حتى أصبحا من رجال العصر فى عهد إسماعيل، وقد تربى عبدالسلام فى الأزهر الشريف تربية دينية ظهر أثرها فى اتجاهه الخلقى، وبيانه الأدبى، إذ قدر له أن يحفظ كتاب الله ويقرأ تفسيره مع علوم اللغة والشريعة على علماء العصر فى هذا المعهد الخالد، ومن شيوخه الأساتذة الأشمونى، والسقا، والعروسى، والبحراوى، وكلهم

علمٌ فى فنه الذى يزاول تدريسه، وكان عجبا من العجب أن يبرع عبدالسلام فى العلم براعة ظهر أثرها فيما كتب بعد من مقالات، ثم لا ينصرف إلى الأدب والفكر كما انصرف أخوه إبراهيم بل يتجه إلى التجارة فى الحرير فيكون شيخ التجار بمصر لعهده، وأن تزدهر تجارة المنسوجات المحلية والمستوردة بفضل همته حتى يكون شيخ التجار جميعا، أو رئيس الغرفة التجارية باصطلاح اليوم، وقد جرى المال فى يده. فلم يحبسه عن سائل أو قاصد، حتى استعان ذوو قرباه بجاهه وثرائه فما ضنَّ عليهم بشىء. وكأنه رأى فى وظائف الدولة حينئذ بابا للخضوع والاستلام فأبى أن يكون مرءوسا لمن يعتقد أنه يملك عليه قوت عياله، ورأى أن يضرب المثل للطلاب الذين نشأ بينهم فى ألا يقتصروا على الفتات من معطيات هزيلة لا تسمن ولا تغنى من جوع، بل عليهم أن يحصلوا العلم لذات العلم على أن يكون العمل مجال رزقهم الطبيعى، وأنا أعرف أن صاحب العمل المتعلم يفوق زميله الذى لم يرزق حظه من التعليم إدارة وانتباها، فإذا قام مستقلا بكسبه فإنه سيفيد ويستفيد، لهذا أقدم عبدالسلام على العمل الحر حتى صار كبير التجار فى القاهرة وكبير التجار فى القاهرة هو كبيرهم فى مصر جميعها من الإسكندرية إلى الصعيد.

تألف مجلس شورى النواب ليكون نموذجا أمام أوروبا، حيث يعبر عن رغبات الشعب كما تعبر برلمانات الغرب، ولكن ما يراد به غير ذلك، فهو فى رأى الخديوى إسماعيل واجهة مشرفة فى الخارج، وفى الداخل مسرح يملك ستارته فى يده رفعا ونزولا، وكان من الذين انتهت إليهم عضوية المجلس طائفة من كبار التجار رعى فى اختيارهم أنهم لا يملكون القدرة على النقاش فى أمور السياسة والاقتصاد، وسيفرحون بعضويتهم التى سيؤثرونها مغتبطين، ولذلك سيكونون أداة تنفيذ لا تشريع، ولكن ما حسبوه لم يتحقق، إذ كان فى طليعة هؤلاء عبدالسلام المويلحى الذى درس بالأزهر وخبر الجو السياسى قارئا فى الصحف، ومدركا معانى الحرية والاستقلال، وقد قرأ عن البرلمانات الأوروبية ففهم رسالتها الحقيقية فهما حاول تطبيقه فى مجلس مصر، وجذب إليه نفرا ممن اقتنعوا برأيه، فأصبحوا قوة عاملة، ظهر تأثيرها القوى حين تحدت الوزارة وعملت على إسقاطها، وقد بدأ عبدالسلام نشاطه القانونى حين وجد وزارة «نوبار» تضم أعضاء من الأجانب هم أصحاب الأمر الفعلى فى الوزارة، ومن هؤلاء ألفت الوزارة ما يسمى بلجنة التحقيق وأعضاؤها ثلاثة منهم مصرى واحد هو رياض باشا وفرنسى هو دى بلينير، وناظر الأشغال وانجليزى هو بفرس ديلين ناظر المالية، وقد خولت اللجنة لنفسها سلطة غير معقولة، إذ كان من مهمتها وضع مشروعات القوانين المالية للبلاد، إذ أصدر الخديوى مرسوما، ومعنى ذلك أن تبقى اللجنة صاحبة الأمر الفعلى فى تشريع البلاد إلى مدى متسع لم تحدد له مدة معقولة، وهذا افتياتٌ صارخ على أعضاء الحكومة من المصريين، وقد بدأت اللجنة فأقصت كثيرا من الموظفين المواطنين، وعيَّنت مكانهم جيشا من الأجانب فى الوظائف الهامة بدعوى أنهم أخبر وأعرف، وحددت لهم من المرتبات الجزافية ما تنوء به ميزانية دولة مدينة إلى حد جعل الأجانب يتحكمون فى شئونها استخلاصا لأموالهم التى افترضها إسماعيل، ولم يكن ذلك كله بعيدا عن أذهان الواعين من أعضاء المجلس. فتقدم محمود بك العطار وعبدالسلام المويلحى باعتراض جرىء على إغفال مجلس النواب فى المرسوم الصادر بتأليف اللجنة، مع أن اختصاصاتها جميعها لا تكون إلا بعد موافقة نواب الأمة عليها، والمسألة تتعلق بالوطن، ونواب البلاد هم لسان الوطنيين لا سواهم، وفوجىء نوبار بقوة الاعتراض، ولم يكن فى ذهنه أن النواب الأحرار يفهمون رسالتهم البرلمانية على وجهها الصحيح، فأدلى ببيان لولبى يقول فيه إن المسألة مسألة أساسية من صميم رسالة الحكومة، ولا يمكن الإجابة عنها الآن دون تفكير

ومشاورة بمجلس النظار، وهذه إرادة ولى النعم، وهنا واجه عبدالسلام المويلحى مجتمعا بقوله(١) من حيث أن المسألة أساسية فهى إذن من أهم حقوق مجلس النواب، ونحن نرجو من الحضرة الخديوية ومجلس النظار أن يكون للمجلس دوره الأساسى الذى أنشئ من أجله فقال نوبار إنه مشتغل بترتيب النظام القضائى وليس لديه فراغ لبحث هذه المسألة، فهاجمه المويلحى مفندا تهربه، وظهرت جريدة الوطن وجريدة التجارة تحملان مناقشات المجلس مع رئيس النظار، وتشددان الحملة على من صاروا لعبة فى يدى الوزير الإنجليزى والوزير الفرنسى، وأولهم رئيس النظار «نوبار»، ومما ساعد على تأريث التذمر العام أن الخديوى إسماعيل بعد أن أصدر مرسوما بتأليف لجنة التحقيق تأمل فوجد نفسه مقصيا عن إدارة شئون الحكومة. وقد اعتاد أن يحكم البلاد حكما مطلقا، فرأى أنه مع المواطنين فى خندق واحد أمام سيطرة الأجانب، وضاعف من الأزمة أن الحكومة أحالت ألفين وخمسمائة ضابط إلى الإيداع، فقامت ثورة علنية هاجمت نوبار وريفرس وفيفان، واعتقلتهم فى مكان ضيق ينذر بالويل، واتصل الخبر بالخديوى فجاء ليتشفى فى وزرائه ورئيسهم وليسترضى الثائرين من الضباط، ولم يكن بدٌّ من سقوط الوزارة مدحورة مهينة، وكانت لكلمات عبدالسلام المويلحى فى البرلمان ولمقالاته فى الجرائد صدى بعيد بين القراء.

ثم خلع إسماعيل، وجاء بعده ولده توفيق، وكان صديقا لجمال الدين الأفغانى وعبدالسلام المويلحى إذ أظهر كثيرا من التعاطف مع المطالبين بالحرية والاستقلال، وانتقد والده فى أمور يراها سببا من أسباب المحنة السياسية المستعصية، فكانت ولايته للعرش مصدر فرح مبدئى فى الشارع المصرى، ولكن مستشاريه استطاعوا أن يميلوا به من أقصى اليمين إلى أقصى الشمال منذ تولى شئون الحكم، فأفهموه أن جمال الدين الأفغانى وتلاميذه من أمثال المويلحى ومحمد عبده واللقانى وأديب إسحاق، هم مصدر الخطر بما يكتبون ويذيعون، ففوجئ جمال الدين بأمر عال يطالبه بمغادرة البلاد، وفوجئ أعوانه بالتضييق عليهم، فحاول عبدالسلام المويلحى أن يقنع توفيق بسلامة اتجاهه وبأنه كان موافقا على الحركة الوطنية قبل أن يلى الأمر، وأنه ما كتب مقالاته السياسية فى الجرائد الوطنية إلا بتعضيده، إذ لم يحاول الاعتراض عليها، وكأنه فاجأ توفيق بما قد نسيه، فرجع إلى الجرائد المشار إليها ليرى مقالات المويلحى مجلجلة تطالب والده إسماعيل بتحقيق المطالب الدستورية، وتعد السكوت عنها مصدر فوضى وفساد، كما رجع إلى ما كتبه فى عهده القريب بجريدة التجارة: مطالبا إياه أن يضع قوانين الحكم الدستورى موضع التنفيذ حيث يقال(٢): «مولاى قد ورد فى أمركم السامى إلى دولتلو رئيس مجلس النظار ما يشعر برغبة جلالتكم فى أن يكون الوزراء مسئولين، ولنعمت الرغبة، ولكن ماهى هذه المسئولية؟ ومن هو السائل؟ وماهى القوانين المبينة لوظائف الوزراء المظهرة لعلاقاتهم، المعنية لتكاليفهم، المحددة لواجباتهم المعرفة حقوقهم، وعند أى حد تقف سطوتهم، وفى أى الأحوال يكونون مذنبين، فإنه حيث لا توجد تلك القوانين، فلا وجود للواجبات ولا للحقوق، وبالإضافة فلا وجود للمسئولية، فلابد والحال هذه أن يكون مجلس الشيوخ والنواب هو السائل وأن تضع حكومتنا قانونا لهذه المسائل، فليتفضل مولاى بالأول، وليتكرم بالثانى، حقق الله فيه آمال أمته».

هذا ما واجه به المويلحى توفيق فى أول حكمه، وكأنه أراد أن يكون الطرق متواصلا ليحدث أثره الرنان فى سمع توفيق فكتب بعد أربعة أيام مقالا بجريدة التجارة يقول فيه:(٣)

«مولاى، إن مسئولية الوزراء تستلزم بحكم الضرورة مسئولية من دونهم، لأن الأمر الصادر من الوزير لا يصل مكانه المعين حتى يمر بألف يد، فإن كانت واحدة من هذه الأيدى شلاّء، أو سيئة القصد، أمكن لها تعطيل حركة الآلة الإدارية بجملتها، وبناء

عليه فمسئولية الوزير تستلزم مسئولية رئيس القلم، وهكذا من أول متوظف إلى آخر مأمور، فليتفضل مولاى بقانون يحدد حقوق المتوظفين جميعا، ويعين واجباتهم وتكاليفهم لتعرف ماهية المسئولية، ويحصل الانتظام فى الهيئة الإدارية».

هذه الأقوال الجريئة أحدثت أثرا سيئا فى نفس توفيق، لأنه لم ينس أن كاتبها هو الذى أعلن الاحتجاج الصارخ على رياض باشا ناظر الداخلية حين أراد فض مجلس النواب لينجو من مراقبته، ولأهمية هذا الموقف الخطير، وأثره السياسى البعيد المدى، فى تاريخ البلاد، سأخصه ببحث منفرد عقب هذا الفصل إذ لا يكفى الإشارة العابرة إليه دون أن أجلوه بذكر مقدماته التى أدت إليه، وإذا كان الوطنيون جميعا لم ينسوا لعبدالسلام المويلحى ورفاقه الأبطال دورهم الحاسم فى ردع الاعتداء على حقوق نواب البلاد، فإن توفيق باشا كان أول الذاكرين له إذ يخشى أن يتكرر فى مواجهته شخصيا، لا فى مواجهة وزير داخليته كما كان الأمر مع رياض، فحين تابع المويلحى مقالاته النارية فى جريدة التجارة علم أنه منه أمام ليث غضوب.

ثم جاءت وزارة شريف باشا وهو وطنى لا ينكر دوره الشريف فى خدمة مصر، وقد أصر على إعداد دستور جديد لمجلس شورى النواب، فانتخبت لجنة لوضع الدستور، وكان عبدالسلام المويلحى عماد اللجنة ورأسها المدبر، وهو متفاهم لكل آراء رئيس الوزراء وعامل على تحقيقها، ولكن رجال الجيش قد عارضوا بعض هذه الآراء، فأحرج شريف، وقدم استقالته، وتبعه المويلحى فاستقال من رياسة اللجنة، ولكنه بقى عضوا فى المجلس، ولم يشأ أن يسهم فى الأمور السياسية حينئذ بل اتجه إلى ناحية هامة هى الدعوة إلى إنشاء بنك قومى وإلى تعميم التعليم الابتدائى، وكتب مقالات عدة تدعو إلى هذين المشروعين، ومما قاله فى هذا الصدد(٤).

«قد مرَّ بالناس ألوف السنين، وأهل الفضل والأدب، وذوو الرياسة والسياسة يخطبون، ويكتبون فى وجوب التعليم، ولزوم نشر المعارف من أفراد الأمم على اختلاف مراتبهم، فالتصدى لبيان هذا الأمر لابد له من نقل ما تقرر، إذ صار من المعلومات البديهية عند الخاصة والعامة أن العلم من الضروريات للإنسان، كما أن الغذاء والماء من ضروريات وجوده الحسى، فإن لم يحصل من العلم شىء مات الوجود العاقل منه، وبقى الحيوان الذى هو كالآلة الصماء بيد الأهواء».

وهذا كلام نعده الآن مفروغا من تقريره، بل نعجب لترداده، ولكن الزمن الذى قيل فيه كان يستدعى الإلحاح على تقريره إذ كانت نسبة الأمية فى مصر حينئذ فوق الخامسة والتسعين فى المائة، وقد شكلت لجنة بالمجلس رأسها وزير المعارف عبدالله فكرى للعمل على النهضة التعليمية، ووضعت برنامجا خاصا بالمدارس والمدرسين والمواد التى يجب تدريسها، وكان المعول على طلاب الأزهر فى القيام بالتدريس عن طريق امتحان تعقده نظارة المعارف، أما المدارس فقد شرع فى بنائها على نحو متواضع بحيث كانت المدرسة لاتزيد عن حجرتين، ولم تكن تسمى بالمدرسة بل بالكُتاب، إلا عدة مدارس محدودة بالقاهرة والإسكندرية! ولم يجد المشروع الخاص بإنشاء البنك القومى من يعمل على تنفيذه، لانصراف الهمم السياسية إلى محاربة الاحتلال الذى بدت نذره؟ إذ تلبدت السماء بالغيوم وانتهت بحدوث الثورة العرابية وإخفاقها، وكأن عبدالسلام المويلحى كان يدرك ما سينتهى إليه الأمر من ضياع الاستقلال، فسافر إلى الشام لأعماله التجارية حين عز عليه أن يجد من يستمع لرأيه ثم عاد ليجد اسمه عضوا جديدا فيما يسمى بمجلس شورى القوانين، فبادر برفض هذه العضوية فى ظل الاحتلال، وكتب يقول:(٥)

«إنى أرى أولى بى أن أصدر جريدة يمكننى أن أخدم بها بلدى أكثر من عضويتى فى مجلس اختصاصاته مبتورة، وقانونه يحرم إعادة الرأى فى

موضوع يعرض، فى حين أنى إذا أصدرت جريدة فإن أى موضوع يعرض لى أكتب فيه مرة، وثانية وثالثة، فالجريدة أفضل من المجلس بقيوده، أما الذى يصح انتخابه حقيقة لهذا المجلس فهو دولة شريف باشا أو دولة رياض باشا، فهما أقدر منى مع وجود الاحتلال على السعى فى توسيع اختصاصات المجلس بما لهما من النفوذ عند المحتلين ودوائر الحكومة».

وكأن سكوت المويلحى عن مناهضة الاحتلال لم يرق أستاذه جمال الدين الأفغانى فكتب إليه خطابا ناريا يقول فيه(٦): صديقى ورفيقى، إن الجبانة قد قضت عليك بترك الأحياء، لا حول ولا قوة إلا بالله، كيف تبدلت جبلتك، وتغيرت طبيعتك، وتبدلت لطبعك، وكيف تنازلت إلى مرتبة لا يرضى بها حرٌّ مثلك، لا ترسل جوابا، ولا ترد خطابا، ولا تسأل عن أصدقائك وقد تساوى عندك موتهم وحياتهم».

هذه اللهجة القاسية غير مستغربة من البطل الثائر جمال الدين الأفغانى فقد كان يخاطب الرؤساء والسلاطين بأقوى مما كتب، وقد أراد أن يبعث الهمة فى نفس صديقه، ولم تكن نفس المويلحى فى حاجة إلى من يبعث شواظها المستكن فى طواياها، ولكنه يعرف أن الاحتلال مسيطر على البريد، ولايمكن أن يصل من مصر خطاب إلى جمال الدين دون أن تعوقه العوائق، كما أنه لا يدرى ماذا يقول له؟ أيقول إن الاحتلال قد أصبح كل شىء فى البلاد، وأن الوزراء قد أصبحوا آلة مرنة فى أيدى الاحتلال، وأن أبطال الحرية قد لاقوا التعذيب تارة والنفى إلى أقاصى الدنيا تارة: لاشك أن جمال الدين يعلم ذلك، وفى المنفيين من اتصل به فى باريس كالأستاذ الإمام محمد عبده، وطبيعى أنه شرح له ما يوجب الأسى، ويستدر الدموع! لذلك لم يرد على أستاذه، ولكن خطابه كان قوى التأثير.

لقد ظل المويلحى فى عصر الاحتلال كأسد فى قفص، ينهض فتعوقه القضبان، ويزأر فلا يستجيب أحد لزئيره، حتى لقى ربه فشيعته الصحف الوطنية بما يليق به من التمجيد ورثاه كبار الشعراء، وفى طليعتهم أحمد شوقى إذ قال فيه من قصيدة باكية(٦):

مضى المعطى، وما تدرى يداه
ومن يأسو الجراح ومن يبلُّ
ومن وزن الزمان فتى وشيخا
إذ الفتيان قبل الشيب ضلوا
وقورٌ فى الحوادث لا يبالى
سيوف البغى تغمد أو تسل
وأقطع من سيوف الهند حدا
لسانٌ لايهاب ولايزل
كبير فى المواقف لا جهول
بآداب الخطاب ولا مخل
بكاك الناس أحبابا وأهلا
بأحسن ما وفى للخلِّ خل
وذاقت فقد خادمها بلاد
له فى جيدها منن وفضل
تعقل فى محبتها فتيا
وأخلص فى المحبة وهو كهل

وإذا أراد القارئ أن يتصفح حديث الصيحة المدوية فى مجلس النواب، ليعرف تفصيل ما أوجزه الإجمال من قبل، فليقرأ ما كتبته بالجزء الرابع من (النهضة الإسلامية) فسيجد ما يشفى الغليل.

الهوامش:

١ ـ أسرة المويلحى ص٣٠٤.

٢ ـ عصر إسماعيل جـ٢ ص١٨٤ للرافعى.

٣ ـ جريدة التجارة نقلا عن كتاب (أسرة المويلحى) ص١١٩.

٤ ـ جريدة التجارة نقلا عن كتاب (أسرة المويلحى) ص١١٩.

٥ ـ أسرة المويلحى ص١٠٩.

٦ ـ أسرة المويلحى ص١٠٤.

الدعوة والدعاة

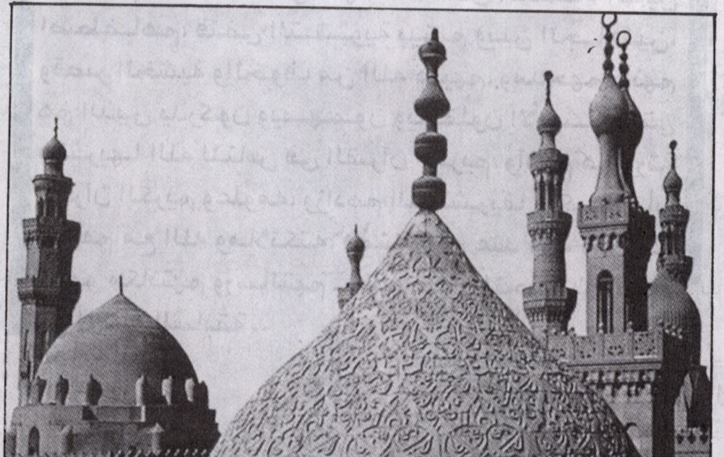

- الإسلام وطلب العلم وفضله
- مسئولية الكلمة فى ضوء الإسلام
- من فوق المنبر
- الزكاة طهر ونماء

الإسلام وطلب العلم وفضله (٣)

العلم أمانة استودعها الله لدى العلماء الذين اصطفاهم، فنفى التسوية بينهم وبين الجاهلين، وقصر الخشية والخوف من الله عليهم، ومدحهم بأنهم هم الذين يدركون ويفهمون ويعقلون الأمثال التى يضربها الله للناس فى القرآن الكريم، وأنهم هم ورثة القرآن الكريم وعلومه، وزادهم الله تشريفا وتكريما بأن ذكرهم مع الله وملائكته، فمنزلتهم عند الله عظيمة لسمو مكانتهم ورسالتهم ـ وذلك على النحو الذى بيناه فى المقالة السابقة ..

الشيخ/ فوزى فاضل الزفزاف

إذن فمسئولية العلماء كبيرة، فهم مأمورون بحفظ هذه الأمانة وأدائها بنشر العلم وتعليم الناس، وتبصيرهم بأمور دينهم، وحثهم على ما ينفعهم فى دنياهم وأخراهم، ولن تؤدى هذه المسئولية على وجهها الصحيح إلا إذا كان العلماء قدوة حسنة فيما يأمرون به وفيما ينهون عنه.

وجزاؤهم عند الله كبير فى حالة قيامهم بأداء واجباتهم بإخلاص لله من غير كبر ولا غرور، ولا نفاق ولا رياء، ولا تطلعا لشهرة، ولا جريا وراء الحكام للحصول على منصب أو جاه، ولا إراقة لماء وجوههم لتحصيل كسب مادى.

أما إذا قصَّر العلماء فى أداء واجباتهم، وخانوا الأمانة التى ائتمنهم الله عليها، واشتروا الدنيا بالآخرة، وتملكهم الكبر والغرور، ونسوا فضل الله عليهم فحجبوا علمهم عن الناس، أو استعملوه فى غير ما يرضى الله، أو تملقوا الحاكم ونافقوا السلطان، وأهدروا كرامة العلم والعلماء جريا وراء تعيينهم فى مناصب دنيوية زائلة، وغرتهم الدنيا فوقعوا أسرى لزينتها وشهواتها.. فإن حسابهم ـ فى تلك الحالة ـ عند الله عسير، وجزاؤهم فى الآخرة النار وبئس المصير.

يقول الله تعالى: **﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون﴾** آل عمران: آية ١٨٧.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة»**، وعن كعب بن مالك عن النبى ﷺ قال: **«من طلب العلم ليجارى به العلماء، أو ليمارى به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار»**.

وقد ذُكر عن موسى بن عمران عليه السلام أنه لما كلمه الله تعالى تكليما، ودرس التوراة وحفظها، حدثته نفسه أن الله لم يخلق خلقا أعلم منه، فهون الله إليه نفسه بالخضر عليه السلام.

وقال مقاتل بن سليمان ـ وقد دخلته أبهة العلم ـ: سلونى عما تحت العرش إلى أسفل من الثرى.

فقام إليه رجل من القوم فقال: ما نسألك عما تحت العرش ولا أسفل من الثرى!! ولكن نسألك عما كان فى الأرض وذكره الله فى كتابه: أخبرنى عن كلب أهل الكهف ما كان لونه؟ فأفحمه.

وقال قتادة ـ متباهيا ـ: ما سمعت شيئا قط، ولا حفظت شيئا قط فنسيته، ثم قال: يا غلام، هات نعلى. فقال الغلام: هما فى رجليك!! ففضحه.

وعن النبى ﷺ أنه قال: **«إذا أعطى الناس العلم ومنعوا العمل، وتحابوا بالألسن، وتباغضوا بالقلوب، وتقاطعوا فى الأرحام ـ لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم».**

وقال ﷺ: **«ألا أخبركم بشر الناس؟ قالوا: بلى يارسول الله، قال: العلماء إذا فسدوا».**

وقال عيسى ابن مريم عليه السلام: **«سيكون فى آخر الزمان علماء يُزهِّدون فى الدنيا ولا يزْهَدون، ويُرغِّبون فى الآخرة ولا يرغبون، ينهون عن إتيان الولاة ولا ينتهون، يُقرِّبون الأغنياء، ويبعدون الفقراء، ويتبسطون للكبراء، وينقبضون عن الفقراء، أولئك إخوان الشياطين وأعداء الرحمن».**

وقال الفضيل بن عياض: كان العلماء ربيع الناس، إذا رآهم المريض لم يسره أن يكون صحيحا، وإذا نظر إليهم الفقير لم يود أن يكون غنيا، وقد صاروا اليوم فتنة للناس.

وذكر عبدالرحمن بن عفان قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: ما أقبح بالعالم يؤتى إلى منزله، فيقال: أين العالم؟ فيقال: عند الأمير، أين العالم؟ فيقال: عند القاضى، ما للعالم وما للقاضى، وما للعالم وما للأمير؟ ينبغى للعالم أن يكون فى مسجده يقرأ فى مصحفه.

العلماء الحافظون لأمانة العلم المخلصون فى أداء رسالتهم لا تغرهم الحياة الدنيا بزينتها ومفاتنها

وقال سفيان الثورى: العالم طبيب الدين، والدرهم داء الدين، فإذا اجتر الطبيب الداء إلى نفسه فمتى يداوى غيره؟

أما العلماء الحافظون لأمانة العلم، المؤدون حقها كما أمر الله، العاملون بعلمهم، المخلصون فى أداء رسالتهم، المتعففون عن جاه ومناصب الحكام، الزاهدون فى تواضع فلا تغرهم الحياة الدنيا بزينتها ومفاتنها، فهنيئا لهم بما يدخره الله لهم من ثواب، وما يجازيهم به من حسنات، فعن أبى أمامة الباهلى قال: ذُكر لرسول الله ﷺ رجلان: أحدهما عابد والآخر عالم. فقال رسول الله ﷺ: فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم، ثم قال ﷺ: **«إن الله وملائكته وأهل السموات**

والأرض حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير».

وعن سهل بن سعد عن النبى ﷺ قال: **«والله لأن يهدى الله بهداك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم»**، وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - عن النبى ﷺ قال: **«فقيه أشد على الشيطان من ألف عابد».**

وقال أبو الأسود الدؤلى: الملوك حكام على الدنيا، والعلماء حكام على الملوك.

وقال أبو قلابة: مثل العلماء فى الأرض مثل النجوم فى السماء: من تركها ضل، ومن غابت عنه تحير.

وقال سفيان بن عيينة: إنما العالم مثل السراج: من جاءه اقتبس من علمه ولا ينقصه شيئا كما لا ينقص القابس من نور السراج شيئا.

وعن عثمان رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«يشفع يوم القيامة لثلاثة: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء».**

وقال رسول الله ﷺ: **«يقول الله عز وجل للعلماء يوم القيامة: إذا قعد على كرسيه لفصل عباده: إنى لم أجعل علمى وحلمى فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان فيكم ولا أبالى».**

وللبيهقى: يبعث العالم والعابد، فيقال للعابد: ادخل الجنة، ويقال للعالم: أثبت حتى تشفع للناس بما أحسنت أدبهم.

ومر رجل بعبدالله بن عبدالعزيز بن عبدالله بن عمر - وهو جالس فى المقبرة وبيده كتاب - فقال له: ما أجلسك ههنا؟ قال: إنه لا أوعظ من قبر، ولا أمتع من كتاب.

وقال ملك الهند لأولاده - وكان له أربعون ولدا - يابنى، أكثروا من النظر فى الكتب، وازدادوا فى كل يوم حرفا، فإن ثلاثة لا يستوحشون فى غربة: الفقيه العالم، والبطل الشجاع، والحلو اللسان الكثير مخارج الرأى.

وقال داود لابنه سليمان - عليهما السلام -: لُفَّ العلم حول عنقك، واكتبه فى ألواح قلبك.

وقال له أيضا: اجعل العلم مالك، والأدب حليتك.

وقيل لأبى عمرو بن العلاء: هل يحسن بالشيخ أن يتعلم؟ قال: إن كان يحسن به أن يعيش فإنه يحسن به أن يتعلم.

وقد اختلف العقل والعلم، فقال العقل: أنا أفضل لأن الله عُرف بى، وقال العلم: أنا أفضل لأن الله اتصف بى فى الكتاب، فوافقه العقل واعترف للعلم بالفضل.

إذا قصر العلماء فى أداء واجباتهم ونسوا فضل الله عليهم وغرتهم الدنيا فإن حسابهم عند الله عسير

ونظم بعضهم ذلك فقال:

علم العليم وعقل العاقل اختلفا
من ذا الذى منهما قد أحرز الشرفا
فالعلم قال أنا أحرزت غايته
والعقل قال أنا الرحمن بى عرفا
فأفصح العلم إفصاحا وقال له
بأينا الله فى فرقانه اتصفا
فبان للعقل أن العلم سيده
فقبل العقل رأس العلم وانصرفا

«البقية فى العدد القادم»

مسئولية الكلمة فى ضوء الإسلام

الكلمة بعيدة الأثر فى النفس الانسانية، فقد تهديها إلى الرشد أو تنحرف بها عن الجادة، وفى اتجاهات السلوك البشرى، فقد تدفعه إلى الاستقامة أو الاعوجاج، فى مسيرة المجتمعات، وإما أن تأخذ بيدها إلى طريق المعرفة وادراك المسئولية فتعمل وتبحث وتنشىء وتتقدم وتسود وتقود، واما أن تتنكب بها الطريق الصحيح، فتقع فى أسر الأوهام والخرافات، وتستنيم إلى الكسل والخمول، ويلفها الجهل بظلماته، فتتأخر وتذل وتضعف وتستكين وتصبح عالة، وظاهرة مرضية، لامكان لها بين الأمم ولا حساب لها بين الشعوب، ولا يسمع لها رأى ولا يبالى بها أحد إذا جد الجد.

ا.د. محمد إبراهيم الجيوشى

وذلك لأن الكلمة إما نافعة أو ضارة طيبة أو خبيثة بانية أو هادمة، صادقة أو كاذبة، وبحسب ما تتصف به يكون تأثيرها فى الفرد والمجتمع والسلوك الإنسانى والقيم والأخلاق التى تحكم الأمم والشعوب.

ولأن الكلمة لها ذلك التأثير الخطير، فاننا نجد القرآن الكريم يوجه إلى الاهتمام بها والتحلى بالجانب الايجابى منها، ضاربا الأمثال الموضحة ليتعرف الناس آثارها الطيبة الحميدة حينما تتضلع بالخير، وتتصف بالصدق، وتتحلى بالأمانة وتلتزم بالمسئولية، أو يدركوا نتائجها المدمرة إذا جانبها التوفيق و،غلفها الكذب، وظللتها الخديعة، وأنتنتها الخيانة والتمويه فيقول: **﴿ألم تركيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون، ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة، ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾**. سورة ابراهيم الآيات من ٢٤:٢٧

وليدرك الإنسان مسئوليته عن الكلمة التى ينطلق بها لسانه، نبهه القرآن إلى أن كل ما يتفوه به مقيد عليه ومسجل حتى يحتاط للأمر ويتخير ما يقول، فلا يقول شيئا يندم عليه فيما بعد وذلك لأن الإنسان يملك الكلمة قبل أن تنفرج عنها شفتاه، فاذا قيلت صارت مالكة له، وكان ذلك من أسرار التوجيه القرآنى للإنسان حين يقول **﴿مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾** سورة ق الآية ١٨.

وشجع القرآن كذلك على اختيار الكلمة الطيبة حين جعلها من هدى المؤمنين فقال: **﴿وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد﴾** وقال: **﴿وقولوا للناس حسنا﴾**.

وقد تضافرت السنة إلى جانب القرآن توضح للمرء مسئوليته الضخمة تجاه الكلمة التى يقولها، مبينة آثارها على حاضره ومستقبله ان خيرا فخير وان شرا فشر، وتتعاظم هذه المسئولية حينما يكون المرء فى مكان التوجيه

والقدوة فإن ما يقدم عليه من كلمة طيبة أو خبيثة ستؤخذ على أنها سنة تتبع من سن سنة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة».

أما وضع المرء أمام مسئوليته بالنسبة لما يقوله وجها لوجه ففى الحديث الذى يقول «ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى مايظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله عز وجل له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله تعالى عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه».

وقد سأل معاذ النبى ﷺ عن مسئوليتنا عما نتكلم به، فقال: ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس فى النار على وجوههم يوم القيامة إلا حصائد السنتهم».

من اجل الدور الخطير الذى تؤديه الكلمة كانت هى وسيلة الرسل فى تبليغهم عن الله، وحسبها شرفا ومكانة أن تكون الطريق التى يصل بها وحى الله إلى عباده، وأن ترسم للناس معالم الخير، توضح لهم سبل النجاة، وتدلهم على طريق المستقبل، فعن طريق الكلمة بين الرسل للناس العقيدة النقية الصافية ونفوا عنها انحرافات المنحرفين وضلالات الضالين، وخرافات المفسدين، وقدموها للناس بيضاء نقية، خالصة لله رب العالمين **﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾**. سورة البينة الآية ٥.

وشرعوا للبشر العبادة التى يجب على المخلوق أن يتوجه بها نحو خالقه سبحانه وتعالى فلا ينحنى إلا لله ولا يخضع إلا لجلاله ولا يعبد إلا إياه، ولا يطلب العون إلا منه سبحانه، وبذلك يستقيم منهجه، ويعرف طريقه، ويحفظ على نفسه كرامته فلا تذل لطاغية مستبد ولا تنحنى لصنم منحوت من صخر أو خشب، ولا تلتمس العون والنفع إلا ممن بيده ملكوت كل شىء وهوعلى كل شىء قدير وقد لخص القرآن الكريم هذا المنهج المستقيم فى العبادة والتوجه إلى القاهر فوق عباده وهو على كل شىء قدير فقال **﴿قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾**. سورة يوسف الآية ١٠٨.

وعن طريق الكلمة الهادية جاء الوحى بمبادىء الأخلاق ونظم السلوك، وطرق المعاملات التى يجب أن تحكم علاقات البشر وتسود مجتمعاتهم، فلا يبغى أحد على أحد ولايعتدى البعض على حقوق الآخرين، ولا تجمح عاطفة بشخص فتأخذه العزة بالأثم، أو يستبد به هوى فتزل به قدم بعد ثبوتها، وقد تناول القرآن بهديه هذه التوجيهات أحيانا مجملة وأحيانا مفصلة، وعاود الحديث عنها مرة بعد مرة، لأنها تمثل الإطار الذى ينبغى أن تتحرك داخله حياة الأفراد والمجتمعات إن أرادت أن تقدم النموذج الفذ للحياة الراقية، والمثل الحى للسلوك النظيف، فمن إشارات القرآن المجملة لهذا التوجيه الالهى قوله سبحانه لنبيه عليه الصلاة والسلام: **﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾** سورة الأعراف الآية ١٩٩. ولذلك تروى كتب التفسير هنا أن هذه الآية الكريمة لما نزلت على رسول الله صلوات الله عليه وسلامه وسأل جبريل عن مقاصدها، فقال له: لا أجيبك حتى أسأل العالم، ثم عاد إليه يقول: ان الله يأمرك أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك، وتعفو عمن ظلمك.

ذلك مثل من إشارات القرآن المجملة فى التوجيه نحو الأخلاق العالية، وأنماط السلوك الراقية، وسبل التعامل بالحسنى، وينسج على منوال هذا المثل فى الاشارات إلى جوامع الأمور قوله تعالى: **﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى﴾** سورة النحل الآية ٩٠.

أما التوجيهات المفصلة فهى كثيرة حسبنا أن نعرض منها هذا التوجيه الذى يرسم الله فيه لعباده طريق الحياة

فيقول: ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما، والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما، والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما إنها ساءت مستقرا ومقاما والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما، والذين لايدعون مع الله إلها آخر ولايقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولايزنون، ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا، إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنا وكان الله غفورا رحيما، ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب إلى الله متابا والذين لايشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما، والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا، والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما﴾ سورة الفرقان الآيات من ٦٣:٧٤.

هكذا يرسم القرآن للناس طريق الحياة ويوضح المنهج القويم عن طريق الكلمة الهادية فى العقيدة والعبادة والسلوك والاخلاق والمعاملات.

ولانعدو الحقيقة إذا قلنا إنه عن طريق الكلمة يستطيع المفكر أن يقدم لنا خلاصة فكره وتأملاته، والباحث والمكتشف والمخترع أن يعرض نتائج بحوثه واكتشافاته ومخترعاته والشاعر والأديب أن يصور دقائق مشاعره وخلجاته، شعرا مجنحا بالخيال، معبرا بالصور مفعما بالانفعالات والأحاسيس، جياشا بالموسيقى والأنغام، أو قصة مثيرة الأحداث محبوكة الأطراف، مصورة للحياة فى سرد شيق وترابط أخاذ، وكذلك عن طريق الكلمة يقدم الطبيب ما وصل اليه من وسائل لتخفيف آلام المرضى ودفع ثقل المعاناة عن المصابين، ومثل ذلك كل فروعِ المعرفةِ الإنسانيةِ فى قديمها وحديثها وكذلك لانعدو الحقيقة إذا قلنا ان الكلمة هى الأساس الذى قامت عليه حضارات الإنسان فى القديم والحديث، فعن طريقها سجَّل البشرُ تجاربهَم منذ أقدم العصور وعن طريقها وقف اللاحق على فكر السابق وعلى حصيلة تجاربه ووسائل عيشه ونظم حياته وأنماط سلوكه إلى جانب ما كان يدين به من عقائد صحيحة أو سقيمة.

وإذا أردنا أن نتصور فعاليه الكلمة ودورها الخطير فى حياة الإنسان فدعونا نتصور مجتمعات من البشر غير قَادرة على التعبير عما تُحِسُّ به أو تُفكّر فيه أو تصل إليه من نتائج وبحوث، ان هذا التصور يقودنا إلى صورة من الحياة جامدة جافة خالية من الفكر البناء، والعلم النافع، والتأمل المتسامى، والشعر المصور لخلجات النفوس، والفن الرفيع الجميل المصور لعظمة الخالق فى مظاهر الطبيعة المختلفة، وكل هذه المظاهر هى التى تميز بها الإنسان عن غيره من المخلوقات التى لم يعطها الله القدرة على التعبير، ولعلنا ونحن نستعرض هذه الآثار الضخمة التى تميزتْ بها حياةُ الإنسان عن سائر المخلوقات غير الناطقة ندرك بُعْدَ النظر الذى جعل الباحثين القدامى حينما أرادوا .. أن يُعرِّفُوا الإنسان أن يقولوا إنه حيوان ناطق.

والحق أنه عن طريق الكلمة استطاع الإنسان فى عصرنا هذا أن يقف على الفكر الإنسانى فى عصوره المترامية منذ القديم، وبلاده المترامية الأطراف، وحسبك أن تقرأ كتابا مثل قصة الحضارة لـ. وول ديورانت فانك ستجد سجلا وافيا ممتعا لحضارات الشعوب وآثارها فى العقائد والعلوم والآداب والفنون سواء كانت أمما قد أتى عليها التاريخ ومحت معالمها السنون مثل الفينيقيين والآشوريين أم كانت أمما مازالت باقية حتى أيامنا هذه مثل المصريين والصينيين والهنود، والعرب وسواهم من الأمم التى تقود ركب الحضارة فى أيامنا هذه.

كشف لنا ما سبق عن دور الكلمة فى حياة الإنسان منذ بدء الخليقة حتى وصلت الينا معارفه الآن.

فما هو دورها فى ذلك العصر الحديث الذى جد فيه من الوسائل والمخترعات ما يُدهش العقول ويُحيِّر الألباب، فقد كانت وسيلةُ الكلمة فى الوصول إلى الناس قديما منحصرةً فى القصيدة والرسالة والكتاب، أما اليوم فقد تنوعت الوسائل وبلغت من السرعة فى ايصال ما يُرادُ ايصالهُ حداً يفوق التصور، لقد كان الإنسان فى الماضى يسجل ما يريد كتابة باليد قد تستغرق أشهرا أو سنوات أما الآن بعد أن استُحدِثت المطابع ودخل عليها من التحسين ما لايستطيع العقل تصوره لو لم يجده مشاهداً أمامه، فقد أصبح من الممكن تسجيل مئآت الصفحات فى آلاف النسخ بل ملايينها فى مدى يوم وليلة كما نرى فى الصحف ثم جدَّتْ الاذاعة المسموعة ثم المرئية التى تستطيع أن تنقل الأفكار والآراء أحيانا مسموعة فقط وأحيانا مسموعة مرئية فى لحظات من مشرق الأرض إلى مغربها بحيث يستطيع المرء أن يتكلم فى أمريكا أو أوروبا أو الصين فيسمعه ويراه ملايين الناس ليس فقط فى بلده الذى يتكلم فيه بل فى أنحاء الأرض قاطبة فى نفس اللحظة التى يتحدث فيها.

لقد أضافت هذه الاكتشافات الحديثة إلى خطورة الكلمة ومدى تأثيرها اضعافا مضاعفة من الخطورة والتأثير لاتعترف ببعد المكان، ولايؤثر فيها طول المسافات، وهذا بدوره يلقى بأعباء ثقال من المسئولية على أكتاف الكتّاب والدعاة والعلماء والقادة والساسة والموجهين وأصحاب الرسالات، وبخاصة نحن المسلمين فى ديارنا ومجتمعاتنا الإسلامية فنحن فى حاجة ماسة إلى بذل الجهود المكُثفَّة التى تحمى مجتمعاتنا من الآراء الوافدة والأفكار الواردة من الشرق والغرب على السواء، بأن نُحسِنَ استغلال هذه الوسائل الجديدة بالقدر المماثل من الكفاءة والاتقان لنقدم لجماهير المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها الصورَة الحقيقية المشرقة عن الإسلام وحضارته وسماحته وعقيدته وسمو أخلاقياته ونقاء سلوكه ونظافة معاملاته مقارنين بها غيرها مما تعج به الحياة من نحل وآراء سواء كانت قادمة من الشرق أو من الغرب حتى يكون المسلم على بينة من أمره، محصنا بما تَزَوَّدَ به من معارف صَادقة ضد هذه الوافدات من الآراء والأفكار التى تقتحم حواجز البيت وتدخل عليه فى كل حجرة من بيته حتى غرف نومه.

إلى جانب ما يكتشفه العقل البشرى من أسرار هذا الوجود وتسخيرها لخدمة الإنسان والارتقاء بحياته عملا بقول الخالق جل وعلا ﴿**أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج**﴾ سورة ق الآيتان ٦، ٧.

إن ذلك يكشف عن ضخامة التبعة التى تلقيها الظروف المعاصرة على رجال الإعلام والقائمين على التوجيه الدينى والثقافى والعلمى والسياسى فى بلاد المسلمين ليحصنوا أبناء المسلمين من آفات هذه المقتحمات الواردة أولا ثم ينطلقوا فيقدموا مُثُل الإسلام ومبادئه وأخلاقه وحضارته وعقائده إلى شعوب الأرض على اختلاف ألوانها وأجناسها وديارها عملا بأمانة الكلمة وانطلاقا من ادراكنا لمسئولياتنا نحوها وحرصا على سيادة قيم الحقّ والخير والعدل، وصدق الله العظيم: ﴿**ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين، ولاتستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم، وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم**﴾ سورة فصلت الآيات من ٣٣:٣٥.

من فوق المنبر

فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام

الحمد لله رب العالمين. شرح صدور عباده المؤمنين للإيمان، وهداهم إلى الإسلام فارتبطت نفوسهم بتعاليمه. فكانوا رحماء فيما بينهم. أشداء على أعدائهم، يناصرون الحق ويدافعون عنه.. نحمده سبحانه وتعالى ونشكره ونتوب إليه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيآت أعمالنا وخواطر الهوى التى ترد على قلوبنا. ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أنزل القرآن الكريم هداية لمن أراد أن يهتدى، وإنذارا وتخويفا لمن لم يجب داعى الله ورسوله قال الله تعالى ﴿إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما.﴾ سورة الإسراء آية ٩-١٠.

الشيخ : فكرى حسن اسماعيل

ونشهد أن سيدنا وحبيبنا ورسولنا محمدا عبده ورسوله وصفيه وخليله إمام المتقين ورحمة الله المهداة إلى البشرية إلى يوم الدين. اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الذين دعاهم إلى الإيمان فآمنوا به وصدقوه، وجاهدوا فى سبيله وعملوا على نشر دينه. وإعلاء كلمته فجزاهم الله خير الجزاء. حيث بشّرهم بجنته ووعدهم مغفرته ورضاه وصدق الله حيث قال: **﴿ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم﴾**. سورة آل عمران آية١٠١ فرضى الله عن الصحابة والتابعين ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم أما بعد.

فيا أيها المسلمون. يقول الله تعالى فى كتابه الكريم: **﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومَنْ يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون. وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون﴾** الأنعام ١٢٥- ١٢٦ أيها المسلمون.. قد يفهم البعض من مطلع الآية الكريمة أن الهداية والإضلال للعبد بتأثير إرادة الله سبحانه وتعالى. ولا اختيار للعبد

فى ذلك وآخر هذه الآية يصرح بأن الله سبحانه وتعالى: لا يجعل رجسه إلا على الذين لا يؤمنون بآياته، ولا يتدبرون بدائع صنعه وعجيب خلقه. وتصرح الآية الثانية بأن صراط الله مستقيم ونهجه قويم. وقد فصَّل الله الآيات لقوم يذكرون.. حقا. أخى المسلم - إن كل شىء سواء كان خيرا أم شرا مراد لله عز وجل ولكن الله تعالى لا يرضى لعباده الكفر، ولا يحبه لهم. لذا لم يأمرهم به بل نهاهم عنه تحقيقا لقوله تعالى: ﴿**إن تكفروا فإن الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم ولا تزروا وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون إنه عليم بذات الصدور**﴾ سورة الزمر آية (٧) لذلك أنكر الله سبحانه وتعالى على الذين لا يستغلون حواسهم وعقولهم فيما ينجيهم من الهلاك والشرور فى الحياة الدنيا وفى الآخرة بل أنَّبَهُمْ على عدم تفكيرهم وبحثهم عن طريق النجاة قال الله تعالى: ﴿**ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين**﴾ أى طريق الخير وطريق الشر سورة البلد ٨ إلى ١٠ ولا جدال فى أن هذه الحواس من الأعين والألسنة والشفاة تعين الإنسان العاقل على الإيمان بالله تعالى والتصديق بكتابه والإيمان برسوله، لاسيما بعد أن هداه النجدين، وبيَّن له طريق الخير وأمره به، وطريق الشر ونهاه عنه، ووضَّح له الحلال والحرام. فكان لزاما عليه أن يقتحم العقبات ويتجاوز الشدائد سالكا طريق الخير والنجاة. هاربا عن طريق الشر والفساد منشرحا صدره للإسلام بسبب ذلك النور والآيات الباهرات التى يشتمل عليها بدنه، وتحتوى عليها نفسه تصديقا لقوله تعالى: ﴿**وفى الأرض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون**﴾ الذاريات ٢٠-٢١ - وقوله تعالى ﴿**إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا.**﴾ سورة الإنسان آية -٣- روت كتب الحديث أن رسول الله ﷺ سئل كيف يشرح الله صدر الإنسان للإسلام فقال: (**ذلك نور يقذفه الله فى قلب المؤمن قالوا: وماعلامته؟ قال: التجافى عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود. والاستعداد للموت قبل أن ينزل به الموت**) رواه ابن جرير عن عبد الله بن مسعود مرفوعا.

أيها المسلمون: إن الله تعالى لا يكتب الضلالة إلا على الضالين الذين إذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوبهم، وإذا ذكر الذين من دونه ممن لا يملكون نفعا ولا ضراً استبشروا تحقيقا لقوله تعالى: ﴿**وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون**﴾ سورة الزمر آية ٤٥ حقا.. يوجد فريق من الناس فى هذه الحياة الدنيا قد تعاموا وتغافلوا عن الحقيقة استكبارا وعنادا، وصرفوا تفكيرهم نحو الحياة الدنيا لما فيها من أموال وبنين ولهو وعبث فَقَيَّض الله لهم مَن يزيدهم ضلالا على ضلالهم، وإعراضا فوق إعراضهم جزاء نسيانهم لذكر الله وتحقيقا لقوله تعالى: ﴿**فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم.**﴾ سورة الصف آية٥ وقوله تعالى: ﴿**ومَنْ يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون**﴾ سورة الزخرف ٣٦-٣٧ وإذا كان

الله تعالى قد حبب إلينا الإيمان وزينه فى القلوب، وحسَّنه فى الأفئدة والصدور وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان. وجعلها من الأمور التى لا تتقبلها النفوس الطاهرة، والقلوب الواعية.. فكيف نجرد أنفسنا من الاختيار بعد هذا البيان الشافى والتحذير الشديد من اتباع الهوى قال الله تعالى: **﴿واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون﴾** سورة الحجرات آية٧.

من ذلك يتبين لنا أن الله تعالى قد ضرب فى هذه الآية الكريمة وهى قوله تعالى: **﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾** مثلين عظيمين.

المثل الأول. لمن شرح الله صدره. واتسع قلبه فاستنار بضياء الإسلام وملأ قلبه نور الإيمان. فمال إلى دار الخلود، وتجافى عن دار الغرور واستعد للموت قبل أن ينزل به فكان إنسانا صالحا فى هذه الحياة الدنيا مؤديا واجبه على أحسن حال. يستوى عنده الواجب الدنيوى كعمله فى مدرسته أو متجره أو مصنعه أو مزرعته أو قضائه لمصالح الناس وحل مشاكلهم. والواجب الدينى كالصلاة والزكاة والصيام والحج والإنفاق فى سبيل الله أخذاً بيد الفقير ورحمة لليتيم، مبتعدا عن الربا وأكل الحرام ونهب الحقوق وانتهاك الأعراض والحرمات واستغلال النفوذ..

المثل الثانى. ضربه الله سبحانه وتعالى للإنسان الذى لم ينتفع بآيات الله فى الكون الدالة على توحيده وتفرده بالإبداع والتدبير فكما لا يستطيع الإنسان أن يصَّعَد فى طبقات الجو العالية كذلك لا يستطيع الإيمان والتوحيد أن يدخل القلب المنغلق الذى لم ينفتح للإيمان. ولم يقبل نور الإسلام فَصَارَ كالْحَرَجَة - هى شجرة تكون بين الأشجار لا تصل إليها راعية أو وحشية - قال الإمام أبو جعفر بن جرير: هذا مثل ضربه الله لقلب الكافر فى شدة ضيقه وعدم وصول الإيمان إليه. فمثله فى امتناعه عن قبول الإيمان وضيقه وعدم النفاذ إليه كمثل امتناعه عن الصعود فى طبقات الجو العليا وعجزه. إذ ليس فى وسعه وطاقته أن يصعد.. فلا غرابة إذن أن يجعل الله الرجس والعذاب على الذين انصرفوا عن هدى الله وارشاده مسلطا عليهم الشيطان يغويهم ويضلهم لأنهم قد أبَوْا الدخول فى رحمة الله ورضوانه فحقت عليهم كلمة العذاب تحقيقا لقول الله تعالى: **﴿ بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد﴾** سورة سبأ(٨)

فاتقوا الله - أيها المسلمون - وتأملوا فى خلقه، وتفكروا فى آياته وعجائب صنعه حتى يتبين لكم الحق فيزيد إيمانكم. وتدبروا آيات القرآن الكريم واعملوا به تفوزوا بجنة عرضها السموات والأرض عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين**» متفق عليه وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون والتائب حبيب الرحمن.

الزكاة طهرة ونماء

فضيلة الشيخ
معوض عوض إبراهيم

أركان الدين الخاتم ابتداء من كلمة التوحيد وشهادة الإخلاص وأمارة أن كل ما سوى الله مربوب مأمور بأمر الله الذى له وحده الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين. وللنبى ﷺ بالنبوة ومرورا بالصلاة ثانية الإسلام وبالصيام والزكاة والحج، وضع إلهى يرتبط فيه كل ركن بما يليه فى توفير طاقة دافعة إلى الكمال البشرى فى مجال صلة المؤمن بربه سبحانه وهو مطمئن النفس، واثق القلب بأنه وحده الإله الحق نعبده وحده مخلصين له الدين، فما يملك شيئا من أمورنا أحد معه سبحانه.. ولقد أبصر الذى قال مناجيا مولاه:

وغضضت طرفى عن سواك فلم أجد * فى الكون غيرك من إله يعبد**

والإقرار بالشهادتين أصل أصيل فى قيمة ما وراءهما من التكاليف فبقدر تفرد الله تعالى بأن نعبده ونقصده ونستيقن به فى دفع ما نكره، وإحراز ما نحب، نطيعه فى التصديق برسالة خاتم رسله محمد بن عبدالله ﷺ طاعة تتفق وما يفهمه الأسوياء من قول الله تعالى لمصطفاه **﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم* قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين﴾** آل عمران: الآيتان ٣١، ٣٢.

التعاون على البر والتقوى

ولقد أوجب الله الصلاة فى كتابه، كما أوجب الصيام والزكاة والحج على نحو من العموم الذى فصله النبى ﷺ وأوجب الله علينا أخذ ما بينه النبى وفصله ـ صلوات الله عليه ـ فقال: **﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾** الحشر: آية ٧، وقال ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ **«صلوا كما رأيتمونى أصلى»** رواه البخارى من حديث مالك بن الحويرث، وقال فى خطبته الجامعة فى حجة الوداع: **«خذوا عنى مناسككم»** رواه مسلم من حديث جابر بن عبدالله.

ونحن نجد فى سنته القولية والعملية ما لابد لنا منه كى يقوم صيامنا وتقوم زكاتنا على ما يرضاه الله.

وأركان الإسلام تتتابع على صوغ الفرد المسلم والجماعة المسلمة والأمة المسلمة صياغة ربانية تصل بالله، وتحدوا فى مجالات الاستخلاف على هدى من الله.

ألم تروا كيف يصنع منا المسجد أننا نرتبط فيه بالعمل الواحد، والقصد الفرد، متجهين جميعا فى الصلاة إلى بيت الله والكعبة فيه بعد أن تحاذت منا المناكب، واستشعرنا الأخوة الحقة الموجبة للتناجى بالحق والتعاون على البر

توزيع الزكاة يحتاج إلى نظم وقواعد تضمن وصولها إلى مستحقيها

والتقوى، تلك المعانى الجميلة التى يؤكدها ويعمق جذورها، ويثرى آثارها فى النفس أولا، ثم فى مجتمع الأسرة والأهل ثم فى المجتمع ونحن نخرج الزكاة، فنطارد بعض العوز وندفع من حرمان الإخوان ما ندفع ونشد عرى الذين أعطوا والذين أخذوا، دون أن يكون فى ذلك هضيمة على آخذ ولا منة لمعط. فالمال فى الأيدى مال الله إذا كنا قد أفدناه بمنهجه سبحانه من عرق الجبين وكد اليمين، ومن حسان الوجوه، وإلا فهو بلاء على ذويه لا يقبله الله الذى لايقبل إلا طيبا، ونحن فى ذلك المال كما قال تعالى: **﴿آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير﴾** الحديد: آية ٧.، ويقول: **﴿وآتوهم من مال الله الذى آتاكم﴾** النور: آية ٣٣.

أجل تقوم الزكاة بدورها الربانى فى إحكام الصلات، وتعميق المودات، وشفاء الأنفس من علل الشح الهالع، والأثرة الهادمة والأنانية المدمرة وعبادة الذات، وصدق الله العظيم **﴿إن الإنسان خلق هلوعا* إذا مسه الشر جزوعا* وإذا مسه الخير منوعا* إلا المصلين* الذين هم على صلاتهم دائمون* والذين فى أموالهم حق معلوم* للسائل والمحروم﴾** المعارج: الآيات ١٩ ـ ٢٥.

مقاصد الزكاة

إن المؤمن لتحبب إليه الصلاة أن تلين بالبذل يده وتتبسط بالإحسان كفه وهو كذلك يحبب إليه الصوم أن يمد يد العون لإخوان يصيبهم طيلة العام من لذع الجوع ما يجد الذى صام لله عز وجل وترك عناصر الحياة الضرورية وهو يؤدى فريضة الحج ويتنقل بين مناسكه وهو يمنح بعض ماله لإخوانه ابتغاء رضوان الله تبارك وتعالى، وهو عطاء إن لم توجبه الصلاة والصيام والحج فإنه أواصر ووشائج تقوم شواهد وبراهين على أن الإسلام وفرائضه قد شد العرى وأحكم الوثاق وأدنى القلوب من القلوب وألف الأرواح على الأرواح وتلك آثار وثمار لا تصلح الدنيا والآخرة إلا على أساسها (ولا كان من عاش لنفسه فقط) كما يقولون.

ألا ما أشد حاجتنا إلى الزكاة التى هى طهرة ونماء وشفاء لما فى الصدور وبر نجده أضعافا مضاعفة فى أموالنا التى تزكو بالصدقة وتزيد بالإحسان ويضاعف الله بها الجزاء والمثوبة فهو يجزى الشاكرين ولا يضيع أجر المحسنين.

إن اسم الزكاة يحمل المراد منه كما نلحظ ذلك فى قوله تعالى: **﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ..﴾** التوبة: آية ١٠٣.

والزكاة فى اللغة تعنى الطهر والنماء والبركة

والتأهل للمدح والثناء إنها كذلك فى القرآن والسنة، وتطلق بالاشتراك بين ما أخرجته وما أخرجت منه.

وإذا كانت الزكاة طهرة للأموال، فإن صدقة الفطر طهرة للأنفس وهو قدر ينخظ فى الزكاة نفسها، ممن أخرج زكاة ماله بطيب نفس وارتياح روح، فقد سنمت نفسه من الشح الهالع.. ويالها من سلامة.

التوظيف الأمثل للمال:

والمسلمون يجدون الدين الخاتم وهو يوظف المال لخير الفرد والجماعة والمجتمع، والمسلمون يخرج أكثرهم الزكاة، ويسارعون إلى بذل الصدقات ويجد بعضهم إخلاصه فى ذلك، ويحرم الإخلاص آخرون، لكن حاجتنا ماسة إلى النظم والقواعد التى يحسن بها وصول أموال الزكاة إلى مستحقيها فى المصارف التى حددها ربنا سبحانه، وأن تكون على مستوى ترطيب القلوب بها، وتوجيه الأخوة إلى إيتائها.

إن للزكاة فى كتاب الله تعالى لقدرا يلحظ وهى تقارن الصلاة فى آيات ذوات عدد، ولها مثل هذا القدر فى السنة النبوية وفى عمل الصحابة والتابعين فى خير القرون، وإنها لمرآة يرى فيها الأوروبيون وغيرهم جلال دين الله وكماله وإنسانيته وروابطه على مستوى الأفراد والجماعات والشعوب.

واقتران الزكاة بالصيام حينما فرضا على النبى ﷺ وعلى أمته فى السنة الثانية للهجرة إلى المدينة المنورة يؤكد أن صلاة وصياما لا يستتبعان الزكاة إنما هى رد على أهليهما، وأن الزكاة تكون ثمرة صلاة وصيام تناجت فيهما الأرواح، وكانت الزكاة برهانا ماديا على إحساسنا بإخواننا، وما يضنيهم من فقر وحرمان.

الزكاة برهان مادى على الإحساس والتضامن والتخلص من الفقر والحرمان

إننا بإخراج الزكاة ندفع عن الأخوة شرا، ونمنح خيرا، وهو جهاد فى أجلى صوره يؤكد أن الجهاد فى سبيل الله لإعلاء كلماته وإحقاق حقه وتأمين مقدساته يكون أيسر شىء على من طابت أنفسهم بإخراج زكاة المال الذى لم يكن له من السعار ما للسباع الكاسرة.

ويوم نخرج الزكاة طيبة بها أنفسنا مستجيبين حوائج من يلينا وصراخ من ينادينا فى أقطار وديار سنكون الأمة الواحدة التى يقذف الله عز وجل بنصره إياها الرعب فى قلوب من عاداها **﴿ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم* وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾** الروم: الآيتان ٤, ٥.

صفات الداعية

للدكتور حمد بن ناصر العمار — عرض : صلاح أحمد الطنوبى

● كتاب: «صفات الداعية» من تأليف الدكتور حمد بن ناصر العمار عضو هيئة التدريس بقسم «الدعوة والاحتساب» جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ـ الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ويقع فى خمس وثلاثين ومائة صفحة.

يؤكد المؤلف فى مقدمة الكتاب أن سلف هذه الأمة حمل ميراث النبوة الخالد، وطبقوه على أنفسهم، ودعوا أقوامهم إلى تطبيقه، ولاحقوا جحافل الردى ومنابت الهوى، وأقاموا مقامها الخير والصلاح والهدى وحرصوا على معالجة أمراض القلوب من شهواتها وشبهاتها، مهما تلونت السيئة وانتفخ الباطل.

وقال المؤلف: «إن السعى فى طريق الدعوة فى مسارها الصحيح يتطلب من الدعاة أن يشمروا عن ساعد الجد، مستعيذين بالله تعالى، ومتوكلين عليه، ومتأسين بسيرة قدوة الدعاة ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ مراعين فى ذلك: سلامة المنهج وحسن الوسيلة والأسلوب».

● وجاء المدخل بعد المقدمة، وتضمن: تعريف الصفات، وتعريف الداعية، وحاجة الأمة إلى الدعاة.. فالصفات: هى ما يتحلى به الداعية ويتسم به من خلال، سواء أكانت صفات أساسية أم صفات لازمة.

والداعية هو: كل مسلم مكلف اشتغل بهداية الناس وبدلالتهم على الله تعالى.

والداعية هو: وارث النبى ﷺ فى مهمته الإرشادية ، والقائم مقامه فى إبلاغ دين الله، وكان النبى ﷺ يرشد المسلمين إلى ذلك، فقال أصحابه ـ رضى الله عنهم ـ «ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب» أخرجه البخارى.

والدعاة إلى الله تعالى: هم سفراء الأمة المؤمنة إلى الناس، يحملون أمانتها، ويبلغون رسالتها، والناس لهم تبع.

والأمة المسلمة مسئولة عن هداية البشر، ومستشهدة وموقوفة؛ لتحاسب عن تبليغ الرسالة إلى البشرية كما أن الأنبياء محاسبون.

ومهمة الدعاة الأخذ بالأسباب وليس لهم أن يحسبوا للنتائج حسابا، فالنتائج بيد الله، فالذى خلق الأسباب هو الذى خلق النتائج والثمار، وهم كمن يتزوج لينجب ذرية قد يهبه الله إياها وقد يحرمه إياها.

قال الله تعالى: **﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾** البقرة: آية ١٤٣.

حاجة الأمة إلى الدعوة

● أما عن حاجة الأمة إلى الدعوة: فالناس على مختلف أجناسهم وألوانهم وأزمانهم، وقوتهم وضعفهم.. بحاجة ماسة إلى الدعوة الإسلامية.

قال الشيخ عبدالعزيز بن باز: «ليس من الخافى على كل من له أدنى علم أو بصيرة أن العالم الإسلامى اليوم، بل العالم كله فى أشد الحاجة إلى الدعوة الإسلامية الواضحة الجلية التى تشرح للناس حقيقة الإسلام، وتوضح لهم أحكامه ومحاسنه».

وقال المؤلف: «وهذا العصر الذى نعيش فيه من أشد العصور فقرا إلى الاتصال بالخالق سبحانه، والانصياع إلى الدين، وذلك أن الرقى العقلى المحض الذى بلغته الإنسانية يجعل مستقبلها على حافة الهاوية إن لم يقترن هذا الرقى باكتمال روحى معتمد على الله تعالى ورسوله ﷺ، فالعالم بحاجة إلى أن يعرف الله كما عرف نفسه إلى عباده فى القرآن الكريم، وبحاجة إلى أن يعرف نبيه محمدا ﷺ وبحاجة أن يدرك جملة الحقائق التى جاء بها الإسلام من عقائد وعبادات وأخلاق ومعاملات».

(نقلا من كتاب مع الله - دراسات فى الدعوة والدعاة - محمد الغزالى - رحمه الله).

وحاجة الأمة إلى الدعاة تتأكد فى الأمور التالية:

١ - قصور العقل عن استقلاله بمعرفة الحق.

٢ - تعرض الأمة المسلمة إلى هجمات شرسة من أعدائها.

٣ - حمل ميراث النبوة والإعذار أمام الله تعالى.

● فالعقول لا تهتدى إلى معرفة كل ماينفع الإنسان فى حياته ليأخذ به، ولا إلى معرفة كل ما يضره فى حياته كلتيهما ليجتنبه وينجو مما يضره إلا فى ضوء الشرع الإلهى.

● والأمة المسلمة تتعرض اليوم إلى هجوم شرس من جميع دول الإلحاد وجماعات الكفر وأرباب الزندقة. **﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾** التوبة: آية ٣٢.

لقد حان الوقت لنفسح الطريق إلى معرفة أوثق بديننا الحنيف عن طريق دعاة من طراز خاص، يمثلون الرائد الذى لا يكذب أهله إننا لا نحتاج إلى شرح جديد، فقد منَّ الله تعالى علينا به واضحا جليا ولكننا فى حاجة إلى دعاة صادقين مخلصين يذودون عن هذا الدين.

الفصل الأول:

الصفات الأساسية:

الإيمان: فالإيمان بالله تعالى هو القاعدة الصلبة التى ينطلق من خلالها الداعية فى ميدان دعوته، وفى معترك حياته، وهو الدافع المحرك للقوى الكامنة فى نفس الإنسان، وهو التصديق الجازم بأن الله تعالى رب كل شىء ومليكه وهو المستحق وحده للعبادة وهو المتصف بصفات الجلال والكمال اللائقة بجلاله وكبريائه.

وهو الذى استشعره حارثة بن سراقة رضي الله عنه ففى الحديث: بينما كان رسول الله ﷺ يوما فى طريق من طرق المدينة استقبله شاب من الأنصار يقال له: حارثة. فقال ﷺ: كيف أصبحت ياحارثة؟ قال: أصبحت مؤمنا بالله حقا، قال: إن لكل قول حقيقة فما حقيقة إيمانك؟ قال يارسول الله عزفت نفسى عن الدنيا، فأسهرت ليلى، وأظمأت نهارى، وكأنى أنظر إلى عرش ربى بارزا، وكأنى أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وإلى أهل النار يتعاوون فيها فقال ﷺ: **«عرفت فالزم، عبد نور الله قلبه بالإيمان. قال يارسول الله: ادع الله لى بالشهادة؟ فدعا له رسول الله ﷺ فقتل يوم بدر شهيدا».**

فجاءت أمُّه رسول الله ﷺ وهى تبكى وتقول: يارسول الله إنك تعلم منزلة حارثة منى، فإن يك فى الجنة أصبر.. فقال لها رسول الله ﷺ **أجنة هى؟ إنها جنان، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى، فذهبت وهى تقول: بخ بخ لك ياحارثة»** أخرجه البخارى وأحمد والترمذى.

قوة الصلة بالله:

فالداعية مرشد إلى الخير وموجه نحو الهدى.. وكل هدفه: تعريف الناس بخالقهم ليفوزوا بسعادة الدارين، وعلى الداعية أن يمتن صلته بالله تعالى، لتكون دعوته نابعة فى قوله وفعله.

فالاجتهاد فى الطاعات، والتقرب بها إلى الله عز وجل من أقوى أسلحة الدعاة ذلك؛ لأن للطاعات نورا ينعكس على وجوههم ووقارا وهيبة يدعوان الناس إلى احترامهم وتقديرهم.. وأقرب القربات وأعظم الطاعات: الواجبات المفروضة كالصلوات الخمس، والزكاة، وصيام رمضان، وحج البيت الحرام.. ولا يمد يده إلا إلى الحلال، ولا يعيش إلا فى الطاعة والرضوان.

الإخلاص:

والإخلاص روح كل عمل، وهو أمر فى أعماق القلب لا يطلع عليه أحد إلا الله تعالى.. ويتجلى الإخلاص عند الداعية الصادق فى كونه لا يريد من دعوته إلا وجه الله تعالى.. وعلامة الإخلاص: الانفعال بالدعوة والتحمس لها، وبذل أقصى الجهد فى تبليغها؛ ذلك لأن من أخلص لشىء أعطاه كل ما يملك فماله ووقته وجهده وفكره، وكل إمكاناته لابد أن تكون كلها فى خدمة الدعوة تحت تصرفها.

العلم:

وهذه الصفة من أهم الصفات اللازم توافرها فى الداعية، فليدع الداعية على علم وعلى هدى وبصيرة.

قال الله تعالى: **﴿قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾** يوسف: آية ١٠٨.

وقال عز وجل: **﴿قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾** الزمر: آية ٩.

وقال تعالى: **﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾** فاطر: آية ٢٨.

والداعية لابد من أن يعرف أحكام الشرع ليفتى بعلم يقينى.. فعن جابر ـ رضى الله عنهما ـ قال: خرجنا فى سفر، فأصاب رجلا منا حجر فشجه فى رأسه ثم احتلم، فسأل أصحابه، فقال: هل تجدون لى رخصة فى التيمم؟ فقالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء، فاغتسل فمات. فلما قدمنا على النبى ﷺ أخبر بذلك فقال: **قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا فإنما شفاء العى السؤال، إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر أو يعصب ـ على جرحه خرقة ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده»** أخرجه أبو داود.

استقامة السلوك:

فمن واجبات الداعية أن يتابع نفسه وروحه بما يصلحها ويزكيها، وعليه ألا يتساهل أو يلين فى مراقبتها ومحاسبتها لأن النفس أمارة بالسوء.. ودعوة الناس إلى الخير تقتضى أن يكون الداعية سباقا إلى الخير.. والاستقامة فى السلوك دليل الصدق العملى لدعوة الداعية وجزاؤه عند الله عظيم **﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولاتحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون﴾** فصلت: آية ٣٠.

القدوة الحسنة:

قد حث الإسلام أتباعه على الاقتداء بالصلحاء والشرفاء والعقلاء وفى مقدمة أولئك أنبياء الله ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ.

﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾ الأحزاب: آية ٢١.

إن الداعية إلى الله يكسب لدعوته بسلوكه الحسن وقدوته الطيبة أكثر مما يكسبه لها بأقواله اللبقة؛ لأن الناس ينظرون دائما إلى الدعاة كنماذج حية لما يدعون إليه، ويتأثرون بسلوكهم العملى أعظم مما يتأثرون بكلماتهم وخطبهم المثيرة.

الاعتزاز بالإسلام:

قال الله تعالى: **﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى**

الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين﴾ فصلت: آية ٣٣.

هذه الآية الكريمة تبين قدر الداعية من خلال انتمائه للإسلام، فتعلى قدره، وتجعله عزيزا على غيره، ولم يحصل له هذا الشرف وهذه المكانة بالنظر إلى جنسه أو لونه، لأنه ينتمى إلى هذا الدين الحنيف الخاتم ـ قولا وعملا وسلوكا.

قال الله تعالى: **﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾** آل عمران: آية ١٩.

والإسلام يذكى فى المسلم انتماءه لدينه؛ لينطلق المسلم وبالأخص الداعية من ثقة وقوة **﴿قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين* لا شريك له﴾** الأنعام: الآيتان ١٦٢، ١٦٣.

الحلم:

والحلم من أهم الأخلاق التى يتحلى بها الدعاة إلى الله.. ولقد ضرب قدوة الدعاة محمد ﷺ مثلا عظيما فى التحلى بصفة الحلم.. فقد كان مطبوعا على الحلم والعفو مع القدرة على الانتقام **﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾** الأعراف: آية ١٩٩.

وحلم الرسول ﷺ أوسع من أن يحاط بجوانبه، ولولا هذا الحلم بعد توفيق الله تعالى له لما استطاع أن يسوس شعبا كالعرب، يأنف أن يطيع أو ينصاع، أو يجرح **﴿ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله﴾** آل عمران: آية ١٥٩.

الرفق:

والرفق لين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل وهو ضد العنف.. ولقد تحلى قدوة الدعاة النبى الخاتم محمد ﷺ بالرفق فى أقواله وأفعاله مع من دعاهم إلى الله تعالى.

ولقد حث النبى ﷺ إلى التحلى بالرفق.. فيما روته أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن النبى ﷺ قال: **«إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف، وما لا يعطى على سواه»** أخرجه مسلم.

التواضع:

والتواضع من خير الخلال وأحب الخصال إلى الله وإلى الناس، وهو موجب للرفعة، وباعث على التآلف، ومحقق للحب والود.

لقد كان نبى الرحمة ﷺ وهو قدوة الدعاة قمة فى التواضع مع جميع الناس مع علو منصبه ورفعة رتبته وحسبنا أن الله تعالى خيره بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا.

وكان ﷺ كثيرا ما يعظ قومه ويقول: **«لن يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر»** أخرجه مسلم.

وجاءه رجل يرتعد يوم فتح مكة فقال له رسول الله ﷺ: **«هون عليك فإنى لست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد»** أخرجه ابن ماجة «القديد: اللحم المجفف».

فالتواضع يجعل الداعية محبوبا فى قومه، وبيئته ذا أثر فعال بينهم.

والكبر يشكل جدارا وحاجزا بين الداعية والناس، بل ويجعل الداعية معزولا عن مجتمعه غير مألوف ممن حوله.

التضحية:

إن الحق أبلج، لكنه يحتاج إلى دعاة صادقين، يحملونه طاهرا نقيا بغير شوائب إلى المحتاجين له، وإن الدعوة الإسلامية تطلب من أتباعها أن يصرفوا أنفس أوقاتهم، وأعز ما لديهم من جهد ووقت ومال فى سبيل خدمة هذا الدين.

ولقد ضرب الصحابة الكرام ـ رضوان الله عليهم ـ أروع الأمثلة فى تضحيتهم لدينهم، وحملهم لدعوتهم، فلم يبخلوا بنفس، ولا مال، ولا جهد، ولا وقت.

قال تعالى: **﴿ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد﴾** البقرة: آية ٢٠٧.

وقال الله تعالى: ﴿**من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا**﴾ الأحزاب: آية ٢٣.

صحبة الأخيار:

والداعية هو أولى من غيره فى صحبة المتقين الأخيار، ومعاشرة أصحاب القلوب الطيبة وأهل المعرفة السليمة.

قال رسول الله ﷺ: «**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**» أخرجه أحمد، وأبو داود، والترمذى.

والصحبة الخيرة تذكر رؤيتها بالله وبطاعته وعندها يتذكر الداعية قول الرسول الكريم ﷺ: «**إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية**» أخرجه أحمد وأبو داود والنسائى.

الغيرة:

وغيرة الداعية على دينه وعلى حرمات الله أن تنتهك من السمات الحسنة التى ينبغى أن يتحلى بها.

وغيرة المرء على دينه تقتضى أن تكون أحواله وأعماله وأفعاله كلها لله، وكذلك يغار على أوقاته أن يذهب منها وقت فى غير رضى الله.

عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**إن الله يغار وإن المؤمن يغار وغيرة الله أن يأتى المؤمن ماحرم عليه**» أخرجه البخارى ومسلم.

الأمل والثقة فى نصر الله:

مما ينبغى أن يستشعره الداعية ويؤمن به إيمانا راسخا ثقته فى سلامة الطريق التى يسلكها، وصدق الحق الذى يحمله، حتى يسير على طريق الدعوة بنفس مطمئنة، وثقة كبيرة فى انتصار هذه الدعوة لأنها محتوى الدين الذى هو الإسلام الذى ارتضاه الله للبشرية.. ﴿**إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد**﴾ غافر: آية ٥١.

الصدق:

الصدق من الصفات الأساسية التى تبين معدن الرجال.. وقد حث رسول الله ﷺ أتباعه المؤمنين بالتحلى بالصدق.. والصدق فى حد ذاته ملازم للإيمان، ومرتبط بالتقوى.. وينبغى على الداعية أن يكون صادقا فى كل أحواله حتى يقبل عليه الناس، ويقبلوا منه ما يدعوهم إليه.. والداعية المشتهر بالكذب يسقط اعتباره وتذهب مهابته ويصبح هملا فى سقط المتاع.

التيسير:

من الصفات التى تساعد الدعاة على الإيغال بدعوتهم بين الناس، معالجة الأمور باليسر والتيسير لا بالعسر والتعسير.

قال ﷺ: «**يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا**» أخرجه البخارى.

وسماحة الداعية ولينه وسهولة معشره، هى التى تفتح مغاليق القلوب، وتنفذ به إلى أعماق النفوس، يلامسها بالهداية فتقبل، ويدعوها إلى الخير فتستجيب، وهذا الخلق يجب أن يغطى مساحة حياة الداعية كلها وأن يكون ملازما له فى كل شأن من شئونه فى دعوته، وفى حياته اليومية وفى حياته العامة.

ولقد كان من سماحة الإسلام أن جعل أحكامه وتشريعاته مبنية على التيسير ورفع المشقة والحرج عن الأمة ﴿**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**﴾ البقرة: آية ١٨٥.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشىء من الدلجة**» أخرجه البخارى وغيره.

الصبر:

وهو حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى.. والداعية إلى الله تعالى فى أمس الحاجة إلى خلق الصبر.. ولقد ضرب لنا رسول الله ﷺ أروع الأمثلة فى صبره وشدة تحمله على ما أصابه فى طريق الدعوة فقد ألصقت به ﷺ

عبارات السوء فقالوا عنه: شاعر، وكاهن، وساحر، ويعلمه بشر.. وقد كسرت رباعيته وشج وجهه يوم أحد وصبر على ذلك روى سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه قال: قلت يارسول الله: أى الناس أشد بلاء؟ قال: الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى العبد على حسب دينه فإن كان فى دينه صلبا اشتد بلاؤه وإن كان فى دينه رقة ابتلى على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض وما عليه خطيئة» أخرجه ابن ماجة والترمذى.

قال رسول الله ﷺ: **«ما يصيب المؤمن من وصب (وجع لازم) ولا نصب (تعب) ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه إلا كفر به من سيئاته»** أخرجه مسلم.

الفصل الثانى: الصفات اللازمة:

التخطيط للدعوة:

والتخطيط الواعى للدعوة هو الذى يوصل إلى النتائج المثمرة بأقصر الطرق بعد توفيق الله تعالى، وهو الذى ينقل الدعوة من قالبها التقليدى الجامد إلى روح عصرية جديدة تستخدم أفضل الوسائل، وتستخدم أرقى الأساليب، وتفيد من وسائل الاتصال المعاصرة والتقنية الحديثة المتطورة لتصل إلى كل قلب من خلال محبوبات الناس ورغباتهم.

التجدد فى الأساليب:

إن مما ينبغى أن يعنى به الدعاة إلى الله فى مجال دعوتهم وميدان عملهم عدم اقتصارهم على أسلوب واحد يمله المستمع أو المدعو.

والقرآن الكريم لم يقتصر على أسلوب واحد فى عرضه دعوة الأقوام فمرة يسوق عرضه الدعوى بأسلوب الترغيب وأخرى بالترهيب، وتارة بأسلوب القصة، وتارة أسلوب المثل، ومرة بذكر أحوال الأمم السابقة وما حل بها ومرة بذكر بعض حقائق الغيب.

والداعية الناجح هو الذى يثير فى السامعين مشاعر الانتباه والاهتمام، ويحرك فى المجتمعين أحاسيس الانفعال والعاطفة، حتى لا يقع المدعو أو المستمع فى الملل.

وللدعاة فى رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة حيث اشتمل تبليغ دعوته للناس على أساليب متجددة منها: انتهاجه ﷺ أسلوب القصة، وانتهاجه ﷺ أسلوب الحوار وانتهاجه ﷺ أسلوب التعليم بالقدوة العملية، وانتهاجه ﷺ أسلوب ضرب المثل، وانتهاجه ﷺ أسلوب انتهاز المناسبات، وانتهاجه ﷺ أسلوب الالتفات إلى الأهم.

الإلمام بفنون القول والتبليغ:

وينبغى للداعية أن يتحدث باللغة العربية الفصيحة.. فمادة الدعوة وموضوعها يقومان على القرآن الكريم، والقرآن الكريم نزل بلسان عربى مبين، والاقتصاد فى القول بقدر الحاجة، والابتعاد عن التفاصح.. فعن عائشة - رضى الله عنها - قالت: كان كلام النبى ﷺ فصلا يفقهه كل أحد، لم يكن يسرده سردا. أخرجه أحمد وأبو داود.

انتهاز الفرص:

وعلى الداعية أن يكون على أهبة تامة لبذر الدعوة كلما واتته الفرصة وأن يحرص تمام الحرص على الابتعاد عن تضييع أى مناسبة صالحة لتقديم جهد مقدور لخدمة الإسلام.

ترتيب الأولويات:

يحسن بالداعية أن يعنى بالأهم فالمهم فالأقل أهمية.. وينبغى أن يعنى الداعية بتقديم ماهو أصل على ماهو فرع، فيقنع الناس به، ويحملهم على قبوله، فإذا ما استقر فى القلوب، واستجابت له النفوس انتقل إلى ماهو دون ذلك من أمور متأسيا برسول الله ﷺ حينما أنفق ثلاث عشرة سنة من عمره فى معالجة قضايا العقيدة، وبعض العبادات لينتقل بعد ذلك إلى معالجة ماهو فرع من السلوك العملى.

ولقد وضح رسول الله ﷺ الأولويات فى حديثه الذى يرويه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان» أخرجه البخارى ومسلم.

والداعية الحكيم هو الذى يراعى الأولويات من جهة، ويراعى عدم ملالة الناس من جهة أخرى، عن شقيق قال: كنا جلوسا عند باب عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ننتظره، فمر بنا يزيد بن معاوية النخعى فقلنا: أعلمه بمكاننا، فدخل عليه، فلم يلبث أن خرج علينا عبدالله رضي الله عنه فقال: إنى أخبركم بمكانكم، فما يمنعنى أن أخرج إليكم إلا كراهية أن أملكم، إن رسول الله ﷺ **«كان يتخولنا بالموعظة فى الأيام مخافة السآمة علينا»** أخرجه البخارى ومسلم.

إنزال الناس منازلهم:

من الأمور المهمة التى ينبغى على الداعية أن يراعيها وينتبه إليها، ويحرص على تطبيقها: إنزال الناس منازلهم، ومعاملتهم على حسب أقدارهم، وما ذاك إلا لتأليف قلوبهم، وجذب نفوسهم وشدهم إلى الإسلام، ولاسيما إذا كان المدعو حديث عهد بالإسلام، أو كان ذا منزلة مرموقة فى الناس، أو كان ذا نعمة معروفا بها، أو كان ذا كفر يرجى هدايته، أو كان ذا فسق يؤمل تقواه، أو كان ذا شيبة بلغ من الكبر عتيا.

ولقد سطر النبى ﷺ وهو قدوة الدعاة أروع الأمثلة العملية فى إنزال الناس منازلهم ومن ذلك:

أ ـ الاهتمام بسيد القوم والقيام له: روى أبو سعيد الخدرى رضي الله عنه أن سعد بن معاذ سيد الأوس رضي الله عنه لما دنا من المسجد، قال النبى ﷺ للأنصار «قوموا إلى سيدكم ـ أو خيركم» أخرجه البخارى ومسلم.

ب ـ إشباع حب الفخر فيمن يتطلع إليه: ذكر ابن هشام وغيره أن العباس رضي الله عنه أتى النبى ﷺ بعد أن أسلم أبو سفيان، وقال يارسول الله: إن أبا سفيان رجل يحب الفخر، فاجعل له شيئا قال: نعم من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن..».

ج ـ **مداراة السفهاء عند اللقاء بهم:** عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: استأذن على النبى ﷺ رجل فقال: ائذنوا له، فبئس أخوة العشيرة، أو بئس أخو العشيرة ـ فلما دخل: ألان له الكلام، فقلت له: يارسول الله قلت ما قلت، ثم ألنت له فى القول، فقال: «أى عائشة: إن شر الناس منزلة عند الله من تركه ـ أو ودعه ـ الناس اتقاء فحشه» أخرجه البخارى.

المخاطبة على قدر الفهم:

من لوازم الداعية أن يعى بمخاطبة الناس على قدر فهمهم وثقافتهم.

قال على بن أبى طالب رضي الله عنه **«حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله»** أخرجه البخارى.

وقال الشافعى ـ رحمه الله ـ: «لو أن محمد بن الحسن كان يكلمنا على قدر عقله ما فهمنا عنه ولكنه كان يكلمنا على قدر عقولنا فنفهمه».

إن الدعوة إلى الله تعالى ينبغى أن تعرض على نحو يوائم طباع الناس وباللغة التى يفهمونها على لسان رجل منهم، يخاطبهم بما يلامس أفئدتهم ويوافق أغراضهم لتحقيق الغاية من وجودهم.

استشعار فضل الدعاة ومكانتهم:

ينبغى على الداعية، وهو يسير فى طريق الدعوة الطويل الموحش الملىء بالأشواك والعقبات، أن يتذكر دائما فى يسره وعسره فضل دعوته وقيمتها ومنزلتها عند الله تعالى.. وينبغى على الداعية أن يتذكر تفضل الله ومنته عليه بأن هداه للإسلام، وأن جعله ممن أنار الله بصيرته، وتحمل قسطا من أمانة تبليغ هذا الدين، فالدعاة هم خير الناس وهم الشهداء على الناس وهم المفلحون فى الدنيا والآخرة، وهم أحسن الناس حديثا، والدعاة لا تنقطع أجورهم.

مفتى أوزبكستان لـ«منبر الإسلام»

انتشر الإسلام فى ربوع ما وراء النهر فأصبحت مراكز إشعاع لعلوم وحضارة الإسلام

عبدالرشيد قارى بهراموف
مفتى أوزبكستان

تعد جمهورية أوزبكستان من الجمهوريات الإسلامية الواعدة التى استقلت حديثا عن الاتحاد السوفييتى السابق، ونظرا لطول حكمه الذى استمر ما يقرب من سبعين عاما فقد تغيرت ملامح الحياة كثيرا فى هذا المجتمع، ولكن بعد حصول البلاد على الاستقلال رغبت هذه الجمهورية الوليدة فى إقامة علاقات مع العالمين العربى والإسلامى، ولاسيما أنها تمتلك الكثير من المقومات التى تساعدها على ذلك، فقد خرج منها خمسة من رواة الحديث الشريف بالإضافة إلى غناها بالآثار الإسلامية وإقبال شعبها على تعلم اللغة العربية، وقد التقت مجلة «منبر الإسلام» بمفتى أوزبكستان «عبدالرشيد قارى بهراموف» وكان هذا الحوار:

حوار: محمد كامل شاهين

ربوع أراضى ما وراء النهر «أوزبكستان» التى أصبحت مركز إشعاع للعلم والثقافة والحضارة الإسلامية وقد وصفها الثعالبى بـ«كعبة الملك» و«منجم علماء الزمان». وبعد أن استقلت أوزبكستان عن الحكم السوفييتى حصل المسلمون الذين يبلغ عددهم حوالى ٨٢٪ من ٢٥ مليون من السكان على حريتهم فى ممارسة شعائرهم الدينية.

●● بداية كيف دخل الإسلام أوزبكستان؟

- دخل الإسلام إلى أوزبكستان فى عهد «عمر ابن الخطاب» رضي الله عنه عندما أرسل الأحنف بن قيس لفتح تلك المناطق، ثم رسخ الإسلام فى عهد قتيبة ابن مسلم عندما زحف على بخارى بجيش كبير عابرا نهر جيحون وانتصر انتصارا باهرا موطدا دعائم الإسلام وبفضل المعاملة الحسنة التى لقيها أهل بخارى من قبل المسلمين انتشر الإسلام فى

●● كيف كان حال المسلمين فى أوزبكستان تحت حكم الاتحاد السوفييتى؟

- كان وضع المسلمين إبان حكم الاتحاد السوفييتى السابق سيئا للغاية، فالعديد من المساجد والمعاهد الدينية مغلقة، وكان لا يسمح بأداء فريضة العمرة والحج إلا لاثنين أو ثلاثة أفراد فقط من أوزبكستان كلها، أما الآن فقد تغير الحال بعد حصولنا على الاستقلال سنة ١٩٩١م، ففتحت الكثير من المساجد المغلقة وأنشئت مساجد جديدة حتى وصل عددها إلى أكثر من ألفى مسجد وأكثر من عشر مدارس دينية، كما بلغ عدد المعتمرين والحجاج ثمانية آلاف ما بين معتمر وحاج، واهتمت الدولة أيضا بإنشاء معهد الإمام البخارى والجامعة الإسلامية بطشقند.

الاحتفال بمرور أكثر من ١١٢٥ عاما على مولد الإمام البخارى

بعث الروح الإسلامية

●● بعد أن حصلت أوزبكستان على استقلالها وبدأت تستعيد مجدها الإسلامى العظيم نريد إلقاء الضوء على الجهود التى تبذلها الدولة فى خدمة الدعوة الإسلامية؟

- منذ أن تولى الرئيس إسلام كريموف الحكم دعا إلى بعث الروح الإسلامية وعمل على حث الشعب وخاصة الأجيال الناشئة على التشبث بالإسلام وأتباعه حتى تنشأ أجيال تفخر بأجدادها العظام الذين غرسوا الإسلام فى أرضهم، فقام بنشر الآلاف من الكتب الدينية وتعمير المساجد والمدارس التى كان الروس قد قاموا بتدميرها والاحتفال بالعلماء العظام وتحويل مزاراتهم إلى معالم حقيقية مثل مزار الإمام البخارى والنقشبندى وغيرهم والاحتفال بالأعياد الإسلامية والمناسبات الدينية المختلفة. كما تم افتتاح المجمع التذكارى للإمام البخارى سنة ١٩٩٨م، حيث تم الاحتفال بمرور ١١٢٥ عاما على ذكرى الإمام البخارى.

وتشجيعا من حكومة أوزبكستان - يضيف فضيلة المفتى - على بعث الروح الإسلامية تم افتتاح جامعة طشقند.. التى تعد إحدى المؤسسات التعليمية الإسلامية التى تعنى بدراسة إرث أجدادنا وفيها يتم دراسة ارتباط الإسلام بالعلوم الطبيعية وأدائها فى تنمية الثقافة واستقرار السلام فى البلاد.

توحيد الجهود

●● ما المطلوب من المسلمين فى ظل الظروف المحيطة بهم ومستجدات الأحداث المتلاحقة؟

- ينبغى على المسلمين أن يوحدوا جهودهم ويفوتوا الفرصة على أعدائهم حتى لا يستطيعوا النيل منهم ويعملوا على أن يسود الحب والتفاهم بينهم وينبذوا الخلافات جانبا وأن تحل جميع المشاكل بالطرق السلمية.

الحاضر الجديد

●● ما أهم المعالم الإسلامية التى تتميز بها أوزبكستان؟

- تتميز أوزبكستان بآثارها الرائعة فى «سمرقند» و«بخارى» و«خيوه» فى خوارزم التى

تضم آثارا رائعة البناء والتكوين بما تحتويه من زخارف ونقوش مثل ضريح الإمام البخارى فى قرية «خرتنك» على بعد ثلاثين ميلا من «سمرقند» حيث توفى ودفن بها سنة ٢٥٦هـ كما يوجد قبر «القثم بن العباس بن عبدالمطلب» الذى استشهد أثناء فتح هذه البلاد سنة ٥٧هـ، وهو ابن عم الرسول ﷺ، وكان الرسول ﷺ يقول عنه: **«القثم بن العباس أشبه الناس بى خَلْقا وخُلُقا».**

كما تتميز أوزبكستان بكثرة المعاهد الدينية والعلمية مثل المعاهد العلمية المتخصصة فى الرياضيات والكيمياء والطاقة الشمسية.. الخ.

ويوجد ثلاثمائة وثمانون معهدا منها مائة وعشرون معهدا بحثيا علميا تابعا لأكاديمية العلوم فى أوزبكستان، كما يوجد فى أكاديمية العلوم فى أوزبكستان معهد الاستشراق والذى يسمى باسم العالم الكبير «أبى الريحان البيرونى»، ويضم حوالى عشرين ألف مجلد، وهذه المجلدات مدونة باللغات العربية ـ التركية والفارسية، ولأهمية هذا المعهد يزوره عدد كبير من جميع أنحاء العالم للاطلاع على المخطوطات النادرة.

كما اهتمت الدولة بعد الاستقلال بقيمنا التاريخية وتقاليدنا العريقة وأزالت الكثير من الحواجز، وأدى ظهور الوعى الدينى إلى تأثيرات إيجابية على المجتمع وعلى العلوم والآداب.

ويمكن تقسيم الأعمال التى يجرى القيام بها لدراسة القيم الدينية فى اتجاهات ثلاثة:

الاتجاه الأول: ترجمة معانى القرآن الكريم والحديث الشريف إلى اللغة الأوزبكية وإصدارها وظهور العديد من المؤلفات التى تتحدث عن سيرة النبى محمد ﷺ وعن الصحابة والدعاة العظام، وظهور أبحاث حول موضوعات الدين وسيكون لهذا أثر كبير فى زيادة الوعى الدينى.

الاتجاه الثانى: إحياء التراث الروحى للشعب، تراث العلماء والمؤلفين، وبذلك يتم من الناحية العلمية تقييم حياة وإبداع أبناء أوزبكستان مثل: «الزمخشرى» و«الترمذى»، و«النقشبندى» وغيرهم.

الاتجاه الثالث: الاحتفال بأجدادنا العظام على الصعيدين المحلى والدولى، وبالإضافة إلى ذلك ظهر العديد من المؤلفات التى تتحدث عن حياة العلماء وأعمالهم، وتمجد القرآن الكريم والحديث الشريف.

علاقات متميزة

●● ماذا عن العلاقات المصرية الأوزبكية؟

ـ العلاقات المصرية الأوزبكية علاقات متميزة وتسير بخطى كبيرة، والسفارة المصرية لا تألو جهدا فى تقديم جميع أوجه التعاون للشعب الأوزبكى، كما أن هناك مركزا لتعليم اللغة العربية فى طشقند يؤمه العديد من الطلاب، بالإضافة إلى أن هناك العديد من الطلاب الذين يدرسون فى جامعات القاهرة والأزهر وعين شمس وغيرها من الجامعات المصرية، وإن دل ذلك على شىء إنما يدل على عمق العلاقات بين الدولتين.

●● هل سبق أن حصلت على جوائز من البلاد الإسلامية فى مجال حفظ القرآن؟

ـ حصلت على العديد من الجوائز فى حفظ القرآن الكريم من مصر والمغرب وماليزيا وأندونيسيا، كما كنت عضوا فى مجال التحكيم لاختيار المتسابقين فى حفظ القرآن الكريم فى هذه الدول.

●● أنجبت أوزبكستان العديد من العلماء الذين قدموا للإسلام والمسلمين خدمات جليلة فى مجالات عديدة، فهل من الممكن أن تلقى الضوء على هؤلاء العلماء؟

ـ أنجبت أوزبكستان علماء ملأوا الدنيا بعلمهم مثل «البخارى، ومسلم، والنسفى، والفارابى، وابن سينا، والخوارزمى» وغيرهم.

هذه هى جمهورية أوزبكستان.. تلك الدولة التى أسهمت بحق فى رفعة شأن الإسلام والمسلمين ومازالت تقدم الكثير والكثير من أجل الإسلام.

أمين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بالجماهيرية الليبية:

ندعو إلى خطة إسلامية تتعاون فيها كل المنظمات لنهضة الأمة

أكد الدكتور محمد أحمد الشريف أمين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بالجماهيرية الليبية الشقيقة أن الأمة الإسلامية تبوأت مكانة سامية بين شتى الأمم بعد أن شرفت بنعمة الإسلام، وجعلها الله أمة وسطا بين الأمم، ليكون المسلمون شهداء على الناس وعلى جميع الأمم.

وأن هذه المنزلة الرفيعة تجلت فى توحيد قبلة الصلاة لجميع المسلمين أينما كانوا مهما تباعدت أقطارهم، واختلفت أجناسهم وألوانهم، لذا كان للكعبة الأثر الأعظم فى جمع شمل الأمة وقوتها.

د. محمد أحمد الشريف
أمين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بليبيا

نحن فى حاجة إلى وقفة مع النفس ومراجعة ضمير وجهاد نفس ونظرة متفائلة للمستقبل

حوار
محسن عبدالفتاح

وأضاف أمين جمعية الدعوة الإسلامية بطرابلس الفاتح فى حوار معه حول شئون الأمة الإسلامية وقضاياها أن التقاء المسلمين فى هذه البقعة المباركة كل عام فى وقت معلوم والتى تهوى إليها الأفئدة، ويأتى إليها الناس من كل فج عميق حجاجا وعمارا، لهو أنبل مقصد وأشرف غاية يسعى إليها الإنسان فى أقدس بقعة وأطهر مكان. تحدوهم عناية الله وتجيش عواطفهم بالمحبة والخير، ويتدارسون فى رحاب الأيام المباركة أمور دنياهم ودينهم. ويعملون على التعارف والتواصل والتعاون على البر والتقوى.

■ أسس نهضة العالم الإسلامى:

وعن الأسس التى يجب أن تقوم عليها نهضة العالم الإسلامى بعدما صارت إليه الأمور من ضعف وفرقة وهوان التصق بهذه الأمة التى هى خير أمة أخرجت للناس، قال الدكتور الشريف: ما أحوج هذه الأمة - والأعداء متربصون بها - أن تعود إلى قيمها، وإلى رصيدها الحضارى، إلى قرآنها المجيد، الصالح لكل زمان ومكان، وإلى سنة نبيها وسيرته العطرة، وأن تعمل على تنظيم الصفوف وتكثيف الجهود، وهى محمودة جميعها مهما كانت ضآلتها ومحدوديتها مشيرا إلى أن المسلمين

اليوم هم فى أشد الحاجة إلى إعادة بناء البيت الإسلامى من الداخل، وإبعاد الصور غير الحقيقية التى يصور بها الإسلام اليوم، والتى يروج لها أعداء الإسلام عندما يلصقون صفات الإرهاب والتخلف بالمسلمين، وعلينا أن نتفق على إبراز نقاط الالتقاء ومحاصرة وتضييق نقاط الاختلاف، نحن فى حاجة إلى وقفة وإلى مراجعة ضمير، وإلى جهاد النفس، ولننظر للمستقبل بمرآة متفائلة، لا تشدنا السلبيات الثقال إلى الخلف، وقتها تتحقق نهضة العالم الإسلامى.

■ ضرورة تعاون الجميع:

وعن تداعيات أحداث سبتمبر على الإسلام والمسلمين أوضح الأمين العام لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية الليبية، أنه قد بذل المزيد من الجهد فى الأعوام الماضية على المستوى الرسمى والشعبى لتوضيح صورة الإسلام السمح وتكريمه للإنسانية على هذه الأرض، وحضه للتعاون بين الجماعات لإعمار هذا الكون. ومع ذلك فقد شهدنا خلال العام المنصرم المزيد من تشويه الصورة والعدوان على المسلمين فى المهجر، وفى أرض الإسلام كما يحدث فى فلسطين وأفغانستان.

لقد أعقب أحداث سبتمبر غضبة أصابت المجتمع الأمريكى من هذا الحدث المستنكر وبغض النظر عن هوية الفاعلين والتى لم تتأكد بعد بالدليل القاطع، استنكرت الحكومات والمنظمات العربية والإسلامية هذه الأحداث وأبدت تعاطفها مع شعب الولايات المتحدة، واستعدادها للتعاون مع كل عمل من شأنه الحد من العنف، والقضاء على الإرهاب، غير أنه مع مرور الوقت اشتدت الحملات الطائشة، وتزايدت أعمال التحرش والاعتداء على الجاليات الإسلامية المقيمة. واستغلتها بعض وسائل الإعلام من قبل أعداء الإسلام لإذكاء نيران الحقد وتزايد مساحة العداء ضد الإسلام والمسلمين. بل لم تتورع حملة البهتان أن توجه ضد دول عربية وإسلامية عرفت بالاعتدال والالتزام بروح الإسلام السمحة، كل ذلك أخذ يؤكد الرأى القائل أن هذه الحملة تستهدف الإسلام دينا وعقيدة، من هنا فإننا ندعو إلى خطة إسلامية جادة بتعاون كل المنظمات والروابط المنطوية تحت مظلة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة لمواجهة هذه الهجمة، والتصدى لهذا الافتراء الموجه للإسلام والمسلمين وذلك عن طريق:

على الأمة العودة إلى القيم الدينية والرصيد الحضارى وتنظيم الصفوف لنهضة العالم الإسلامى

- تحقيق الحد الأقصى من التنسيق بين المؤسسات الإسلامية فى البرامج والخطط، وهذا يتطلب العمل على إنشاء جهاز للمتابعة والإنجاز فى مجال الدعوة والدعاة.

- التعاون فى إنجاز برامج مشتركة مع المؤسسات الدينية فى الدول الغربية الراغبة فى الحوار والالتقاء على أرضية من الندية والمساواة والأخوة الإنسانية وهذا ما سعت إليه منظمات المجلس حيث التقت وفود إسلامية وأجرت حوارات مع المؤسسات الأهلية والرسمية الغربية.

- ضرورة العمل على تقوية المؤسسات الإعلامية الإسلامية وتطوير الرسالة الدينية لتخاطب العقل الغربى ومنها الأجهزة الإعلامية التابعة للمجلس الإسلامى العالمى.

عين الشك واتساع الفجوة!:

إن ممارسة التمييز بين الجاليات الإسلامية فى المجتمعات الغربية والتضييق عليها وتوجيه الاتهامات إليها، وتشويه الرسالة الثقافية التى تسعى لها هذه التجمعات الإسلامية، والعمل على رفع حدة التوتر بين العالم الإسلامى والدول الغربية، والنظر بعين الشك لأنشطة وبرامج المنظمات الإسلامية التابعة للمجلس الإسلامى العالمى والتى يستفيد بها المسلمون فى شتى أنحاء العالم، ليزيد من الهوة ويوسع من الفجوة بيننا وبين الشعوب الغربية، يجعل المسلم وكأنه يقف فى قفص الاتهام، والإسلام والمسلمون من كل هذا براء! ومن حقنا أن نجتمع فى إطار منظمة المؤتمر الإسلامى لتأكيد حقيقة هذا الدين، ونوضح موقفنا ونظهر الحقيقة فالكل مستهدف، ولن يستبعد أحد من هذه الهجمة الشرسة ضد المسلمين.

الصورة الحقيقية:

تصادف أن يكون المؤتمر الرابع عشر للمجلس الأعلى الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة هذا العام أن بدأ اجتماعاته فى ذكرى مرور عام على أحداث سبتمبر بالولايات المتحدة الأمريكية، ما أهمية هذه المؤتمرات وفائدتها، وأهمية هذا اللقاء فى هذا التوقيت بالذات؟

- يقول د. الشريف لا يخفى على أحد أهمية مثل هذه المؤتمرات وفائدتها الكبرى للدعوة الإسلامية حيث يلتقى عدد من المسئولين الرسميين من رؤساء المنظمات الإسلامية وممثليهم من شتى بقاع الأرض لتدارس أحوال المسلمين واحتياجاتهم فى مجال الدعوة الإسلامية وأعمال الخير من معونات وتبرعات وهبات من أجل إنشاء مشروعات اقتصادية ومؤسسات تجارية تعمل على تحسين أوضاع التجمعات الإسلامية فى شتى المناطق التى تعانى من صعوبة العيش الكريم، وتوفير الحد الأدنى لمقومات الحياة الطيبة.

ضرورة العمل على تقوية المؤسسات الإعلامية وتطوير الرسالة الدينية لمخاطبة العقل الغربى

كذلك نبحث فى كيفية مد يد العون والمساعدة لمن يتعرض من المسلمين لكوارث طبيعية - لا قدر الله - أو يعانى من نكبات تحول دون مواصلة الحياة بشكل طبيعى، فنعمل على توفير المعونات العاجلة من مواد طبية وغذائية وخيام وأغطية وكل ما يحتاجه الإنسان فى مثل هذه الظروف.

أما عن أهمية هذا اللقاء بالخصوص فى هذا التوقيت بالذات يقول الأمين العام لجمعية الدعوة الإسلامية الليبية، إن الإسلام والمسلمين يتعرضون فى هذه المرحلة الراهنة لحملة ظالمة تستهدف العقيدة والأوطان، وتترتب عليها قرارات سياسية وعسكرية ضد دول إسلامية، ناهيك عن الحملة الباغية ضد المنظمات الإسلامية الدعوية والخيرية، وبعضها أعضاء فى المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة، بهدف تحريض الحكومات الإسلامية ضدها والتضييق على مواردها ونشاطها الإسلامى خدمة للتبشير والصهيونية، وإبقاء العالم الإسلامى ساحة فارغة للاستغلال

الدينى والسياسى، كل ذلك وغيره يوضح أهمية هذه اللقاءات الدولية للمنظمات الإسلامية مع غيرها من منظمات الغرب لتوضيح موقف الإسلام البناء من المشكلات العالمية، وهدفه فى تحقيق الأخوة العالمية والتعاون والسلام القائم على العدل، وشرح القضايا الإسلامية العادلة، وعلى رأسها قضية فلسطين.

أول من دعا للحوار:

ونحب هنا أن نذكر بالمناسبة أن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية الليبية كانت من أولى المنظمات الإسلامية التى دعت إلى لغة الحوار بين المنظمات الإسلامية والمؤسسات الدينية الغربية إيمانا منها بأهمية هذه اللقاءات فى توضيح الصورة الحقيقية لدى الآخر، وقد دعونا فى هذا الخصوص منذ منتصف السبعينيات من القرن الماضى إلى لقاء عقد بالعاصمة الليبية طرابلس بين علماء مسلمين ورجال دين مسيحى من الفاتيكان تحاورنا فيه حول نقاط الاتفاق بين الأديان خاصة الإسلام والمسيحية باعتبار أن مصدرهما الإلهى واحد. واستبعاد نقاط الخلاف بين رؤية رجال كل من الديانتين.

ولقد لمسنا أن الاتصال المباشر يحدث أثره فى إزالة اللبس والشكوك ودحض التهم الزائفة التى يشيعها أعداء الإنسانية الذين يعملون ويروجون لصدام الحضارات، وإغراق العالم فى فتن وحروب ليس لها ما يبررها.

وعن دور جمعية الدعوة الإسلامية فى التقريب بين الأديان وإرساء مبادئ الحوار قال الدكتور الشريف: إن المجلس العالمى للدعوة الإسلامية مقره الرئيسى بالعاصمة الليبية طرابلس الفاتح تنتمى إليه أكثر من خمسمائة مؤسسة على مستوى العالم، وله مجلس تنفيذى كل القارات ممثلة فيه، ومحور انطلاق أعماله يتمركز فى أوروبا وأمريكا. وبحسب الإمكانيات المتوافرة لدينا إعلاميا وثقافيا، أقمنا بعض الندوات المتميزة التى أتاحت فرصة للتعرف عى الإسلام السمح، وهيأت لإقامة حوار مع الجهات والطوائف المنوعة من أهل الدين المسيحى، الأمر الذى رسخ علاقات طيبة مع الجميع.

خطة طموح:

لقد وضع المجلس العالمى للدعوة مجموعة من الخطط والبرامج ـ فى اجتماع استثنائى بعد أحداث سبتمبر ـ لمخاطبة الشعوب الأوروبية لتوضيح وتصحيح صورة الإسلام وتخطى هذه المرحلة الحرجة وإزالة سوء الفهم. وفى هذا الصدد أعددنا أشرطة تليفزيونية تضم عددا من اللقاءات مع مسئولين أوروبيين وقد تحاوروا بموضوعية وإنصاف وعبروا عن نبذهم للصدام والخلاف وتأييدهم للحوار والتفاعل، وقررنا أن نوزع هذه الأشرطة على القنوات الأوروبية المختلفة حتى نخاطب المجتمعات الأوروبية بألسنة مسئوليهم.

إضافة إلى الوفود التى تم تشكيلها وتوجهت إلى العديد من الدول الأوروبية والآسيوية والأفريقية لشرح حقيقة الإسلام، وإبعاد تلك الصورة الزائفة التى تحاول بعض وسائل الإعلام الغربى إلصاقها بالإسلام.

لقد أخذت الجماهيرية الليبية على عاتقها منذ بزوغ فجر ثورة الفاتح العظيم فى الأول من سبتمبر ١٩٦٩م ومن خلال مؤسساتها الدينية وعلى رأسها جمعية الدعوة الإسلامية العمل على نشر الإسلام السمح ومد يد الخير للغير مسلما كان أو غير مسلم.

وراء الأخبار

منير بيومى

الإمام الأكبر شيخ الأزهر ووزير الأوقاف فى افتتاح الموسم الثقافى للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

قضية القدس ليست محلية وتحرير المسجد الأقصى مسئولية كل المسلمين

الإمام الأكبر وعن يساره وزير الأوقاف ومفتى الجمهورية وعن يمينه رئيس جامعة الأزهر فى افتتاح الموسم الثقافى

تصوير : سيد الزفزاف

للعام السادس على التوالى يواصل الموسم الثقافى الذى ينظمه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمسجد النور بالعباسية مسيرته كمعلم من معالم الإشعاع الدينى والثقافى فمن خلال اللقاءات المتعددة يؤكد ويوضح قيم الإسلام ومبادءه ويسهم فى إنعاش الوعى الدينى الصحيح فيغرس القيم النبيلة والفضائل العظيمة والثقافة الرصينة فى قلوب الجماهير

وقد واكبت أولى محاضرات الموسم الثقافى التى ألقاها فضيلة الامام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر فى ذكرى الإسراء والمعراج فتحدث عن الدروس المستفادة منه وكيف أنه كان اختيارا للمؤمنين فى قوة إيمانهم وتمسكهم بدينهم قال فضيلة الإمام الأكبر.

للذكريات قيمتها فى حياة الأمم فهى تنبه الغافل وترشد وتزيد المؤمنين إيمانا على إيمانهم وثباتا على ثباتهم، فالقرآن الكريم اهتم بالحديث عن الأحداث المهمة وسجلها وأرشد المؤمنين إلى ما فى هذه الأحداث من عظات وعبر ودروس.

جوانب الإعجاز فى الإسراء والمعراج

وأضاف الإمام الأكبر: إن القرآن الكريم عندما يسجل تلك الأحداث ومنها الإسراء والمعراج إنما يريد منا أن نأخذ بالأسباب ونستلهم المعانى السامية ونتدبر المغزى والمعنى من هذه الأحداث.

على المسلمين أن يأخذوا بالأسباب ويستلهموا الدروس والعبر من الأحداث التى سجلها القرآن الكريم

وتناول فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر التوجيهات المتعددة وجوانب الإعجاز فى حادث الإسراء والمعراج التى وردت فى قوله تعالى: **﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾** فقد نقل الله سبحانه وتعالى عبده ورسوله محمدا ﷺ من مكة إلى القدس فى جزء من الليل حيث قال: «ليلا» بصيغة التنكير والتعبير القرآنى «أسرى بعبده» أخذ منه العلماء أن الإسراء كان بالروح والجسد لأن لفظ العبد لايطلق على الروح فقط ولا الجسد فقط إنما يطلق على الروح والجسد معا.

وفى مقام التحدى والتعجيز للناس جميعا أمام هذا الحادث يقول الإمام الأكبر: إن القرآن الكريم يصف النبى ﷺ بوصف كريم فى قوله تعالى: **﴿وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾**.

التكريم والتشريف

إن ما تعرض له النبى ﷺ من ألوان الاعتداء والاستهزاء والمقاطعة يفوق الوصف كل ذلك تحمله النبى ﷺ وتضرع إلى الله بالدعاء طالبا مرضاته فالأحداث التى سبقت الإسراء والمعراج - يقول فضيلة الإمام الأكبر - بعد مضى عشر سنوات قضاها النبى ﷺ فى مكة يدعو الناس إلى إخلاص العبادة لله تعرض فى تلك الفترة إلى ألوان من الترغيب والترهيب والمساومة والاستهزاء بل والمقاطعة والاعتداء والجدال بالباطل وقد ماتت زوجه خديجة وعمه أبو طالب فيذهب إلى الطائف كالمستجير من الرمضاء بالنار يجد من أولئك الذين ذهب إليهم الاستهزاء والأذى والتطاول يسلطون عليه صبيانهم يقذفونه بالحجارة ويعود الرسول ﷺ إلى مكة بعد هذه الرحلة الشاقة فى تلك الفترة العصيبة الأليمة

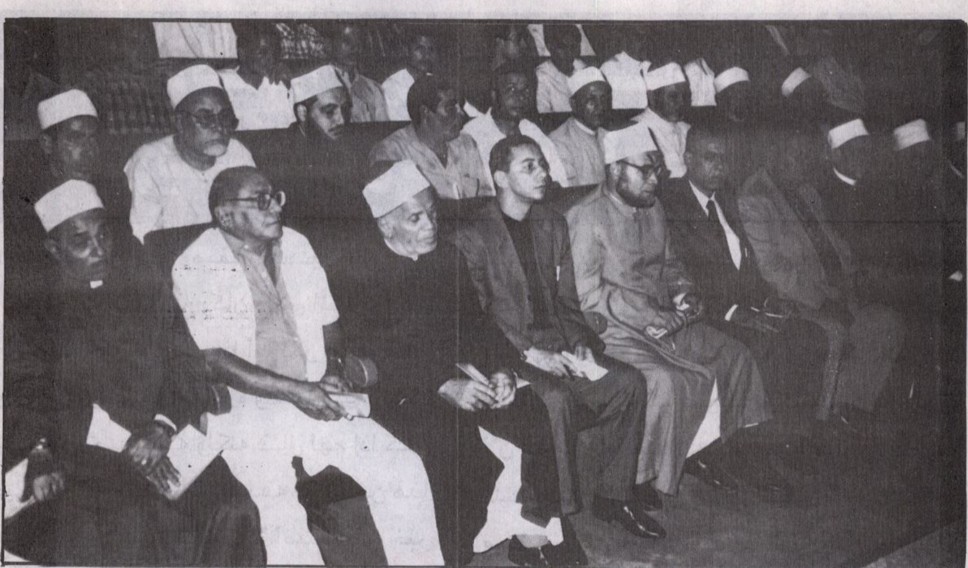

جانب من العلماء والشباب يتابعون المحاضرة

وبعد وفاة زوجه خديجة وعمه أبى طالب يأتى حادث الإسراء والمعراج ليكون تشريفا وتسلية وتسرية عن قلبه ﷺ وكأن الله عز وجل يقول لنبيه ﷺ: يامحمد إن ضاقت بك الأرض فلن تضيق بك السماء ولإن كان بعض أهل الأرض قد كذبوك ولم يعرفوا مقدارك فنحن الذين نعرف مقدارك.

الأخذ بالأسباب

ويضيف الإمام الأكبر: ما أحوج المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها إلى الدروس المستفادة من حادث الإسراء والمعراج فى الأخذ بالأسباب فالله سبحانه وتعالى قادر على أن ينقل نبيه متى شاء وحيث شاء إلى ما يشاء فى أقل من لمح البصر واختار الله لنبيه ﷺ دابة هى البراق وهى كما قرأنا تضعُ حافرها حيث ينتهى بصرها.

فاقتضت سنة الله أن يجعل لكل شىء سببا بدليل البراق، والله قادر على أن ينقل نبيه بدون براق أو غيره وهذا أمر ليس صعبا على الخالق سبحانه وتعالى.

صراع بين الحق والباطل

ويؤكد فضيلة شيخ الأزهر أن من بين الدروس التى يجب أن نعيها من الإسراء والمعراج أن الحياة معركة بين الحق والباطل، وبين الخير والشر، وبين الفضائل والرذائل، بين الإيمان والشرك منذ فجر الإنسانية فقد قتل قابيل هابيل عندما كانت الإنسانية مكونة من أسرة واحدة.

تحدى المشركين

ونجد بعض المشركين يقولون للرسول ﷺ على سبيل التحدى: صف لنا بيت المقدس ويكشف الله تعالى لنبيه بيت المقدس فيحدثهم عنه ويصفه لهم

الحياة صراع بين الحق والباطل والمؤمنون هم الذين يثبتون على الحق فى كل الأحوال

وكلما ذكر الرسول ﷺ وصفا للمسجد يقول أبو بكر: صدقت يارسول الله وكان بعض المشركين قد ظنوا أنهم إذا حدثوا سيدنا أبا بكر عما قاله الرسول ﷺ عن حادثة الإسراء والمعراج ربما يشك أو يتردد فى تصديقه ولكنه قال لهم إذا كان صاحبى قد قال ذلك فأنا أصدقه بأكثر من هذا أصدقه فى خبر السماء فكيف لا أصدقه فى خبر الأرض.

الثبات على الحق:

ويؤكد شيخ الأزهر أن العقلاء من الناس فى كل زمان ومكان الذين صفت نفوسهم وقلوبهم وخلصت نواياهم وحسنت صلتهم بخالقهم يثبتون على الحق مهما حدث من أحداث لأنهم باعوا أنفسهم لله تعالى وعاهدوه على أن تقوم حياتهم على الإيمان والعمل الصالح مشيرا إلى أن الذى يريد أن ينجح فى مسعاه لابد أن يجتهد ويتعب ويبذل الكثير فالذين يريدون النجاح بدون عمل هم واهمون، والذين يريدون النصر بدون تضحية وكد هم واهمون لأن النصر يأتى بمباشرة الأسباب والعزيمة الصادقة والإخلاص فى العمل وبالتخطيط الجيد والنظرة المستقبلية فما أحوج المسلمين اليوم فى مشارق الأرض ومغاربها إلى الدروس المستفادة من الإسراء والمعراج.

فى ختام اللقاء أكد الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية أن للمسجد الأقصى مكانة عظيمة فى قلوب المسلمين وقد قرنت آية الإسراء المسجد الحرام بالمسجد الأقصى مما يترتب عليه مسئولية كبيرة تقع على عاتق المسلمين فى العالم لأن حرمة المسجد الحرام عند المسلمين كحرمة المسجد الأقصى التى يجب أن تصان فنحن مسئولون عن حماية المسجد الحرام وبنفس القدر المسجد الأقصى.

وأشار الدكتور زقزوق إلى أن التعامل مع قضية المسجد الأقصى طوال العشر سنوات الماضية تم على أساس أنها قضية فلسطينية أو على الأكثر على أنها قضية عربية ولكن الواقع يؤكد أنها قضية إسلامية بالدرجة الأولى وأمانة فى أعناق المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها وقال: إن هناك سبلا كثيرة لاستعادة الحق السليب فالقضية ليست حربا بالحناجر ولكن هناك وسائل متعددة للمساعدة لإنقاذ إخواننا الفلسطينيين فى كل مكان فى الأرض المحتلة والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وانفسكم﴾ الصف: آية ١١، وقدم الله تعالى المال على النفس وهذا له دلالة لإن أخواننا فى فلسطين ليسوا فى حاجة إلى رجال يحاربون معهم وإنما هم فى حاجة إلى مدد وعون مادى يستطيعون به أن يصمدوا وأن يواصلوا مسيرتهم حتى نسترد الأقصى.

شباب مصر يشارك فى المسابقة الدولية لحفظ القرآن الكريم بمكة المكرمة

تشارك مصر فى أعمال المسابقة الدولية لحفظ القرآن الكريم وتفسيره وتلاوته والتى تعقد بمكة المكرمة خلال المدة من ١٢ إلى ٢٠ أكتوبر الحالى، وقد تم اختيار خمسة من شباب مصر للمشاركة فى فروع المسابقة الخمسة وهى المسابقة الرابعة والعشرون وتشمل:

- حفظ القرآن الكريم كاملا مع التجويد والتفسير للجزء الحادى والعشرين.
- حفظ القرآن الكريما كاملا مع التلاوة والتجويد.
- حفظ عشرين جزءا متتالية مع التلاوة والتجويد.
- حفظ عشرة أجزاء متتالية مع التلاوة والتجويد.
- حفظ خمسة أجزاء متتالية مع التلاوة والتجويد وحسن الصوت.

وصرح الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية أن مصر تشارك سنويا فى هذه المسابقة بنخبة من أفضل شبابها، وقال: إن المسابقة اشترطت أن يلتزم المتسابق أصولها والالتزام بالرواية التى يختارها فى أثناء المسابقة وأن يكون لدى المتسابق فى الفرع الأول القدرة على التفسير باللغة العربية الفصحى وألا يكون قد اشترك فى المسابقة من قبل، وألا يكون من مشاهير القراء، ولا يحق له تغيير فرع المسابقة الذى اختاره أو الاعتذار عن مواصلة الاختبارات مادام قد وصل إلى المملكة العربية السعودية، وأضاف أن الشباب الذين تم اختيارهم للاشتراك فى المسابقة تم اجراء الاختبارات اللازمة لهم فى الحفظ والتلاوة والتفسير والتجويد وحسن الصوت أمام لجنة شكلت من كبار العلماء فى القرآن الكريم وعلومه.

والمتسابقون هم: محمد ماهر عبدالمجيد عبدالعزيز - الفرع الأول، أحمد محمد جمعة - الفرع الثانى، محمد عبدالله السيد سليمان - الفرع الثالث، محمد حسن محمود إبراهيم - الفرع الرابع، محمود محمد عبدالفتاح - الفرع الخامس، وقد كلف الدكتور محمود حمدى زقزوق فضيلة الشيخ عبدالعظيم جنيدى روبى - مدير عام الإدارة العامة لشئون القرآن الكريم لمرافقة المتسابقين، والشيخ سيد عبدالمجيد شيخ مقرأة المسجد الكبير بالقليوبية للاشتراك فى لجنة تحكيم المسابقة.

مؤتمر للبنوك الإسلامية فى واشنطن

شهدت العاصمة الأمريكية واشنطن الشهر الماضى فعاليات مؤتمر البنوك الإسلامية الذى عقد تحت رعاية المجلس العام للبنوك الإسلامية. بهدف تحقيق المزيد من التواصل مع الرأى العام الغربى وتعريف المجتمع الغربى بأسس ومزايا العمل المصرفى الإسلامى. حيث ركزت الندوات وأوراق المؤتمر على شرح المفاهيم والأحكام المتعلقة بالخدمات المالية الإسلامية، وذلك فى إطار المساعى المبذولة للكشف عن مختلف جوانب الحضارة والفكر الإسلامى.

دعم التعاون بين الأوقاف وماليزيا فى مجالات الدعوة

أكد الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية استعداد وزارة الأوقاف تقديم كل أوراق التعاون الدينى لمسلمى ماليزيا معربا عن عمق الروابط التى تجمع بين حكومتى وشعبى مصر وماليزيا.

جاء ذلك خلال استقبال الوزير للحاج حمزة بن رملى - مدير الشئون الدينية ورئيس المجلس الإسلامى بولاية «جوهر» الماليزية والوفد المرافق له من ٢٠ مسئولا، ضم نائبه ومفتى الولاية وأعضاء المجلس الإسلامى والمسئولين عن الأوقاف والزكاة وشئون المساجد والدعوة الإسلامية والبحوث الدينية والدراسات الإسلامية بجامعة تكنولوجيا ماليزية.

وقال الوزير: إن الأوقاف على استعداد لدعم وتنشيط التعاون من خلال مجالات الدعوة الإسلامية الصحيحة واستثمار أموال الوقف، وتدريب الدعاة لتأهيلهم لحمل رسالة الإسلام السمحة إلى كل ربوع العالم من خلال إعداد الدعاة فى دورات تدريبية متعددة والتأكيد من خلال اللقاءات والندوات فى المساجد والأندية على حقيقة الإسلام ونبذه للإرهاب والتطرف، والتعامل مع الإسلام كدين عالمى للبشرية يحض على التسامح ويرفض العنف ويشجع على العمل المثمر البناء.

هذا وقد التقى الوفد والشيخ محمد زيدان وكيل أول الوزارة رئيس القطاع الدينى الذى استعرض مهام وأنشطة وزارة الأوقاف فى مصر والهيئات التابعة لها موضحا هذه الأنشطة والجهود المستمرة فى مجال الدعوة الإسلامية وانتشارها فى الداخل والخارج وتنظيم الدورات التدريبية للدعاة.

بريطانيا ترحب بفكرة إنشاء بنك إسلامى

رحبت الهيئة التى تتولى تنظيم القطاع المالى فى بريطانيا بفكرة إنشاء بنك للمعاملات الإسلامية.

وأكد رئيس هيئة الخدمات المالية هوارد ديفز فى مؤتمر عن التمويل الإسلامى فى «اليستر» أن السوق تعانى من نقص فى الأوعية الاستثمارية الخاصة بقطاع التجزئة المصرفى الإسلامى والتى من الممكن أن تخدم ما يصل إلى نحو مليونى مسلم فى المملكة المتحدة.

وأضاف لم نتلق بعد أى طلب رسمى بفتح بنك إسلامى رغم أننا ندرك أن البعض مهتم بذلك. ويرى ديفز أن بريطانيا لديها مصلحة اقتصادية فى ضمان قيام سوق مالية إسلامية فى لندن إلا أن هيئة الخدمات المالية لن تنظر فى الطلبات من أى مؤسسات إسلامية بصورة مختلفة عن الطلبات من أى مؤسسة أخرى، وأشار ديفز قائلا: سنرحب بأى مؤسسة تتمتع بتمويل سليم وإدارة إسلامية مالية حصيفة فى هذا البلد لأن ذلك سيكون فى صالح العملاء المسلمين، وفى صالح الابتكار والتنوع فى أسواقنا وفى صالح لندن باعتبارها مركزا ماليا عالميا.

جدير بالذكر أن هناك حوالى ١,٨ مليون مسلم مقيمون إقامة دائمة فى المملكة المتحدة، وتقدر مدخراتهم بحوالى مليار جنيه استرلينى، ويقدر محللون قيمة السوق العالمية للأعمال التمويلية والمصرفية الإسلامية بما يتراوح بين ٢٠٠، ٥٠٠ مليار دولار وهى تنمو بمعدل يتراوح بين ١٠٪، ١٥٪ سنويا.

يا قدس صبرا

شعر: زكريا عبد المحسن على سيد

ياقُدسُ صبرا فإنَّ الحقَّ مِقدامُ ... مَهْمَا طَغَى برحابِ الطُّهْرِ إظلامُ

كَمْ من عدوٍّ سعى للشرقِ مغتصبًا ... أرضَ النبيين، بالتخريب قد هاموا

(حطينُ) ترسلهم صَرعى حماقتهم ... والحقُّ فيها عَلا حُفَّت به الهامُ

هذا هو المسجدُ الأقصى بطلعتهِ ... يَسْمو فَتِيًّا، به التوحيد بَسَّامُ

شارونُ يحلمُ بالأمجادِ تصحبهُ ... فَهَلْ تَطيبُ لِوَجْهِ الشرِّ أَحْلامُ؟!

ليلا نهارا لهيبَ الظلم نشهدهُ ... يُصْلِي الديارَ وكلُّ الغربِ قد صاموا

عن الشهادة للأطفال تخرجهم ... مِنْ قبضةِ الشرِّ فالأهلونَ قد ناموا!!

فى مهد غانية تلهو بعقلهمو ... والمالُ أضحىٰ رئيسًا، فِيهِ خُدَّامُ!!

النارُ تأكل زهرا فى نضارتهِ ... وَيَمْتطى ظَهْرَ هَٰذِي الأرض إيلامُ!!

سَلْ بيت حانون هل أمسى ببهجتهِ ... يَوْمًا؟ وَهَلْ صافحَ الإشراقَ إنعامُ؟!

وسل أريحا عن الآمال كم ذُبحتْ؟ ... وكم طَغَتْ برياضِ القدسِ أقوامُ؟!

هَٰذى الخليلُ تُذيق الكفر ثورتها ... تمضى جهادًا على الكفار إعدامُ

وغَزَّةُ ارتجفت من هول صاعقةٍ ... تُذْرِي الديار وكل الناسِ صُوَّامُ؟!

أنَّ الفؤادُ فهذا الخطبُ أفجعهُ ... وَطُؤْطِئَتْ أَسفًا من خِزيِها الهامُ

قالوا نُدمِّرُ إرهابًا يروعنا ... فهل نضالُ الوَرَىٰ بالحقِّ إجرامُ؟!

جُنْدُ القرود بسيفِ الحقدِ قد ضَرَبَتْ ... تَهْوَى العُلا ببريقِ الوهمِ قد هاموا!!

والطائرات إلى الأحزان قد نُدِبَتْ ... تفنى ربيعًا مِنَ الأطفالِ قد قاموا

إلى الجهاد بأحجارٍ مُسَوَّمةٍ ... عَلَىٰ العِدَا ويضمُّ القلبَ إقدامُ

يلقون قهرًا من الأعداء مُلْتَهِمًا ... عُمْرًا نَدِيًا ويكسو الدُّورَ إظلامُ

تطغى جنودٌ لإسرائيل سافرةً ... وَيَلْتَقى فِعْلَهَا بالحُبِّ حاخَامُ!!

فمجلسُ الأمنِ غضَّ الطرفَ فى عجَبٍ ... كأنَّ عَدْلَ الوَرَىٰ فى الأرضِ أوهامُ

ياقدسُ صبرًا فإنَّ الله ناصِرُنا ... لَسَوْفَ تعلو بساحِ القدسِ أعلامُ

الأخوة في الإسلام

شعر: عمر موسى البرعي

إن الأخوة فى الإسلام إيثار ... والعرف فيها لحسن الخلق أكبار
والله بالفضل فى التبيان قدسها ... فيها من الدر والياقوت أسرار
آخى بها المصطفى طابت مناقبه ... واستبشرت برضاء الله أنصار
تحول الناس من ضيق إلى فرج ... تغشاهم فى سماء الحب أنوار
إن الأخوة للإنسان مرحمة ... تصبوا إليها بعين الحرص أنظار
فيها من الربح آلاء مقدسة ... يحظى بها من عطاء الله تجار
فهى الأمان لنيل الحب فى أمل ... يسعى لها فى سبيل الخير أحرار
إن الأخوة إيثار وتزكية ... الحب فى ظلها الفينان مدرار
يسمو بها المرء للأمجاد فى ثقة ... فضلا به لعطاء الله إقرار
فيها المحبة بين الناس قد وجبت ... يعيش فى ظلها المحمود أخيار
إن الأخوة بين الناس مكرمة ... يرنو لها من كبار الناس أبرار
فهى السبيل لدرء السوء عن وطن ... بها تزول عن الأوطان أخطار
إن الأخوة تثبيت لمرتبة ... الحب فيها لنيل المجد أشعار
بها الخلائق تحيا فى سعادتها ... يئن منها لسوء الخلق أشرار
إن الأخوة فى الإسلام واجبة ... نادى بها فى ظلال الحب أقمار
فيها العلاقة بين الناس واطدة ... والفيض فيها بفضل الله أنهار
يمضى إليها كرام الخلق فى عجل ... لها من الخلق أعلام وأنصار
فيها التعاون يسمو فى مراتبه ... بها تهل من الخيرات أمطار
إن الأخوة عرفان بمرحمة ... فيها من اليمن والإجلال أفكار
فهى السبيل لنيل الفضل فى سعة ... بدونها الأمر إهمال وإهدار
نادى بها المصطفى المختار فى حكم ... لها تنكر بالأحقاد كفار
إن الأخوة تهذيب لمجتمع ... فيها من الذكر والتوحيد إكثار
فاجنح إليها بحب واستظل بها ... فللأخوة بين الناس آثار
أعل البناء بها فى كل مرحلة ... حتى تزول من البنيان أضرار
تجنب الشر والأشرار تبصرة ... ولا يقدك إلى التضليل فجار
واختر صديقك بالأخلاق ملتزما ... إن البناء عليها ليس ينهار
تأس بالمصطفى الهادى وشرعته ... فالحب فيها لوجه الله إيثار

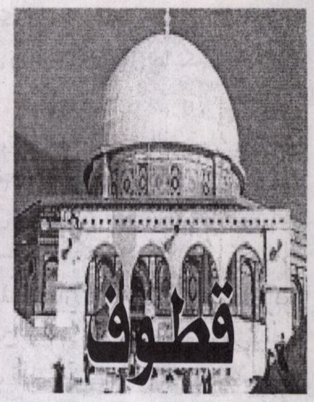

تحويل القبلة

تمر بنا هذه الأيام ذكرى الشهور العطرة والأيام المباركة، ونحن الآن نتنسم عطر شهر شعبان الذى تحولت فيه القبلة من بيت المقدس الذى بارك الله حوله إلى بيت الله الحرام الذى جعله الله قبلة للناس أينما كانوا قال الله تعالى: ﴿قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون﴾ البقرة: آية ١٤٤.

خضرة رشاد

عن أبى إسحاق عن البراء ﵁ أن رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت (أى البيت الحرام) وأن أول صلاة صلاها الرسول هى صلاة العصر، وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صلى معه فمر على أهل المسجد وهم راكعون فقال أشهد بالله لقد صليت مع النبى ﷺ قبل مكة فداروا كماهم قِبل البيت وكان الذى قد مات على القبلة قبل أن تحول قِبل البيت لم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله تعالى قوله جل وعلا **﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم﴾** البقرة: آية ١٤٣.

الحديث انفرد به البخارى من هذا الوجه ورواه مسلم من وجه آخر عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة أمره الله أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها رسول الله ﷺ بضعة عشر شهرا. وكان رسول الله ﷺ يحب قبلة إبراهيم ﵇، فكان يدعو الله وينظر إلى السماء. فأنزل الله تعالى **﴿فولوا وجوهكم شطره﴾** أى نحوه فارتاب من ذلك اليهود وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها؟

فأنزل الله قوله تعالى: **﴿قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم﴾** البقرة: آية ١٤٢.

ووقع عند النسائى من رواية أبى سعيد بن المعلى أنها الظهر.

وقد جاء فى هذا الموضوع أحاديث كثيرة ومجمل القول أنه قد كان رسول الله ﷺ أمر باستقبال الصخرة من بيت المقدس فكان بمكة يصلى بين الركنين وهو مستقبل صخرة البيت المقدس فلما هاجر إلى المدينة تعذر الجمع بينهما فأمره الله بالتوجه إلى بيت المقدس قاله ابن عباس والجمهور.

***

وحكى القرطبى فى تفسيره عن عكرمة وأبى العالية والحسن البصرى أن التوجه إلى بيت المقدس كان باجتهاده - عليه الصلاة والسلام - والمقصود أن التوجه إلى بيت المقدس بعد مقدمه ﷺ المدينة، واستمر الأمر على ذلك بضعة عشر شهرا وكان ﷺ يكثر الدعاء والابتهال أن يوجه إلى الكعبة التى هى قبلة إبراهيم ﵇، فاستجاب الله له وأمره بالتوجه إلى البيت العتيق فخطب رسول الله ﷺ الناس وأعلمهم بذلك وكانت أول صلاة صلاها إليها هى صلاة العصر كما تقدم فى الصحيحين من رواية البراء.

***

ولله در الشاعر الذى يقول فى بيت المقدس:

إلى البيت المقدس حيث أرجو

جنان الخلد نزلا من كريم

قطعنا فى مسافته عقابا

وما بعد العقاب سوى النعيم

ولله در الشاعر الذى قال فى بيت الله العتيق:

ويوم تولى وجهة البيت ناظرا

وسيما فكان البشر والقسمات

على كل باب فى الحجاز ملائك

تزف تحايا الله والبركات

لدى الباب جبريل الأمين براحه

رسائل رحمانية النفحات

وزمزم تجرى بين عينيك أعينا

من الكوثر المعسول منفجرات

وذكر غير واحد من المفسرين أن تحويل القبلة نزل على رسول الله ﷺ وقد صلى ركعتين من الظهر، وذلك فى مسجد بنى سلمة فسمى مسجد القبلتين.

وفى حديث نويلة بنت مسلم أنهم جاءهم الخبر بذلك وهم فى صلاة الظهر قالت:

فتحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال ذكره الشيخ عمر بن عبدالبر النمرى، وأما أهل قباء فلم يبلغهم الخبر إلى صلاة الفجر من اليوم الثانى، كما جاء فى الصحيحين عن ابن عمر - رضى الله عنهما - أنه قال: بينما الناس فى قباء فى صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة وبذلك قد هدى الله المسلمين إلى قبلة إبراهيم خليل الرحمن وجعل توجههم إلى الكعبة المبنية على اسمه تعالى وحده لا شريك له أشرف بيوت الله فى الأرض، إذ هى بناء إبراهيم الخليل عليه السلام، ولهذا قال الله تعالى: **﴿لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم﴾** البقرة: آية ١٤٤.

عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ يعنى فى أهل الكتاب أنهم لا يحسدوننا على شىء كما يحسدوننا على يوم الجمعة التى هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى القبلة التى هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى قولنا خلف الإمام آمين. رواه أحمد.

وقال تعالى: **﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾** البقرة: آية ١٤٣.

يقول الله تعالى: إنما حولناكم إلى قبلة إبراهيم عليه السلام واخترناها لكم لنجعلكم خيار الأمم لتكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم لأن الجميع معترفون لكم بالفضل.

لا خلاف بين العلماء أن الكعبة قبلة فى كل أفق وأجمعوا على أن من شاهدها، وعاينها فرض عليه استقبالها، وأنه إن ترك استقبالها وهو معاين لها وعالم بجهتها فلا صلاة له وعليه إعادة كل ما صلى.

***

اسم الله الأعظم

ويستجيب الله للدعاء وما أحلى الدعاء إذا امتزج بالصدق والإخلاص ويبتهل فيه العبد إلى بارئه فناداه وهو قريب يجيب دعوة الداع إذا دعاه وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد، وقدسمع رسول الله ﷺ رجلا يقول: اللهم إنى أسألك بأنك.أنت الله الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، فقال ﷺ: **لقد سألت الله باسمه الأعظم الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى.**

***

قول مأثور

قال على بن أبى طالب رضي الله عنه وأرضاه وكرم الله وجهه: الخير كله مجموع فى أربعة فكل نطق لا يكون فى ذكر الله فهو لغو، وكل صمت لا يكون فى فكر فهو سهو، وكل نظر لا يكون فى عبرة فهو غفلة، وكل حركة لا تكون فى تعبد لله فهى فترة، فرحم الله عبدا جعل نطقه ذكرا، وصمته فكرا، ونظره عبرا، وحركته تعبدا، ليسلم الناس من لسانه.

المراجع:

١ - تفسير ابن كثير جـ١.

٢ - تفسير القرطبى جـ١.

٣ - الأنابيش، أ. عبدالرحمن الضبع، جـ٢.

٤ - اللمع لابن نصر السرج الطوسى.

٥ - من أزاهير الشعر الإسلامى، عبدالحميد كشك.

أنت تسأل والفقيه يجيب

فضيلة الشيخ
عطية صقر

فاظفر بذات الدين

السؤال من القارئة، منى عدلى عبد الرحمن، من السيدة زينب، بمحافظة القاهرة، تقول: أرجو شرح الحديث النبوى الشريف: قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «تنكح المرأة لأربع، لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك» ولماذا جاء ذكر الدين مؤخرا؟

الجواب: هذا الحديث فيه خبر وإنشاء، أى فيه إخبار عما يهتم به الناس عند الزواج وهو المال والجمال والحسب والدين، وأخر ذكر الدين لقلة الاهتمام به عند العرب، بل وعند غيرهم، ثم فيه إنشاء أى أمر بالاهتمام بالدين، لأنه أفضل من الاهتمام بالأمور الدنيوية السائدة وقد صرح فى حديث آخر بأن الاهتمام بالأمور الدنيوية دون الدينية قد يجىء من ورائه التعب الشديد، أما الاهتمام بالدين فلن يكون فيه ـ عند العقلاء المنصفين ـ تعب شديد، فقد روى الطبرانى حديث **«من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلا، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقرا، ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلا دناءة، ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغض بصره ويحصن فرجه أو يصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه»** وجاء مثل ذلك أو قريب منه فى رواية ابن ماجة..

اليمين الغموس

السؤال من القارئ عاطف عبد المجيد من ـ أبو كبير ـ محافظة الشرقية، يقول: ماهو اليمين الغموس وماذا يجب علي الإنسان إذا حلف به؟

الجواب: اليمين الغموس أى التى تغمس صاحبها فى النار هى اليمين الكاذبة المتعمدة التى تهضم بها الحقوق أو يقصد بها الغش والخيانة، وإن كان بعض الفقهاء خصها بالتى تكون فى ساحة القضاء، لأنها تضلل العدالة.

وهى من الكبائر وكفارتها التوبة النصوح التى لا تتم إلا بردِّ الحقوق إلى أصحابها أو عفوهم عنها، ومع التوبة قال الشافعى وأحمد: فيها كفارة، لأنها كذب، روى أحمد أن النبى ﷺ قال: **«خمس ليس لهن كفارة، الشرك بالله وقتل النفس بغير حق، وبَهتُ مؤمن ـ أى بالتهمة ـ ويمين صابرة يقطع بها مالا بغير حق».**

وروى البخارى أن النبى ﷺ قال: **«الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس»** وروى أبو داود أن النبى ﷺ قال: **«من حلف على يمين مصبورة ـ أى ألزم بها ـ كاذبا فليتبوأ مقعده من النار».**

صبغ الشعر

السؤال من القارئة، س. ع. أ، بمحافظة كفر الشيخ، تقول:

هل يجوز دهان الشعر بصبغة بها مادة عازلة حماية له، وما الحكم إذا لم يصل ماء الوضوء إلى الشعر والجلد؟

الجواب: دهان الشعر أو طلاء الأظافر بمادة عازلة لحمايتها لا مانع منه، فهو من باب التداوى أو التزين، وهما مشروعان بالتحفظات الموضوعة لعدم منافاتها للدين، وقد كان العرب قبل الإسلام يختضبون بالحناء والكَتَم، يلونون بهما الجلد والشعر والأظافر، وأقره الإسلام، بل ندب إليه النبى ﷺ أحيانا، مع التحفظ فى صبغ الشعر باللون الأسود للرجال، روى أبو داود بسند حسن أو صحيح أن امرأة أتت تبايع النبى ﷺ ولم تكن مختضبة، فلم يبايعها حتى اختضبت، وله روايات متعددة.

وَجَرْيًا على سنة التطور وجدت أنواع كثيرة من الزينة مع قواعد منظمة لها، ومنها طلاء أظافر الكفين وأظافر القدمين، وهو مادة لها جرم قد يكون رقيقا وقد يكون كثيفا ولايزول بسهولة، فقد يكشط بآلة حادة، وقد يذاب ببعض الأحماض،

وقد أجمع الفقهاء على وجوب إيصال الماء إلى جسم الإنسان مباشرة فى الوضوء والغسل، إلا لضرورة كجرح يضره الماء، ومن هنا قالوا بتخليل الأصابع وتحريك الخواتم ليصل الماء إلى الجلد، فلابد من وصول الماء إلى كل ما يجب غسله، وقد جاء فى «فقه المذاهب الأربعة» اتفاق علماء المذاهب الأربعة فى شروط صحة الوضوء على عدم الحائل المانع من وصول الماء إلى البشرة، كشمع ودهن وعجين ونحوها، ومنه عُماص العين، والأوساخ المتجمدة على العضو.

ولاشك أن دهان الشعر أو طلاء الأظافر مادة لها جرم كالشمع والعجين فلابد من إزالتها ليصل الماء إلى ما كان مستورا بها.

ولا يصح أن يقاس الطلاء على الجبيرة فيكتفى بالمسح عليه دون ضرورة إزالية، ذلك لأن الجبيرة وضعت لعذر وهو تضرر العضو من الماء، أما الأصابع والشعر فلا يوجد عذر يُخَول المسح عليها.

هذا، وإذا كانت هناك أظافر صناعية فلابد من نزعها لتغسل الأظافر الأصلية.

صلاة من أصيب بتلف فى الجهاز العصبى

السؤال من القارئ، ل. م. ن. من محافظة القاهرة يقول:

كيف يصلى من أصيب بتلف فى الأعصاب فى النصف الأسفل من الجسد وقد تسبب له ذلك فى عدم التحكم فى الإخراج، وماذا فى حالة تركيب مايعرف بالأسترة للبول؟

الجواب: الذى لا يتحكم فى البول أو الغائط معذور، وللعلماء خلاف فى ذلك، فقال الشافعية: يجب على صاحبه التحفظ بما يمكنه، فإن فعل ذلك ثم توضأ ثم خرج شىء فهو غير ضار فى إباحة الصلاة بهذا الوضوء لغرض واحد مع النوافل، ومع الموالاة بين الاستنجاء والوضوء والصلاة وذلك بعد دخول الوقت.

وقال المالكية: لا ينتقض الوضوء إذا عجز عن علاج نفسه، والحنفية أباحوا له الصلاة وقتا كاملا مع الفرائض والنوافل، والخلاصة أن هذا المعذور يعمل ما يستطيع من الاحتياطات.

المصحف وغير المختون

السؤال من القارئ، ع. ل. م، من محافظة القليوبية، يقول:

هل يجوز لغير المختون أن يمس المصحف؟

الجواب: لا علاقة بين الختان ومس المصحف، فالختان واجب أو سنة لأنه من علامات الدخول فى الإسلام كما رواه أحمد وإن كان فيه كلام، ومن فروع ذلك سؤال أثاره العلماء: هل يجوز لغير المسلم أن يمس المصحف أو يحمله؟ «القرطبى ج١٧ ص٢٢٧» والجمهور على ألا يمس المصحف إلا طاهر كما قال تعالى: **﴿إنه لقرآن كريم* فى كتاب مكنون* لا يمسه إلا المطهرون﴾** الواقعة: الآيات ٧٧ - ٧٩، وقد اتفق الأئمة على حرمة حمل المصحف ومسه للحائض والنفساء والجنب ولم يخالف فى ذلك أحد من الصحابة، لكن جوزه داود وابن حزم الظاهرى، كما قال جمهور الفقهاء بحرمة مس المصحف وحمله لغير المتوضئ، واستثنوا الصبيان الذين لم يبلغوا الحلم لحاجتهم إلى حفظ القرآن وتيسيره عليهم.

الرقيــة الشــرعيــة

السؤال من القارئ محمد أحمد محمد، من محرم بك بمحافظة الإسكندرية، يقول: ماهى الرقية الشرعية وهل يجوز أخذ أجرة بعد أن يرقى بها المريض؟

الجواب: الرقية كلمات يقولها الناس لدفع شر أو رفعه، أى يحصنون بها أنفسهم حتى لا يصيبهم مكروه، أو يعالجون بها مريضا حتى يبرأ من مرضه، وكان العرب قبل الإسلام يعتقدون أنها مؤثرة بنفسها دون تدخل لقدرة أخرى غيرها، وكان موقف الإسلام منها هو تصحيح الخطأ فى الاعتقاد، وتقرير أنه لا تأثير لها إلا بإرادة الله تعالى، وكذلك رفض الكلمات التى تتنافى مع العقيدة الإسلامية الصحيحة، فإن كانت كلماتها مقبولة مع اعتقاد أن أثرها هو بإرادة الله تعالى كان مسموحا بها، مثلها مثل الدعاء أو الدواء، وبهذا يمكن أن نفهم ما جاء من نصوص رافضة أو مجيزة لها.

فمما ورد فى رفضها حديث البخارى ومسلم عن الذين يدخلون الجنة بغير حساب الذى جاء فيه «هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون»، وفى رواية لمسلم زيادة «ولا يرقون» فالراقى وطالب الرقية مذمومان، وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه دخل على امرأته وفى عنقها شىء معقود، فجذبه فقطعه ثم قال: لقد أصبح آل عبدالله أغنياء أن يشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن الرقى والتمائم والتِّوَلة شرك» قالوا: يا أبا عبدالرحمن، هذه الرقى والتمائم قد عرفناها فما التولة؟ قال: شىء تصنعه النساء يتحببن إلى أزواجهن»** رواه ابن حبان فى صحيحه والحاكم وصححه.

ومما ورد فى إجازتها:

أ ـ حديث الصحيحين من رقية بعض الصحابة بفاتحة الكتاب لسيد الحى الذى لدغ فشفاه الله. ثم أقرهم النبى ﷺ على فعلهم وما أعطاه إياهم هذا السيد، وبين أن العلاج بكتاب الله أحق أن يؤخذ عليه الأجر.

ب ـ حديث الصحيحين عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ: أمر النبى ﷺ أن نسترقى من العين.

جـ ـ حديث الصحيحين، كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه نفث فى كفيه بقُل هو الله أحد والمعوذتين، ثم يمسح بهما وجهه وما بلغت يده من جسده.

د ـ حديث الصحيحين: أنه ﷺ كان يعوذ بعض أهله، يمسح عليه باليد اليمنى ويقول: **«اللهم رب الناس أذهب الباس، واشف أنت الشافى لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقما»**.

هـ ـ ما رواه مسلم أن جبريل عليه السلام أتى النبى ﷺ فقال: يامحمد اشتكيت؟ قال: **«نعم»** فقال جبريل: **باسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك، باسم الله أرقيك.**

و ـ ما رواه مسلم أنه ﷺ قال: **«من نزل منزلا فقال أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق لم يضره شىء حتى يرتحل من منزله ذلك»**.

ز ـ ما رواه مسلم عن أنس أن النبى ﷺ رخص فى الرقية من الحمة والعين والنملة.

ح ـ ما رواه مسلم أن النبى ﷺ قال لعثمان بن أبى العاص لمَّا اشتكى إليه وجعا يجده فى جسده

منذ أسلم «ضع يدك على الذى تألم من جسدك وقل: **بسم الله، ثلاثا**، وقل سبع مرات: **أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر**».

ط ـ ما رواه أبو داود أنه ﷺ أذن للشفاء بنت عبدالله أن ترقى من النملة بعد أن عرضت عليه، وقال «**لا بأس بها**» والنملة بكسر الميم بُثورٌ فى الجنبين، والحمة ضرر ذوات السموم.

ى ـ ما رواه ابن ماجة أنه ﷺ أذن لعمارة بن حزم فى الرقية من الحية بعد أن عرضت عليه وقال «لا بأس بها».

قال النووى فى شرح صحيح مسلم فى الجمع بين الأحاديث الناهية عن الرقى والمجيزة لها: إن المنهى عنه هو الرقية بكلام الكفار، والرقى المجهولة والتى بغير العربية ومالا يعرف معناها، فهى مذمومة لاحتمال أن معناها كفر أو قريب منه أو مكروه، وأما الرقى بآيات القرآن والأذكار المعروفة فلا نهى عنها بل هى سنة «ج١٤ ص١٩٦».

وقد روى مسلم عن النبى ﷺ «**اعرضوا علىَّ رقاكم، لا بأس بالرقى مالم يكن فيها شرك**»، وقال ابن حجر فى «فتح البارى»: أجمع العلماء على جواز الرقية عند اجتماع ثلاثة شروط، أن تكون بكلام الله أو بأسمائه أو صفاته، وباللسان العربى أو بما يعرف معناه من غيره، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها، بل بتقدير الله «انظر ـ نفثات صدر المكمد للسفارينى ج٢ ص٦٤٢».

الحسد والقدر

السؤال من القارئ، رضا أحمد عبدالمجيد، من ـ أبو كبير ـ بمحافظة الشرقية، يقول:

هل من الحديث ما يقال: «كاد الحسد أن يغلب القدر كاد الفقر أن يكون كفرا»؟

الجواب: الحسد بالعين حقيقة ملموسة لا ينكرها أحد، وقد روى مسلم أن النبى ﷺ قال «**العين حق، ولو كان شىء سابق القدر لسبقته العين**»، وقد اتخذ النبى ﷺ لها إجراء وقائيا وإجراء علاجيا، فقد روى الترمذى وصححه أن أسماء بنت عميس قالت: يارسول الله، إن بنى جعفر تصيبهم العين أفأسترقى لهم؟ قال «**نعم ولو كان شىء يسبق القضاء لسبقته العين**».

وذكر ابن القيم فى كتابه «زاد المعاد ج٣ ص١١٦» عدة أحاديث فى هذا الموضوع وقال: إن عقلاء الأمم على اختلاف مللهم ونحلهم لا تدفع أمر العين ولا تنكره وإن اختلفوا فى سببه ووجهة تأثير العين، وذكر وجهات نظر مختلفة وتفسيرات لكيفية الإصابة بالعين. وذكر العلاج مستوحى من الأحاديث النبوية مع أدعية تفيد فى هذا الموضوع».

وروى مالك أن عامر بن ربيعة رأى سهل بن حنيف يغتسل فقال: والله ما رأيت كاليوم ولا جلد مُخَبَّأة، قال: فَلُبِطَ سهل، فتغيَّظ الرسول على عامر وقال: «علام يقتل أحدكم أخاه، ألا برَّكت، اغتسل له فغسل له عامر وجهه، ويده ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه داخلة إزاره فى قدح ثم صب عليه فراح مع الناس.

أما حديث «**كاد الفقر أن يكون كفرا وكاد الحسد أن يكون سبق القدر**» فقد رواه أبو نعيم فى «الحلية» وأحمد بن منيع عن أنس، كما قاله السيوطى فى جمع الجوامع، وفيه حث على عدم حسد الإنسان غيره بعينه، وحث على الكفاح والجد لتحصيل العيش المناسب، وعدم الرضا بالقليل مع سهولة العثور على الكثير، بناء على حديث مسلم «**احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز**».

صوت المرأة

السؤال من القارئ.. محمد سيد إبراهيم، من محافظة الشرقية، يقول:

يقول بعض الناس: إن صوت المرأة عورة، فهل معنى ذلك أنها لا تتكلم مع الرجال مطلقا، للتعليم وقضاء المصالح؟

الجواب: صوت المرأة فيه نُقُولٌ مختلفة عن الفقهاء، فبعضها يفيد أنه عورة على الإطلاق، وبعضها يفهم منه أنه ليس بعورة على الإطلاق ويمكن التوفيق بينها على الوجه الآتى:

إن صوت المرأة فى حد ذاته ليس بعورة، ولو أنه كان عورة فى كل حال لكان ذلك تكليفا فيه عسر، والدين يسر، فهى فى حاجة إلى الحديث والتفاهم فى شئون شتى مع غيرها من الرجال والنساء، وإنما العورة فى لينه وإغرائه، كما قال تعالى لنساء النبى ﷺ: **﴿فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا﴾** الأحزاب: آية ٣٢، فلم يمنعهن الكلام مطلقا - بل أباحه إذا كان معروفا لا يحمل سوءا، ومنعهن الخضوع به حتى لا يطمع الذى فى قلبه مرض وسوء.

ومما يدل على ذلك أن كثيرا من الصحابيات سألن النبى ﷺ عن أحكام الدين بحضرة الرجال الأجانب، وكان الصحابة يكلمونهن وهن يكلمنهم، وحادثة رد المرأة على عمر فى المسجد مع الرجال، على عدم المغالاة فى المهور معروفة، فعمر على شدة غيرته لم ينكر عليها ذلك.

يقول الغزالى: إن صوت المرأة فى غير الغناء ليس بعورة، ويقول القرطبى: ولا يظنن من لا فطنة عنده أننا إذا قلنا: صوت المرأة عورة أنا نريد بذلك كلامها، لأن ذلك ليس بصحيح فإنا نجيز الكلام مع النساء الأجانب ومحاورتهن عند الحاجة إلى ذلك. ولا نجيز لهن رفع أصواتهن ولا تمطيطها ولا تليينها وتقطيعها لما فى ذلك من استمالة الرجال إليهن وتحريك الشهوات منهم. أ. هـ

ومع ذلك فإن من المستحسن أن يكون الكلام بين الجنسين فى أضيق الحدود، وفى أمور لا تجر إلى الفساد، فإن من طبيعة صوت المرأة الرقة، وفيها قدر من الفتنة ولو انضم إلى هذه الرقة الطبيعية رقة أخرى زادتها فتنة، وذلك ما يحتاط له الشرع، ولهذا كره لها قراءة القرآن بصوت مرتفع. كما لم يشرع لها الآذان إلا للنساء فقط دون رفع صوتها، وإذا نابها فى الصلاة شىء تريد أن تنبه عليه لا تسبح، يعنى لا تقول كما يقول الرجال: سبحان الله - بل تصفق كما ورد ذلك فى صحيحى البخارى ومسلم.

هذا ومما يطمع من فى قلبه مرض ضحك المرأة أمام الأجانب، وبخاصة بعض الضحكات المثيرة، ومثله الابتسامة المغرية - وكل ذلك صيانة للشرف ومنع للفتنة.

التسمية بعزيز وكريم وسيد

السؤال من القارئ، سيد إبراهيم من العمرانية الغربية، يقول:

يقول بعض الناس: إن تسمية الولد باسم عزيز أو كريم أو سيد حرام، لأن هذه الأسماء من أسماء الله تعالى. فهل هذا صحيح؟

الجواب: إن اختيار الأسماء الحسنة مطلوب شرعا، وقد وفيت ذلك فى الجزء الرابع من موسوعة (الأسرة تحت رعاية الإسلام) وبخصوص ما جاء فى السؤال جاء فى تفسير القرطبى (ج٤ ص٧٧) عند شرح قوله تعالى عن يحيى (وسيدا) أن فى ذلك دلالة على جواز تسمية الإنسان «سيدا» كما يجوز أن يسمى: عزيزا أو كريما، وكره العلماء التسمية بهذه الأسماء إذا كانت معرفة بأل، مثل: العزيز - الكريم - السيد.

التلقيح الصناعى وأطفال الأنابيب

السؤال من القارئة أ. ن. ع من محافظة القليوبية، تقول:
بعد مدة طويلة من الزواج لم أرزق بمولود، وتبين من الفحص أن عندى انسداد فى القناة التى توصل بين المبيض والرحم، وأشاروا علىَّ بتلقيح البويضة فى أنبوبة وإعادتها إلىَّ، فهل هذا حرام؟

الجواب: لقد تطور العلم وحقق للزوج والزوجة ما يشبعان به عاطفة الأبوة والأمومة، وذلك بوسائل متعددة منها ما يعرف بالتلقيح الصناعى، والناس حياله ما بين مؤيد ومستنكر، وخلاصة القول فيه من وجهة النظر الإسلامية أن بويضة الزوجة لو لقحت بنطفة زوجها بصرف النظر عن كون هذا التلقيح حصل مبدئيا فى رحم الزوجة واستمر النمو حتى الوضع، أو حصل أولا فى أنبوبة ثم أعيدت البويضة إلى الزوجة ليتم نموها إلى حيث قدر لها، فلا مانع من ذلك شرعا، لأن التلقيح حصل بين الزوجين، وتدخل الطبيب بتهيئة الأسباب للإخصاب ليس فيه تعارض مع قدرة الله الخالق لكل شىء، فالطبيب لم يخلق البويضة ولا النطفة، وإنما أزال العوائق والحواجز التى حالت دون التقائهما، فهو أشبه بالفلاح الذى يأخذ حبوب اللقاح من ذكر النخلة ليضعه فى طلع النخلة، وليس فى هذه العملية نزاع ولا خلاف بين الزوجين فى نسبة المولود إليهما.

أما إذا كان التلقيح بنطفة غير نطفة الزوج فهو محرم دون جدال، لأن فيه صورة الزنا الذى تختلط به الأنساب، سواء عرفت هذه النطفة أو جهلت، فذلك هو البهتان الذى يفتريه النساء بين أيديهن وأرجلهن، وبايعهن النبى ﷺ على عدم التورط فيه.

ويشبه هذا فى التحريم نقل البويضة المخصبة من زوجين وإيداعها فى رحم امرأة أخرى ليتم نموها، وهو المعروف بالرحم المؤجر، لأن مجرد دخول النطفة إلى رحم الأجنبية حرام، فكيف بدخولها مع البويضة؟ وسيكون النزاع قويا على نسبة هذا المولود، أتكون للزوجين صاحبى البويضة أم للتى حملته وولدته؟

فعلى من يتشوقون إلى الإنجاب أن يراعوا هذه الحدود، وأن تعمل كل الاحتياطات حتى لا تلوث العملية بمادة أجنبية، وألا يتورطوا فيما فيه شبهة إن لم يكن مقطوعا بحرمته.

حضانة البويضة أو الرحم المؤجر

السؤال من القارئ محمد أحمد طارق، من محافظة القاهرة، يقول:
ما رأى الدين فيما يطلق عليه الآن اسم «الرحم المؤجر»؟

الجواب: لاشك أن الزنا محرم فى جميع الأديان السماوية، وله فى الإسلام عقوبة شديدة، ولإقامة الحد على الزانى والزانية وضعت شروط شديدة ودقيقة، غير أن هناك صورا يتحقق بها ما يتحقق بالزنا أو تقاربه إلى حد كبير، منها إدخال المرأة ماء رجل غير زوجها فى فرجها، فقد يحصل منه حمل تختلط به الأنساب ويثور النزاع، ولذلك حرم العلماء هذه الصورة كما حرموا غيرها. وإذا كان إدخال الماء الأجنبى - وهو أحد المادتين اللتين يحصل منهما الحمل - حراما حتى لو لم يتم به حمل، فكيف بإدخال المادتين معا مع تحقق الحمل منهما؟ إن الحرمة أشد، وتكون الحرمة - كما قال العلماء - من باب أولى. هذا، وقد جاء فى قرار مجمع الفقه الإسلامى التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامى الذى انعقد فى الأردن فى أكتوبر سنة ١٩٨٦م - جاء تحريم هذه الصورة التى يطلق عليها اسم (الرحم المؤجر)، ولتوضيح ذلك يراجع المجلد الأول من (أحسن الكلام فى الفتاوى والأحكام).

صلاة المرأة فى المسجد

السؤال من القارئة، إكرام إسماعيل، من محافظة الغربية، تقول:
أحب صلاة الجماعة لكثرة ثوابها، ولذلك أذهب إلى المسجد لصلاتها، فسمعت أن صلاة المرأة فى بيتها أفضل، فهل هذا صحيح؟

الجواب: روى الطبرانى بإسناد حسن عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**النساء عورة، وإن المرأة تخرج من بيتها وما بها بأس فيستشرفها الشيطان فيقول: إنك لا تمرين بأحد إلا أعجبتيه، وإن المرأة لتلبس ثيابها فيقال: أين تريدين؟ فتقول: أعود مريضا أو أشهد جنازة أو أصلى فى مسجد، وما عبدت امرأة ربها مثل أن تعبده فى بيتها**».

وورد عن أم حميد، امرأة أبى حميد الساعدى، أنها قالت للنبى ﷺ: إنى أحب الصلاة معك، فقال: «**قد علمت أنك تحبين الصلاة معى، وصلاتك فى بيتك خير من صلاتك فى حجرتك، وصلاتك فى حجرتك خير من صلاتك فى دارك، وصلاتك فى دارك خير من صلاتك فى مسجد قومك، وصلاتك فى مسجد قومك، خير من صلاتك فى مسجدى**»، قال الراوى: فأمرت فبُنى لها مسجد فى أقصى شىء من بيتها وأظلمه، وكانت تصلى فيه حتى لقيت الله عز وجل، رواه أحمد وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما، وبوَّب عليه ابن خزيمة (باب اختيار صلاة المرأة فى حجرتها على صلاتها فى دارها وصلاتها فى مسجد قومها على صلاتها فى مسجد النبى ﷺ، وإن كانت صلاة فى مسجد النبى ﷺ تعدل ألف صلاة فى غيره من المساجد، ما عدا المسجد الحرام، وفيه دليل على أن قول النبى ﷺ «**صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد**»، إنما أريد به صلاة الرجال دون النساء.. انتهى كلامه.

يؤخذ من هذا أن صلاة المرأة فى بيتها منفردة أفضل من صلاتها فى المسجد جماعة، لكنها لو صلت فى المسجد فلا مانع، بدليل حديث رواه أبو داود عن عبدالله بن عمر «لا تمنعوا نساءكم المساجد، وبيوتهن خير لهن»، وإذا كانت النساء يصلين فى المسجد خلف النبى ﷺ فإن ذهابهن ما كان لمجرد الصلاة، بل كان أيضا للتفقه فى الدين وسماع الوحى وتعلم إتقان الصلاة عمليا خلفه.

وإذا جازت صلاتها فى المسجد فليكن ذلك بإذن زوجها مع التزام كل الآداب الشرعية لخروج المرأة، وإلا حرم خروجها، وقد روى مسلم عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أنها قالت: لو أن رسول الله ﷺ رأى ما أحدث النساء لمنعهن المساجد كما منعت نساء بنى إسرائيل.

المسح على الخمار

السؤال من القارئة س. أ. ح، من محافظة الإسماعيلية، تقول:
شعرى يتقصف ويتساقط من كثرة استعمال الماء عند مسحه فى الوضوء، فهل يجوز لى أن أكتفى بالمسح على الإيشارب المغطى لرأسى؟

الجواب: روى مسلم والترمذى عن المغيرة بن شعبة قال: توضأ رسول الله ﷺ فمسح بناصيته وعلى العمامة وعلى الخفين، وروى مسلم وغيره عن بلال قال: مسح رسول الله ﷺ على الخفين والخمار.

المراد بالخمار كل ما يغطى الرأس من الرجل أو

المرأة، ومنه العمامة للرجل والطرحة وما يماثلها للمرأة، قال جمهور الفقهاء، وهم أبو حنيفة ومالك والشافعى، لايجوز الاقتصار فى الوضوء على المسح على العمامة أو الخمار، ويجوز تبعا، يعنى أن يمسح الناصية المكشوفة، ثم يكمل على غطاء الرأس بالمسح، ولايجب خلعه لمسح الشعر.

وحجة هؤلاء أن فرض المسح على الرأس كما فى الآية ﴿**وامسحوا برءوسكم**﴾، والحديث فى المسح على العمامة محتمل التأويل، يعنى يكون مسحها تبعا لمسح الناصية المكشوفة، فلا يترك المتيقن للمحتمل، والمسح على العمامة ليس مسحا على الرأس.

وأحمد بن حنبل هو الذى قال بجواز الاكتفاء بالمسح على العمامة والخمار، واعتمد على الحديث الذى رواه هو وأبو داود: بعث رسول الله ﷺ سرية، فأصابهم البرد، فلما قدموا شكوا إليه ما أصابهم من البرد فأمرهم أن يمسحوا على العصائب، أى العمائم، وهذا الحديث ضعيف كما قال النقاد، فلا يعارض القوى، والقائلون بالجواز بعضهم اشترط ما يشترط فى المسح على الخفين من لبس الخمار على طهارة، وألا يتجاوز يوما وليلة للمقيم وثلاثة أيام للمسافر.

ومهما يكن من شىء فإن المسح على الرأس هو الواجب كما قال الجمهور، وليس فيه مشقة لأن بعضهم قال: يكفى مسح بعض الشعرات ثلاثا فما فوقها، لاجميع الشعر، ومن كان شعرها يتأثر بمسحه كله فلتمسح قليلا منه فهو كاف، على أن ذلك فى الوضوء، أما فى الغسل فلابد من غسل الشعر كله.

التبنى

السؤال من القارئ، سيد على محمود، من محافظة الجيزة، يقول: ما معنى التبنى وما حكمه فى الإسلام؟

الجواب: التبنى يطلق ويراد به أحد معنيين:

الأول أن يضم الإنسان إليه ولدا يعرف أنه ابن غيره، وينسبه إلى نفسه نسبة الولد الصحيح، وتثبت به جميع حقوقه، **والثانى** أن يجعل غير ولده كولده النسبى فى الرعاية والتربية فقط، دون أن يلحق به نسبه ولايكون كأولاده الشرعيين.

فهو عمل خيرى إذا دعت إليه عاطفة كريمة، كحماية الولد من الضياع لموت والديه أو غيابهما أو فقرهما، مثلا، ولا مانع منه شرعا، بل مندوب إليه من باب الرحمة والتعاون على الخير.

أما الأول فقد كان معروفا فى الشرائع الوضعية قبل الإسلام، كما عرفه العرب فى الجاهلية، وظل معترفا به بعد مجىء الإسلام، وبمقتضاه تبنى رسول الله ﷺ زيد بن حارثة، فكان يدعى زيد ابن محمد، حتى أبطله بعد الهجرة، وكان زواج النبى ﷺ من زينب بنت جحش مطلقة زيد بن حارثة تطبيقا لهذا الإبطال. قال الله تعالى: ﴿**وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل* ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم فى الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما**﴾ الأحزاب: الآيتان ٤، ٥.

والولد الذى يعيش فى ظل هذا التبنى بنوعيه غريب عن الأسرة، وأجنبى عنها فى الأحكام الشرعية المتعلقة بالزواج والنظر والخلوة والميراث وغير ذلك، فلو كان صبيا فهو عند كبره يجب على المرأة أن تحتجب عنه احتجابا شرعيا، فيحرم عليها الاختلاط به كاختلاط الولد بأمه، بل يجوز لها أن تتزوجه إن لم تكن متزوجة، وكذلك البنت المتبناة أجنبية عن الرجل الذى كفلها، فهى إذا كبرت حرم عليه أن ينظر إليها أو يلامسها أو يختلط بها اختلاطا فيه تهمة، بل يجوز له أن يتزوجها.

وإذا أراد الشخص أن يهب من يتبناه شيئا فله ذلك كالهبة لأى أجنبى، على ألا يكون فى ذلك ضرر على أولاده الشرعيين وذوى الحقوق.

فينبغى عدم الخلط بين المعنيين فى التبنى، فلكل منهما حكمه.

المساجد والأضرحة

السؤال من القارئ، أحمد محمد البيومى، من محافظة القاهرة، يقول،

ما حكم الصلاة فى مساجد بها أضرحة؟

الجواب: روى البخارى ومسلم أن النبى ﷺ قال: **«قاتل الله اليهود، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، وروى مسلم أنه قال قبل أن يموت بخمس «إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إنى أنهاكم عن ذلك»، وروى الجماعة - إلا البخارى وابن ماجة - قوله «لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها».**

تحدث العلماء عن هذه الأحاديث فقال بعضهم: محل الذم أن تتخذ المساجد على القبور بعد الدفن، وليس ذلك مذموما إذا بنى المسجد أولا وجعل القبر فى جانبه ليدفن فيه واقف المسجد أو غيره، لكن العراقى قال: الظاهر أنه لا فرق، وأنه إذا بنى المسجد لقصد أن يدفن فى بعضه أحد فهو داخل فى اللعنة، بل يحرم الدفن فئ المسجد، وإن شرط أن يدفن فيه لم يصح الشرط، لمخالفته لمقتضى وقفه مسجدا.

وإذا كان بعض العلماء قد حمل النهى على التحريم فإن البعض الآخر حمله على الكراهة، بمعنى أن الصلاة إلى القبر صحيحة لكن مع الكراهة.

والذين قالوا بصحتها مختلفون، فقال بعضهم: هى مكروهة سواء أكان القبر أمام المصلى أم خلفه أم عن يمينه أم عن يساره. وقال آخرون: محل الكراهة إذا كان القبر أمامه، لأن هذا الوضع هو الذى يراد من اتخاذه مسجدا ومن الصلاة فيه أو إليه. أما إذا كان القبر خلفه أو عن يمينه أو عن يساره فلا كراهة.

والأئمة الثلاثة قالوا بصحة الصلاة وعدم كراهتها، اللهم إلا إذا كان القبر أمام المصلى فتكون مكروهة مع الصحة، أما أحمد بن حنبل فهو الذى حرَّم الصلاة وحكم ببطلانها. ومحل هذا الخلاف إذا كان القبر فى المسجد، أما إذا كان مفصولا عنه والناس يصلون فى المسجد لا فى الضريح أو الجزء الموجود فيه القبر فلا خلاف أبدا فى الجواز وعدم الحرمة أو الكراهة.

واختار إذا كان القصد من الصلاة إلى القبر تعظيمه فهى حرام وباطلة، بصرف النظر عن وضع القبر، وإذا انتفى هذا القصد كانت مكروهة مع الصحة إذا كان القبر أمام المصلى، وإلا فلا كراهة.

عورة الرجال

السؤال من قارئ، من القاهرة، يقول:

هل عورة الرجل أمام الرجال والنساء واحدة وهل يجوز للرجل أن يظهر أمام المحارم وغير المحارم ببنطلون قصير وكاشفا لصدره وذراعيه مما يسبب حرجا للنساء؟

الجواب: عورة الرجل أمام الرجال هى ما بين سرته وركبته، أما مع النساء فإن كن من المحرمات كالأم والبنت والأخت فكذلك، أما مع الأجنبيات اللاتى يجوز له التزوج منهن فعورته هى كل جسمه ما عدا الوجه والكفين، بمعنى أنه يحرم على النساء النظر إلى جسمه، ولا يجب عليه هو أن يستره كله لأن ذلك يعطله عن ممارسة أعماله خارج بيته فى مجتمع يختلط فيه الرجال مع النساء فى الشوارع وغيرها، وأدلة ذلك مبسوطة فى الجزء الخاص بالحجاب من موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام. فليراجع.

ومن هنا يجوز للرجل أن يظهر أمام المحارم ببنطلون قصير يغطى ركبتيه، مع كشف صدره وذراعيه، فعورته كما سبق بالنسبة للمحارم هى ما بين سرته وركبته، وكون كشف صدره وذراعيه فيه حرج للنساء مرجعه إلى التقاليد والعرف، وإن كان الأفضل هو الستر.

إقامة الحد ومحو الذنوب

السؤال من محمد محمد العطار، من كفر الشيخ، يقول: هل إقامة الحد فى الدنيا على المذنب تكفى لمحو الذنب والعقاب فى الآخرة؟

الجواب: فى خلاف للعلماء فى الحدود هل هى زواجر أو جوابر أرى أنها للأمرين معا. فهى تزجر من لم يرتكب الذنب عن ارتكابه وتجبر من ارتكبه، بمعنى أنها بمثابة التوبة لله، وذلك إذا كان العاصى قد رضى بإقامة الحد عليه، وهنا لا يعذبه الله فى الآخرة على هذا الذنب، فهو سبحانه أكرم من أن يجمع على عبده عذابين، عذابا فى الدنيا وعذابا فى الآخرة، وقد استدلوا على ذلك بحديث رواه الترمذى والحاكم وصححه **«من أصاب ذنبا فعوقب عليه فى الدنيا فالله أكرم أن يُثَنِّى العقوبة عليه فى الآخرة»**، وروى مسلم حديث الجهنية التى أقيم عليها حد الزنا وصلى عليها النبى ﷺ وقال ـ جوابا عن استفهام ـ **«لقد تابت توبة لو قسمت على سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله»**، وفى حديث رواه البخارى ومسلم **«ومن أصاب شيئا من ذلك ـ الزنا والسرقة والقتل ـ فعوقب به فهو كفارة له، ومن أصاب شيئا من ذلك فستره الله فأمره إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه»**.

وقياسا على الحدود يرجى أن تكون التعزيرات بالحبس أو الغرامة مثلا إذا وقعت موقعها الصحيح مرشحة لعدم العقوبة يوم القيامة، وفضل الله واسع، مع مراعاة تسليم المذنب نفسه بما عوقب به ورجاء قبول التوبة.

النظر إلى الراقصات

السؤال من محمود عنتر عبدالفتاح، من الشرقية، يقول: ما حكم الدين والشرع فى النظر إلى الراقصات؟

الجواب: الشائع فى الراقصات إلى جانب الحركات المغرية أن يكُنَّ كاشفات لجزء كبير مما أمر الله بستره من جسم المرأة بالنسبة إلى الرجال الأجانب، وهذا حرام لاشك فيه مهما كان الداعى إليه، والنصوص فى ذلك كثيرة.

وبالتالى يكون النظر إلى الراقصة حراما، لأنه نظر إلى عورة، وهو من دواعى ارتكاب الفاحشة، وكلام الباحثين فى ذلك كثير والنصوص الناهية عنه كثيرة، لا يبيح الشرع منه إلا النظر الذى يقع من غير قصد ولا يكون معه استرسال، روى أحمد وأبو داود والترمذى عن بُرَيْدَة أن رسول الله ﷺ قال لعلى ـ كرم الله وجهه ـ **«ياعلى، لا تتبع النظرة النظرة، فإنما لك الأولى وليست لك الآخرة»**.

وفى حديث البخارى ومسلم **«العينان تزنيان، وزناهما النظر»**، وفى حديث صحيح رواه الطبرانى والحاكم قال رسول الله ﷺ عن ربه ـ عز وجل ـ: **«النظرة سهم من سهام إبليس، من تركها من مخافتى أبدلته إيمانا يجد حلاوته فى قلبه»**.

وكل ذلك من منطق قوله تعالى: **﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم﴾** النور: آية ٣٠.

وإذا كان مجرد النظر محرما لخطورته، فإن النظر إلى الراقصة بحركاتها المعروفة يزيد من الفتنة والخطورة، وهذا أمر لا يشك فيه أى عاقل.

كلمات جامعة لمكارم الأخلاق

للقارئ/ محمد عباس محمد عرابى - باحث إسلامى.

سأل أمير المؤمنين هارون الرشيد الأصمعى قائلا: هل تعرف كلمات جامعة لمكارم الأخلاق يقل لفظها ويسهل حفظها؟ فقال: نعم يا أمير المؤمنين: دخل أكثم ابن صيفى حكيم العرب على بعض ملوكها فقال: أريد أن أسألك عن أشياء لاتزال بصدرى مختلجة والشكوك عليها والجة، فقال: سألت خبيرا واستنبأت بصيرا والجواب يشفعه الصواب، فاسأل عما بدا لك، فقال: ما السؤدد؟ قال: اصطناع المعروف وإغاثة الملهوف، قال: فما الشرف؟ قال: كف الأذى وبذل الندى، قال: فما المجد؟ قال: حمل المغارم وابتناء المكارم، قال: فما الكرم؟ قال: صدق الإخاء فى الشدة والرخاء، قال: فما العز؟ قال: شدة القصد، قال: فما السماحة؟ قال: بذل النائل وإجابة السائل، قال: فما الغنى؟ قال: الرضا بما يكفى، وقلة التمنى، قال: فما الرأى؟ قال: كل فكر أنتجته تجربة، قال له: قد أجبت وأجدت فاحتكم، قال: لكل كلمة هجمة، قال: هى لك، قال الأصمعى: فقال لى الرشيد: ولك بكل كلمة بدرة، فانصرف الأصمعى بثمانين ألفا.

***

مما لاشك فيه أن هذه المعانى تختلف عن المعانى والمدلولات المتعارف عليها بين الناس، وهذا هو سر رونقها وأصالة مبناها ومغزاها وسمو فحواها، فالأصمعى له باع طويل وقريحة وقادة وذكاء لماح وخبرة واسعة طويلة ودراية بالأحوال والأعمال وصلة وثيقة بالمداخل والمخارج من المعانى والألفاظ وما يكنه الناس فى أنفسهم وقلوبهم من الرغائب والمتطلبات، ولهذا جاءت الإجابة شافية وافية فاستحق عليها الجائزة السنية.

الله معنا

للقارئ/ عماد عبدالعال - مدرس العلوم البيولوجية - أبوتيج.

الكثير من الناس يخطئ بفهمه أن الله - تبارك وتعالى - موجود ذاتا معنا فى كل مكان، لأن القول بأن ذات الله - عز وجل - فى كل مكان، يعنى جعل الله وهما «ونعوذ بالله من ذلك»، ولذا وجب الإشارة إلى أن الله - تبارك وتعالى - استوى على العرش مصداقا لقوله تعالى: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ طه: آية ٥، ومن أنكر أن الله فوق العرش فقد خالف القرآن العظيم وخالف الحديث الشريف حيث يقول رسول الله ﷺ: «**إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق الخلق: إن رحمتى سبقت غضبى، فهو مكتوب عنده فوق العرش**» رواه البخارى، وهذا لا يناقض قوله تعالى: ﴿**قال لا تخافا إننى معكما أسمع وأرى**﴾ طه: آية ٤٦، ولا قول رسول الله ﷺ: «**إنكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم**» رواه مسلم، فالله تبارك وتعالى - معنا بعلمه وقدرته وإحاطته وهو السميع البصير - فى حين أن الذات الإلهية فوق العرش والله واسع عليم.

***

قول الله - سبحانه - ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ تعنى أن الله - جلت قدرته - استوى على العرش استواء يليق بذاته وعظمته، فهو صاحب التصرف والشأن فيه، وأنه قد أحاط علمه بكل شىء وكذلك بصره فى هذا الشىء المملوك له، وهذا معنى قول الرسول ﷺ: «إنكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم»، فالذى يملك لابد أن يحيط علمه وبصره بكل أمر فى ملكه.

من وصايا الإمام على رضي الله عنه

للقارئ/ رمضان إبراهيم الأقرع ـ خطيب بطنطا.

كثيرة هى الوصايا الإسلامية وكثيرة أيضا المواعظ والحكم والإرشادات التى قالها السلف الصالح ـ رضوان الله عليهم ـ ولكن قليل التعلم منها ونادر جدا العمل بها، وقد كان الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ بليغا فصيحا يكشف المعنى فى كلمات وجمل قلائل حتى صارت بعض أقواله من صدقها وقصرها مثلا حيا يسير بين الناس، وكانت له نظرات ثاقبة فى الحياة، وقد جعل لكل مقام مقال من الحكم والمواعظ والأشعار، لذلك فهو شاعر وحكيم وحاكم وواعظ تجتمع فيه كل هذه الصفات التى عرف بها، ومن وصاياه لابنه الحسن ـ رضى الله عنهما ـ نختار له هذه التحذيرات حيث يقول: «يابنى: احذر من الأمور ثلاثا ورافق ثلاثا، وافزع من ثلاث، واستح من ثلاث، وخالف ثلاثا، واهرب من ثلاث، وخف ثلاثا، وارج ثلاثا، فقال ولده الحسن: فسرها ياأبى، فقال الإمام على رضي الله عنه: احذر من الكبر والغضب والحرص المذموم، ورافق كتاب الله وسنة نبيه والصالحين من عباده، وليكن فزعك خوفا من المعصية وفزع التوبة وإلى طلب العلم، وليكن حياؤك من الله ومن الملائكة ومن الصالحين، واجتنب الشر وأهله والنفاق وأهله والحمق، واهرب من الكذب والخيانة والظلم، وخف الله وممن لا يخاف الله ومن لدغات لسانك، وارجو الله فى غفران ذنوبك وفى قبول أعمالك وشفاعة نبيك محمد ﷺ «من كتاب نهج البلاغة للشريف الرضى».

***

كان الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ حجة فى البلاغة والبيان وفصاحة اللسان، كما كان بابا مفتوحا للعلم والعلماء مصداقا لقول الرسول ﷺ: «أنا مدينة العلم وعلى بابها»، هذا عدا ما يملكه من التقوى والورع وصدق القول ودماثة الخلق والشجاعة ورباطة الجأش، فقد كان فارسا لايشق له غبار، ومع ذلك فقد كانت السماحة والرضا والقناعة كل رأس ماله فى الحياة.

الإسلام والإيمان والإحسان

للقارئ/ محمد محمود عبود محمود عمار ـ أسيوط ـ الوليدية.

يقول سلطان العلماء الإمام العز بن عبدالسلام: الإسلام قيام البدن بوظائف الأحكام، والإيمان هو قيام القلب بوظائف الاستسلام، والإحسان قيام الروح بمشاهدة الملك العلام، ألا تراه ﷺ يقول: **«الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه»**، فتكون قائما بوظائف العبودية مع شهودك إياه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، فتكون قائما بوظائف العبودية مع شهوده إياك، فأنت فى الأول مراد، وفى الثانى مريد، لأنه حين أرادك أشهدك إياه وحين أردته كانت الإرادة منك له، فلذلك حجبك، فلو كانت الإرادة منه لك ما حجبك، فإنه لا توصل إلا به.

***

فرق كبير بين المراد وبين المريد، فالأول منهما صاحب حظوة وقبول ولهذا تم استقباله وامتنع حجبه لأن الملك العلام هو الذى يريده، فهو إذن مقرب ومرغوب فيه ليحظى بالنور الإلهى والإنعامات الربانية، وهذه لا تتحقق إلا للمؤمنين المخلصين المتقين الذين غمرهم الله بفيوض رحمته وجعلهم فى عداد الصالحين الآمنين يوم يقوم الناس لرب العالمين.

الأعمال التى تنفع الميت

للقارئ/ أحمد رشوان محمد رشوان ـ حدائق حلوان ـ القاهرة.

هذا الأمر اختلف فيه العلماء وعامة الناس، ومن المتفق عليه أن الميت يثاب على ما كان سببا فيه من أعمال الخير فى حياته لما رواه مسلم وأصحاب السنن، عن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له» وأريد أن أنبه فى هذه الكلمة إلى ثواب قراءة القرآن الكريم هل يصل أم لا؟ وهذا رأى الجمهور من أهل السنة: يقول النووى: المشهور من مذهب الشافعى أنه لا يصل، وذهب أحمد بن حنبل وجماعة من أصحاب الشافعى إلى أنه يصل، وفى المغنى لابن قدامة قال الإمام أحمد بن حنبل: الميت يصل إليه كل شىء من الخير للنصوص الواردة فيه ولأن المسلمين يجتمعون ويقرؤون القرآن الكريم ويهدونه لموتاهم من غير نكير، فكان إجماعا والقائلون بوصول ثواب القراءة إلى الميت يشترطون أن لا يأخذ القارئ أجرا على قراءته، فقد حرم على المعطى والآخذ ولا ثواب له على القراءة لما رواه أحمد عن أبى عبدالرحمن بن شبل أن النبى ﷺ قال: «اقرأوا القرآن واعملوا ولا تجفوا عنه ولا تغلوا فيه ولا تأكلوا به ولا تستكثروا به».

***

لا جدال فى أن أعمال الميت التى يعملها فى دنياه هى السبب الرئيسى فى سعادته فى الدار الآخرة لأن الميت ينقطع عمله بعد موته وليس له إلا ماقدمه بيديه.

المال والناس

للقارئ/ حسين طلعت إبراهيم - المحلة الكبرى.

هكذا أصبح الناس يستحلون كل شىء فى سبيل المال، فقد يحلفون كذبا طلبا للمال ويظنون أن هذا الحلف يمكن أن يكفر عنه، والحلف كذبا إذا تعمده الحالف ليس له كفارة، لأنه أثقل من الكفارة، فهو بالنسبة للكفارة كنسبة الجبل إلى النملة، فهل تستطيع النملة أن تحرك الجبل من مكانه؟ ولذلك فإن اليمين يسمى اليمين الغموس، لأنه يغمس صاحبه فى نار جهنم، يمين الله الذى أصبح على ألسنة الناس يجرى جريان الماء من أعلى الجبل، فبينما المسيح عيسى ابن مريم - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام - يمشى ذات يوم فوجد سارقا يسرق متاعا، فقال له المسيح: لم تسرق ياأخى؟ فقال اللص: والله ما سرقت، فقال المسيح: ياأخى: صدق الله وكذبت عيناى أنا إكراما ليمين الله، يمين الله الذى أصبح عند الناس لا مضمون له، يقول الله - سبحانه - **﴿إن ربك لبالمرصاد* فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن* وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن﴾** الفجر: الآيات ١٤ - ١٦، فهذا الإنسان الذى كرمه الله على جميع المخلوقات يفعل كل ذلك من أجل المال، يكذب ويقتل من أجل المال، فقد أصبح المال فى زماننا نقمة وابتلاء، فهذا سليمان عليه السلام كان يمر بالبساط فرآه رجل فقير فقال الرجل: لو أن عندى مثل ما أوتى سليمان؟ فسمع سليمان عليه السلام هذا الكلام، فنزل للرجل الفقير وقال له: أيها الرجل: تسبيحة واحدة فى صحيفة المسلم خير من سليمان ومما أوتى سليمان.

***

لقد أصبحت الأيمان لا يعول عليها فى هذا الزمن وقد بات التحريف والتبرير سمة من سمات العصر وكثرت التعليلات وقول الحالف: المؤاخذة بالضمير، حتى بات الناس جميعا علماء بأمور دينهم ودنياهم وهم لا يفقهون شيئا، ولعل هذا سر تعاستهم وتأخرهم فيما يقدمون عليه وما أصدق قول الله سبحانه ﴿ونفس وماسواها* فألهمها فجورها وتقواها* قد أفلح من زكاها* وقد خاب من دساها﴾ الشمس الآيات ٧ - ١٠، فلو صدقوا الله فى أعمالهم وأقوالهم لصدقهم الله فى كل أمورهم.

الإسلام دين أكمله الله

للقارئ/ مصطفى كامل حامد بدر - زرقان - تلا - منوفية.

﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا﴾، الإسلام دين الله القيم قد أكمله الله بالملة الحنيفية وأتم به النعمة فلا يقبل تبديلا ولا تعطيلا ولا تعديلا؛ لأن الله - سبحانه - شرعه لسعادة الإنسانية وإصلاح شئون البشرية واستنارة العقول الآدبة، فهو يعرف للحياة قيمتها وللعمر قدره وللعمل الجاد النافع شأنه وأجره، يربى أتباعه على سمو الأخلاق ونبل المقاصد واجتلاء الحقائق العلمية بأسلوب مهذب تزكو به ثمراته وتعم به خيراته، لأن المؤمن بالله لا يذل لسواه، فهو أرفع الناس قوة وأكثرهم إحساسا بالواجب المنبعث من وجدان الإنسان صاحب السماحة والكياسة، ولن تسعد أمة إلا بمكارم الأخلاق ونبل شبابها وشيبها، وهذا لا يتم إلا بمراعاة الفضائل وتجنب الرذائل وسلامة الإحساس وعلو الهمة وطهارة الذمة وصدق الفعل والقول، والمؤمن حقا هو الذى يعرف فضل الله عليه وآلاءه الكثيرة، ونعم الله - جل جلاله - لا تحصى ولا تعد، والله - سبحانه - يقول: **﴿وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار﴾** إبراهيم: آية ٣٤.

***

الدين الإسلامى حقا دين القيم والمبادئ والمثل العليا والأخلاق الفاضلة لذلك كانت رسالته عامة وخاتمة لهداية البشرية جمعاء، لأن القيم النبيلة هى أساس المجتمعات الفاضلة، ولن تسود أمة أو تعلو مكانتها إذا تفشت فيها الجهالة والفساد وانتشر فيها الظلم والاضطهاد وخيم عليها الحقد والحسد والكساد وأصاب شعبها الوهن والذل والاستعباد، فالحرية العادلة هى أساس الخلق والإبداع والكلمة الطيبة الصادقة هى سنام العمل والمجد والإخلاص، فهل تجد دينا أشمل وأقوم من هذا الدين؟!

وصيـــة أم لابنهـــا

للقارئ/ الشيخ خيرى محمد إبراهيم أبو الروس ـ إمام وخطيب وشيخ مقرأة كفر الجرايدة ـ بيلا ـ كفر الشيخ.

جاء فى كتاب «البيان والتبيين» أن الأصمعى روى عن أبان بن تغلب قال: مررت بامرأة وبين يديها ابن لها يريد سفرا وهى توصيه قائلة: «إجلس أمنحك وصيتى وبالله توفيقك وقليل إجدائها عليك أنفع من كثير عقلك، إياك والنمائم فإنها تزرع الضغائن ولا تجعل نفسك غرضا للرماة؛ فإن الهدف إذا رمى لم يلبث أن ينثلم ومثل لنفسك مثالا فما استحسنته من غيرك فاعمل به وما كرهته منه فدعه واجتنبه، ومن كانت مودته بشره كان كالريح فى تصرفها وإذا هززت فهز كريما، فإن الكريم يهتز لهزتك، وإياك واللئيم فإنه صخرة لا ينفجر ماؤها وإياك والغدر فإنه أقبح ما تعومل به، وعليك بالوفاء ففيه النماء، وكن بمالك جوادا وبدينك شحيحا، ومن أعطى السخاء والحلم فقد استجاد الحلة ربطتها وسربالها، ثم انهض على اسم الله الأعظم، حقا إنها وصية جامعة لخير الدنيا والآخرة.

***

فعلا هى كلمات جامعة ومعانى نافعة؛ فقد تضمنت البعد عن النميمة لأنها تزرع الضغينة وإذا دخل الإنسان فى مالا يعنيه لقى مالا يرضيه وكان هدفا للرماة وإذا كثر الرمى انثلم الهدف بمعنى انكسر وانفتح وسالت منه الدماء وعلى المرء أن يتخذ لنفسه مثالا فإذا استحسن هذا المثال فليتبعه وإذا كرهه فليجتنبه.

الحجاب ياأختاه الحجاب

للقارئ/ محمود محمد عمر خير الدين ـ كلية أصول الدين ـ شبين الكوم.

من يعيب عليك أنك تتحجبين من أجل الزواج كمن يعيب عليك أنك تجمعين المال من أجل الحج مع محرم، لا تظنى أن التبرج سبيل إلى الزواج فإن ماعند الله ـ تعالى ـ خير وأبقى ولا ينال إلا بالطاعة، فبقدر ما تبتعدين عن مخالطة الرجال ومزمار الشيطان بقدر ما تقتربين من الله وفرج الرحمن، والحق ـ تبارك وتعالى ـ يقول: ﴿**ياأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما**﴾ الأحزاب: آية ٥٩، ﴿**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا**﴾ الأحزاب: آية ٣٦.

ولما كان أكثر أهل النار من النساء بإخبار النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى الحديث الصحيح إلا لجملة عوامل من أهمها: أنهن لا يتقين الله ـ تعالى ـ فى الوظيفة الخطيرة التى ناطها الله ـ سبحانه ـ بهن.

***

الحجاب جميل وجليل ولكن المهم الالتزام به والتمسك بفحواه ومعناه، فبعض النساء يتخذنه ذريعة للعب بالنار وربما يكون هذا دون قصد ولكنهن يقعن فى المحظور، والمرأة الشريفة العفيفة تحفظ نفسها فى أى وقت وفى أى مكان والرسول ﷺ يقول: «إذا أدت المرأة فرضها وصانت عرضها وحفظت فرجها وكتمت سرها ضمنت لها الجنة» وليس هناك أسهل من ذلك إذا تمسكت بتعاليم الإسلام.

وقفة مع النفس

للقارئ/عبدربه محمد عيد ياسين - الغربية - السنطة - الجعفرية - عزبة عز العرب.

إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد ويا لقسوة القلوب من كثرة الذنوب، والذى يريد أن يزيل صدأ القلوب وغشاوتها عليه بذكر الله - تعالى - بكرة وأصيلا، وعلاج قسوة القلوب هو ذكر الموت والتأهب له، ومن يتذكر الموت وعذاب القبر وحساب الملكين والبرزخ وأهوال القيامة وعذاب النار الأليم فيرتجف قلبه وترتعد فرائصه ثم يتذكر الجنة التى فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيطمئن قلبه وتهدأ جوارحه، وبين هذين الشقين، الرهبة من النار والرغبة فى نعيم الجنة أو بالأحرى فى الترهيب والترغيب تأتى حتما ويقينا الوقفة مع النفس، وهذه الوقفة لا تأتى إلا بتأهب خالص وعزيمة قوية وإرادة لا تلين ولا تتهاون أمام الإغراء الزاحف والخطر المحدق وغياهب الفسوق والماديات وتقلبات الحياة فهى لابد أن تكون صامدة صابرة تواقة إلى التزود بكل فضيلة والبعد عن كل رذيلة لأنها غير عابئة بالأمانى الباطلة والمغريات الخادعة، ولذلك فهى تواجه مردة الشياطين من الإنس وأذناب المنافقين ولذلك فهى تتحصن ضد الأهواء والعواصف وتقلبات الأيام فلابد من وقفة مع النفس نطلبها من الإمام قبل المأموم، ومن الحاكم قبل المحكوم، ومن الوزير قبل الخفير، ومن المدرس قبل التلميذ، ومن الأب قبل الابن، من كل راع على رعيته، وقفة مع النفس بها نتقدم بين الأمم ونلحق بركب التقدم فى الدنيا ونفوز إن شاء الله بها فى الآخرة.

القيم المثالية لشخصية المسلم

للقارئ/ هلال الحبشى - برهمتوش - السنبلاوين - دقهلية

الإسلام دين عالمى وهو كملة الله - تبارك وتعالى - وديننا الحنيف يختلف عن الأديان الأخرى فى قيمه ومبادئه العليا، والإسلام ليس دينا جديدا ولكنه الدين الأول الذى أوحاه الله - سبحانه - إلى المرسلين الأولين، والإسلام له طابعه المميز على خريطة العالم وله طابعه المنفرد، **﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة﴾** البقرة: آية ١٣٨، وأرى أن الإسلام أعاد بناء وصياغة الإنسان المسلم أو وضع الإنسان فى مكانه الصحيح الملائم من الكون، وقد حقق الله - تعالى - للمصطفى ﷺ إقامة المجتمع الإسلامى، ومن القيم المثالية لشخصية الفرد المسلم باعتباره فى أقلية اجتماعية. الفهم الصحيح لأساسيات الدين الإسلامى وقواعده الراسخة ممارسة شعائر الدين الإسلامى وهى عبارة عن الرجوع إلى التكافل الاجتماعى بين أفراد هذا الدين، الفهم العميق للغتنا العربية، لغة الضاد، الكشف عن العلاقة الوثيقة بين الفرد ومطالب المجتمع ، الكشف عن آفاق جديدة أكثر رحابة وسعة، التوعية الإسلامية للأفكار والمذاهب التى قد تتناقض مع الإسلام، التخصص فى مجال علمه أيا كان، المثل الأعلى فى المجتمعات الرفيعة من أخلاق وزهد وكرامة.

***

عالمية الإسلام تأتى أولا من أنه لجميع الناس قاطبة؛ ولهذا كان الرسول ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين جميعا، ومن عاصر الإسلام ولم يسلم فقد باء بالخسران المبين؛ لأن الله - سبحانه يقول: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ آل عمران: آية ١٩، فالإسلام يجب ما قبله أى يقطعه حيث يدخل صاحبه المسلم فى مرحلة جديدة من الطهر والنقاء، وبعد هذا تأتى التكاليف الفاضلة التى أقرها الإسلام ودعا إليها والتى سبق وأن أشرت إليها آنفا وهى ممارسة الشعائر مثل التكافل الاجتماعى والفهم العميق للغة القرآن الكريم والكشف عن العلاقة الوثيقة بين الفرد والمجتمع والتحلى بالأخلاق الكريمة كالزهد والعدل والحلم والكرامة والحياء وما إلى ذلك.

الألفة والأخوة

للقارئ / شوقى السعيد حامد سليمان ـ المطرية ـ دقهلية.

نعلم أن الألفة ثمرة حسن الخلق، فحسن الخلق يوجب التحاب والتآلف والتوافق أما سوء الخلق فيوجب التباغض والتحاسد والتنافر، قال ـ تعالى ـ مخاطبا النبى ﷺ **﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾** القلم: آية ٤، وقال ﷺ: **«أثقل ما يوضع فى الميزان خلق حسن»، وحسن الخلق أن تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك»**، ويقول ﷺ: **«من أراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا إن نسى ذكره وإن ذكر أعانه»**، فلابد أن يكون الحب لله وفى الله وإذا أحببنا إنسانا نحبه لأنه مطيع لله ومحبوب عند الله، ونحن نعلم أنه لا يصلح للصحبة كل إنسان؛ فلا نحب لمنصب أو مال أو فائدة، بل نصاحب إنسانا نتعلم منه أمر ديننا ودنيانا فينفعنا أو إنسانا نعلمه أمر دينه ودنياه فيتقبل منا النصح، فالأخوة لها حقوق: حق فى المال والنفس واللسان والقلب والدعاء والوفاء وأن أعفو عنه عند الزلات والهفوات وعلينا نصحه وإرشاده والوفاء للصديق طيلة حياته حتى مماته ثم الوفاء لأهله وأولاده وأصدقائه من بعده، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته.

***

الوفاء والألفة الصادقة والأخوة الحميمة أشياء نادرة فى العصر الذى نعيش فيه، ومعظم الناس تقوم أخوتهم وصداقاتهم على المنفعة المتبادلة والمصلحة المطلوبة حتى إذا ما تحققت هذه المنفعة أو تلك المصلحة انفض كل أخ عن أخيه وهذه جناية يجنيها الصديق على أخيه المسلم وعلى أسرته وعلى المجتمع الذى يعيش فيه؛ لأنه لم يستوعب قول الرسول ﷺ: «المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا»، ولو أنعم كل واحد منا النظر فى آيات الذكر الحكيم وفى أحاديث الرسول الكريم ﷺ لوجد نفسه يعيش على هامش الحياة الإسلامية ولم يأخذ منها إلا القشور، بصرنا الله بأنفسنا وهدانا إلى الطريق القويم.

مسابقة منبر الإسلام للحج والعمرة ـ شعبان ١٤٢٣هـ (١٢)

السؤال : كان الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ حجة فى البلاغة والبيان وفصاحة اللسان، كما كان بابا مفتوحا للعلم والعلماء مصداقا لقول الرسول ﷺ: «أنا مدينة العلم وعلى بابها»،

من قائل هذه العبارة وفى أى مقال وردت؟

عنوان المقال : .... اسم الكاتب : ....

العنوان : ....

العمل : ....

اسم المتسابق : .... رقم التليفون : ....

رقم البطاقة: .... جهة الصدور : ....

املأ بيانات هذه البطاقة بعد معرفة الإجابة، واحفظها عندك لترسل إلينا جميع البطاقات مرة واحدة فى آخر أشهر المسابقة عسى أن تفوز برحلة للحج أو رحلة للعمرة. ومسابقة هذا العام تبدأ من شهر رمضان ١٤٢٢هـ حتى شعبان ١٤٢٣هـ

بريد التعارف

أهلاً

الاسم : محمد منصور يونس
الهواية : قراءة القرآن والاطلاع الدينى
العنوان : حى الزهور ـ الزقازيق ـ شرقية

الاسم : محمود عبداللطيف محمد
الهواية : الخطابة ـ قراءة القرآن
العنوان : قرية السنباطى ـ منيا القمح شرقية

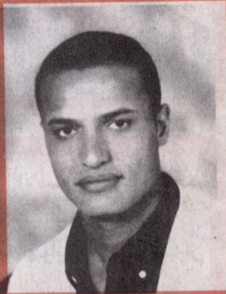

الاسم : عبدالستار عبدالقادر عقيلة
الهواية : قراءة القرآن الكريم ـ تأليف الشعر
العنوان : المنيا ـ العدوة م: عبدالله

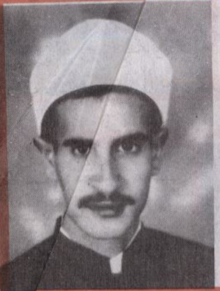

الاسم : طه محمد أحمد أبو جندى
الهواية : الاطلاع الدينى ـ قراءة القرآن
العنوان : قرية الفنت ـ مركز الفشن ـ بنى سويف

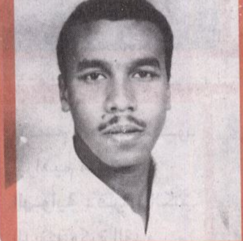

الاسم : حسين محمد مطاوع عبدالرحمن
الهواية : الاطلاع الدينى
العنوان : أسوان ـ كوم امبو ـ مساكن شركة السكر

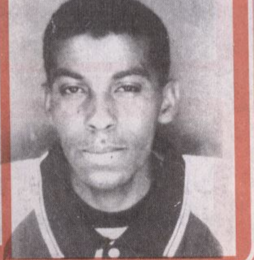

الاسم : مجدى رجب ميهوب
الهواية : الخطابة ـ المراسلة
العنوان : منشأة الجمال ـ طامية ـ الفيوم

الاسم : أيمن السيد سلام
الهواية : كتابة الشعر الدينى ورسم المناظر الطبيعية
العنوان : القانى ـ تلا ـ منوفية

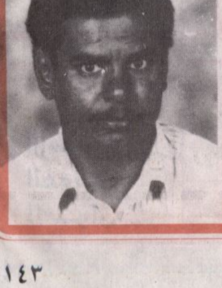

الاسم : مصطفى محمد العادنى خليل
الهواية : الاطلاع وقراءة الكتب الدينية
العنوان: الأقصر ـ الكرنك الجديدة ـ نجع بدران

الاسم : ياسر زغلول طيبون
الهواية : قراءة القرآن الخط العربى
العنوان : سوهاج ـ قرية المحامدة القبلية

الاسم : وائل فؤاد محمود رسلان
الهواية : سماع القرآن والاطلاع الدينى
العنوان : ٢٧ ش ابن الخطاب ـ محطة مصر ـ الإسكندرية

الاسم : إبراهيم محمد إبراهيم خليفة
الهواية : تجويد وترتيل القرآن الكريم
العنوان : قنا ـ القناوية

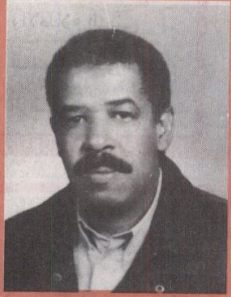

الاسم : سيد نصر عطية أحمد
الهواية : قراءة القرآن ـ الاطلاع الدينى
العنوان : ١٣ ش الدقى ـ محافظة الجيزة

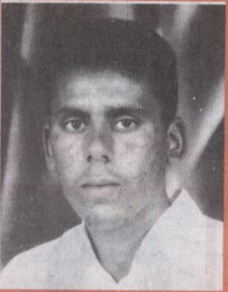

الاسم : محمود محمد محمود عبدالحميد
الهواية : قراءة القرآن ـ وحفظه والفقه الدينى
العنوان : الفيوم ـ إطسا ـ كفر الزعفرانى

الاسم : خالد أحمد عبدالله العسيلى
الهواية : قراءة القرآن الكتب الجديدة
العنوان : أسيوط ـ مركز منفلوط ـ بنى عدى

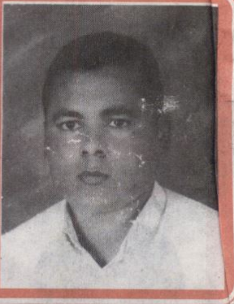

الاسم : محمد إبراهيم مسعود
الهواية : القراءة الدينية والأدبية
العنوان: مركز قطور عزبة القصراوى ـ محافظة الغربية

الاسم : محمود إبراهيم مسعود
الهواية : قراءة الكتب الدينية وكرة القدم
العنوان : مركز قطور ـ عزبة القصراوى ـ محافظة الغربية

تعارف منبر الإسلام

الاسم : ....
الهواية: ....
العنوان: ....

ترجو المجلة من قرائها فصل الكوبون المجاور وملء بياناته وإرفاق الصورة به وإرساله إلينا

محتويات العدد

□ **كلمة التحرير**		١
□ **حديث الشهر** (هل تطلع شمس الله من الغرب)	بقلم أ. د عبدالصبور مرزوق	٢
□ **القرآن الكريم وعلومه**		٥
● نظرات فى سورة التغابن	أ. د. محمد سيد طنطاوى	٦
● خصوصيات الرسم العثمانى. للمصحف الشريف	أ. د. عبدالعظيم المطعنى	١٠
● ترتيب سور القرآن الكريم	أ. د. محمد عبدالمنعم خفاجى	١٥
● الإشارات القرآنية للطبائع البشرية	أ. د. السيد الجميلى	١٨
● من أسرار الحياة فى القرآن الكريم	أ. د. حسنى حمدان الدسوقى	٢١
□ **قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها**		٢٣
● تحويل القبلة وفضل ليلة النصف من شعبان	أ. د. أحمد عمر هاشم	٢٤
● تحويل القبلة والدروس المستفادة	أ. د. محمد نبيل غنايم	٢٨
● تحويل القبلة تثبيت للإيمان وتحديد للمنهج	أ. د. محمد أبو ليلة	٣٣
● يوم تحويل القبلة	الشيخ منصور الرفاعى عبيد	٣٨
● قبلة الصلاة	أ. د. محمد المسير	٤٢
● شرف القبلة والاتجاه إليها	أ. رجب عبد المنصف	٤٥
● مسئولية جديدة للأزهر	أ. رجب البنا	٤٨
● مع المتبنى فى شعر الرثاء	أ. د. طه أبو كريشة	٥٣
□ **الحضارة والعلوم**		٥٧
● مفهوم حضارتنا الإسلامية العربية	أ. د. محمد عبد الفتاح عليان	٥٨
● آيات الله فى خلق اللبن	أ. د. عبدالمعبود عمارة	٦٢
● المراكز الإسلامية لعلوم الفضاء فى أوروبا	أ. د. ابراهيم العدوى	٦٥
● العقاد والكبار	أ. كمال عبد الوهاب	٧٠
● الاحتفال بالاحتلال أم بالاستقلال	أ. د. محمد عمارة	٧٥
● قضية للمناقشة «دعوى نكسة اليهود الفكرية»	أ. د. خالد عبد الحليم	٧٩
● من أعلام الحرية فى مصر «عبد السلام المويلحى»	أ. د. محمد رجب البيومى	٨٤
□ **الدعوة والدعاة**		٨٩
● الإسلام وطلب العلم وفضله	الشيخ فوزى فاضل الزفزاف	٩٠
● مسئولية الكلمة فى ضوء الإسلام	أ. د. محمد ابراهيم الجيوشى	٩٣
● من فوق المنبر «من يرد الله به خيرا»	الشيخ فكرى حسن اسماعيل	٩٧
● الزكاة طهرة ونماء	الشيخ معوض عوض ابراهيم	١٠٠
● صفات الداعية	عرض / صلاح أحمد الطنوبى	١٠٣
● حوار مع مفتى أوزبكستان	أجراه/ محمد كامل شاهين	١١٠
● حوار مع أمين جمعية الدعوة الإسلامية بليبيا	أجراه/ محسن عبد الفتاح	١١٣
● وراء الأخبار واللقاءات	متابعة وإعداد: منير بيومى	١١٧
● ياقدس صبراً «شعر»	زكريا عبد المحسن على	١٢٣
● الأخوة فى الإسلام «شعر»	عمر موسى البرعى	١٢٤
● قطوف	خضرة رشاد	١٢٥
□ **أنت تسأل والفقيه يجيب**	فضيلة الشيخ عطية صقر	١٢٧
□ **مع القراء**	يحرره حسين السكرى	١٣٧
□ **بريد التعارف**		١٤٣

يسر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أن يزود المكتبة الإسلامية والقارىء المسلم فى جميع أنحاء العالم الإسلامى بأمهات الكتب التى صدرت عن المجلس ومنها:

أمهات كتب التراث الإسلامى

- الأحاديث القدسية مع تعليق كبار العلماء
- صحيح البخارى الأجزاء من ١ : ١١
- سبل الهدى والرشاد الأجزاء من ١ : ١٢
- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار الأجزاء من ١ : ٤
- المقتضب للمبرد الأجزاء من ١ : ٤
- الوجوه والنظائر الأجزاء ١ : ٢
- مختصر سيرة ابن هشام الأجزاء ١ : ٢
- بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز الأجزاء من ١ : ٦
- المعلم بفوائد مسلم الأجزاء ١ : ٢
- إخلاص الناوى من ١ : ٤

المصحف الشريف

- المصحف الشريف طباعة المجلس ٢ لون بصمة ذهب
- المنتخب فى تفسير القرآن الكريم «مجلد فاخر»
- المصحف المعلم ٣٨ شريطا للشيخ الحصرى
- المصحف المرتل ٢٢ شريطا للشيخ محمود خليل الحصرى
- المصحف المجود ٦٠ شريطا للقراء
عبد الباسط عبد الصمد ـ مصطفى إسماعيل
محمود على البنا ـ محمود خليل الحصرى

وهذه الكتب لكبار العلماء القدامى وكبار المحققين فى العالم الإسلامى:

- موسوعة الفقه الإسلامى الأجزاء من ١ : ٢٥
- الفتاوى الإسلامية مجلدات من ١ : ٢٠
- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون الأجزاء من ١: ٥

وتيسيرا على القارىء المسلم ومشاركة فى تزويد المكتبات الإسلامية بالمطبوعات التى صدرت عن المجلس، تباع هذه المطبوعات للجمهور بسعر التكلفة الفعلية، مع إجراء نسبة خصم للبيع بالنقد إذا زاد عدد النسخ المباعة على عشر للكتاب الواحد أما بالنسبة للهيئات الحكومية والمؤسسات العامة فيمكن البيع بالأجل على أقساط شهرية دون أية زيادة على أسعار التكلفة الفعلية.

مراكز البيع

القاهرة ٩ شارع النباتات ـ جاردن سيتى
٢ شارع الأمير قدادار المتفرع من ميدان التحرير
مكتبة مسجد النور بالعباسية
٧٦ شارع الجمهورية (شرائط القرآن الكريم)
الاسكندرية فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ ٤٢ شارع سعد زغلول

مواعيد العمل من ٩ صباحا إلى ٢ ظهرا

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر